قضايا حقوق الإنسان

الإصدار التاسع

مارس/آذار ٢٠٠٤

عـــدد خاص

الطريق إلى الديمقراطية

منظمة العربية لحقوق الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنظمة العربية لحقوق الإنسان

الأمين العام : أ. محمد فائق

مجلس الأمنـــاء

١ - أ. جـــاسم عبد العزيز القطامى	الرئيس
٢ - د.أحمد صدقى الدجـــــــانى	نائب الرئيس
(توفى إلى رحمة الله فى ٢٠٠٣/١٢/٢٨)	
٣ - أ. إبراهيـــم العبـــــد الله	لبنـــان
٤ - د. أميـــن مكـــى مدنـــــى	الســودان
٥ - أ. بـــوجمعـــه غشيـــــر	الجزائـــر
٦ - د. حامد فضـــــــــل الله	الســودان
٧ - د. حســـــن موســـــى	مصـــر
٨ - أ. راجـــى الصورانـــــى	فلسطيـــن
٩ - د. زينـــب معـــــادى	المغـــرب
١٠ - د. سبيكـــة النجـــــار	البحريـــن
١١ - د. سهام عبد الوهاب الفريح	الكويـــت
١٢ - أ. صلاح الديـــن حـــافظ	مصـــر
١٣ - د. عبـــد الحسين شعبـــان	العـــراق
١٤ - أ. عبـــد الغفـــار حسيـــن	الإمارات
١٥ - أ. فاروق أبـــو عيســـــى	الســودان
١٦ - أ. فطـــوم قدامـــــه	المغـــرب
١٧ - أ. محمـــد فائـــــــق	مصـــر
١٨ - أ. مختـــار الطريفـــــى	تونـــس
١٩ - د. ميســون القـــــاسمى	الإمارات
٢٠ - د. ناصـــر على ناصـــر	اليمـــن
٢١ - د. نظـــام عســـــاف	الأردن
٢٢ - أ. هانـــى الدحلـــــــة	الأردن
٢٣ - أ. يـــاسر حســـــــن	مصـــر

مساعد الأمين العـــام : أ. محسن عـــوض

المديـــــر التنفيـــــذي : أ. إبـــراهيم عـــلام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنظمة العربية لحقوق الإنسان
ARAB ORGANIZATION
FOR HUMAN RIGHTS

قضايا حقوق الإنسان

كتاب غير دوري يعني بالقضايا الفكرية
في مجالي حقوق الإنسان والديمقراطية

الإصدار التاسع

(مارس/آذار ٢٠٠٤)

إشراف د.نيفين مسعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قضايا حقوق الإنسان
"مجموعة باحثين"
الناشر: **دار المستقبل العربي**
٤١ شارع بيروت – مصر الجديدة
ت: ٢٩٠٤٧٢٧
الإخراج الفني: سامي زكريا
رقم الإيداع بدار الكتب القومية ٢٠٠٣/١٢٢٠٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-239-137-6

لا تعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب غير الدوري
بالضرورة عن رأى المنظمة العربية
لحقوق الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **تقديـــــم: محمد فائق** ٧
- **مقدمة تحليلية: د.نيفين مسعد** ١١
- **الدراســـــــات :**
  - الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية فى الوطن العربي
    أحمد المنيسى..... ١٩
  - البعد الاقتصادى للمشروع الشرق أوسطى
    أحمد السيد النجار..... ٤٧
  - البعد الثقافى فى المبادرة الأمريكية للشراكة
    علاء شلبى ٥٧
- **ندوة الطريق إلى الديمقراطية**
  أ.أبو العلا ماضى/د.أحمد يوسف أحمد/د.بهجت قرنى
  أ.سمير مرقس/أ.محسن عوض/د.محمد السيد سعيد
  أ.محمد فائق/د.منار الشوربجى/د.نيفين مسعد ٩١

- **الوثـــــــائق :**
- **وثائق المبادرة الأمريكية للشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط.**

*** مناصرة الطموحات إلى الكرامة الإنسانية**
(نص الفقرة المخصصة لدعم الحريات في إستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة كمـــا وردت في التقرير الذي رفعه الرئيس الأمريكي إلى الكونجرس فى٢٠سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢).... ١٤١

*** نحو مزيد من الديمقراطية فى العالم الإسلامي**
(نص خطاب السفيـــر "ريتشارد هاس" مديـــر قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية في مجلس العلاقات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخارجية في ٤ ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٢)..... ١٤٤

* **الهدف هو الديمقراطية الإسلامية: تحول فى الأولويات فى واشنطن "ريتشاردهاس".**
(مقالة رأى نشرت فى صحيفة إنترناشونال هيرالد تريبيون في ٢٠٠٢/١٢/١١)..... ١٦٣

* **مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط : بناء الأمل للسنين القادمة.**
(خطاب وزيـــر خارجية الولايات المتحدة الأمريكية "كولن باول" في مؤسسة التراث في ١٢ديسمبر/كانون أول٢٠٠٢)..... ١٦٦

* **الولايات المتحدة ومبادرة شراكة الشرق الأوسط تمكن المرأة من الكفاية.**
(بيان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى واشنطن ١٨ يونيو /حزيران ٢٠٠٣)..... ١٧٧

* **الولايات المتحدة ومبادرة شراكة الشرق الأوسط: دفع عجلة النمو الاقتصادي.**
(بيان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى، واشنطن ١٨يونيو /حزيران٢٠٠٣)..... ١٧٩

* **مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط : تحسين المعرفة.**
(بيان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى، واشنطن١ يونيو /حزيران٢٠٠٣)..... ١٨٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* **دور مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط في توسيع آفاق الفرص السياسية**
(بيان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى، واشنطن ١٥يوليو /تموز٢٠٠٣)..... ١٨٦

* **الحقوق القائمة والمسئوليات الناشئة**
(محاضرة للسفير"ريتشاردهاس" مدير هيئة التخطيط السياسي في وزارة الخارجيـــة الأمريكية في ١٤يناير/كانون ثـــان ٢٠٠٤)..... ١٩٠

* **الرئيس بوش يقترح منطقة تجارة حرة مع الشرق الأوسط خلال عشر سنوات** (واشنطن، ٩ مايو/آيار٢٠٠٣)..... ٢٠٧

* **الولايات المتحدة والبحرين تعلنان عزمهما على السعي للتفاوض حول اتفاق تجارة حرة**
(بيان صحفي، مكتب الممثل التجاري الأمريكي في البحرين، ٢١ مايو/آيار٢٠٠٣)..... ٢١٥

* **مبادرة التجارة الحرة فى الشرق الأوسط**
(بيان حقائق عن مبادرة الرئيس بوش للتجارة الحرة في الشرق الأوسط ، مكتب الممثل التجاري الولايات المتحدة، فى٢٣ يونيو/حزيران ٢٠٠٣)..... ٢١٩

* **مبادرات التجارة الحرة الأمريكية الشرق أوسطية تعنى فرصاً للعمل وتحصيل العلم**
(باول وزيلك يجريان مزيداً من المشاورات مع الزعماء العرب في الأردن، ٢٣ يونيو/حزيران٢٠٠٣)..... ٢٢٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* **مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي ستقدمه الولايات المتحدة في قمة الدول الثماني في يونيو/حزيران ٢٠٠٤**
(النص الذي أوردته صحيفة الحياة الدولية، ١٣فبراير/شباط ٢٠٠٤)..... ٢٢٦
* **شراكة أمنيـــة، ودعم الإصلاح والديمقراطية فى دول المنطقة بعيداً عن الإملاءات "الأبوية"**
(نص خطاب وزير الخارجية الألماني أمام مؤتمر ميونخ الأربعين حول السياسة الأمنية في ٢٠٠٤/٢/٧، بشـــأن مبادرة أوروبية أمريكية لإرســـاء الاستقرار في الشرق الأوسط، صحيفة الحياة الدولية في ٢٠٠٤/٢/٢٠)..... ٢٤١
* **وزير خارجية فرنسا يقترح على دول المنطقة شراكة بعيدة عن الحلول الجاهزة**..... ٢٥١
* **المشروع الفرنسي الألماني: "من أجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط** ٢٥٣

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقديـــم

محمـــد فـــائق

عندما شرعت الولايات المتحدة فى بلورة سياسات جديـــدة لاســـتراتيجيتها حيال الشرق الأوسط بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، استدعى الفكر السياسى الأمريكى إلى الأذهان مصطلحين بارزين هما :"الاستثناء الديمقراطى" و"الاســـتثناء الأمريكى". ويقصد بالأول أن الولايات المتحدة كانت تـــستثنى مـــن اســـتراتيجيتها الكونية لتعزيز الحريات بلدان الشرق الأوسط، بسبب رغبتها فى دعـــم إســـرائيل، والأنظمة العربية الحليفة، وضمان استقرار يوفر لها استمرار تدفق إمدادات الـــنفط بأسعار زهيدة. ويقصد بالثانى أن أمريكا كانت دوناً عن بلدان العالم دولة آمنة مـــن العدوان، وهو الاستثناء الذى تعرض لتحد خطير بأحداث الحادى عشر من سبتمبر الإرهابية.

بين هذين الاستثنائين ولدت "المبادرة الأمريكية للـــشراكة بـــين الولايـــات المتحدة والشرق الأوسط" ورغم أن وزير الخارجية الأمريكى كولن باول حـــرص فى تقديمه لها فى الثانى عشر من ديسمبر ٢٠٠٢، علـــى "فـــض الارتبـــاط" بـــين الاستثنائين بتأكيده على أن التفكير فى هذه المبادرة سابق على أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فقد جاء تأكيده هذا بمثابة "التغريد خارج السرب" فمن قبل ذلـــك ومـــن بعده، مضت التصريحات والتحليلات والدراسات، بل وجاءت المبادرات اللاحقـــة جميعها باتجاه واحد ينطلق من مفهوم أن النظم السياسية والاقتصادية والثقافية فـــى المنطقة مسئولة عن إفراز الإرهاب وإنتاج جماعات متطرفـــة أنزلـــت بالولايـــات المتحدة أضرارا بالغة، وأن القضاء على الإرهاب وحمايـــة الـــدول والمجتمعـــات الغربية منه تقتضيان تغييرات جذرية فى هذه النظم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضمنت المبادرة الأمريكية وملحقاتها دعوة لإجراء إصـــلاحات سياســـية واسعة وتعزيز الحريات الديمقراطية، وتطوير نظـــم التعلـــيم، ودعـــم مؤســـسات المجتمع المدنى، وتطوير الخطاب الدينى والاهتمام بقضايا المرأة والتنميـــة ودفـــع عجلة النمو الاقتصادى، وكان حرياً بالرأى العام الذى بح صوته فى المطالبة بهـــذه الإصلاحات أن يدعمها لكن ثمة ثلاثة عوامل كرستها فى ذهـــن الـــرأى العربـــى كمشروع للهيمنة، وليس طريقاً للإصلاح، ليس فقط جراء الـــشكوك العميقـــة فـــى أهداف الولايات المتحدة تجاه المنطقة وقضاياها، ولكن أيضاً من جـــراء منطلقاتهـــا والسياق العام لطرحها، ومفرداتها.

فالمبادرة تنطلق من فساد الثقافة العربية الإسلامية والحاجة إلـــى تغييرهـــا وهو مفهوم عنصرى بكل المعايير، ولو أدننا الثقافة العربية الإسلامية لأن بـــضعة أفراد أو تنظيمات عربية أو إسلامية اعتنقت فكراً متطرفاً ومارست الإرهاب لكـــان علينا أن ندين الفكر الغربى بكامله الذى أنتج النازيـــة والفاشـــية وألحـــق الخـــراب بالعالم، لكن العالم نجح فى واقع الأمر فى أن يدين النازيـــة والفاشـــية وأن يظـــل متمسكاً بقيم الحريات التى تدعو إليها الثقافة الغربية. كما أنها تنطلق مـــن مفهـــوم وصاية أبوية لمنطقة قاصرة وليس من منطلق الشراكة القائمة على الندية.

وأضاف سياق طرح المبادرة مزيداً من الممانعة لدى الرأى العام العربـــى بالابتذال الذى طرحت به هذه الشراكة، بـــدءاً مـــن "مـــشروع إصـــلاح الـــسلطة الفلسطينية"، الذى يدعو إلى إقصاء رئيس منتخب، ويشترط ألا تأتى بـــه انتخابـــات حرة أخرى، ودمغ المقاومة بالإرهاب، ورفض مشورة محكمة العدل الدولية، إلـــى مشروع "تحرير العراق" الذى بدأ بكذبة، ومر بأكثر من خمسين ألف شهيد عراقـــى فى ثلاثة أسابيع، وانتهى بتفكيك مؤسسات الدولة ورفض إجراء انتخابات، ويبـــشر بعد عام من الاحتلال بنقل شكلى للسلطة، ويرفض وضع جـــدول زمنـــى لإنهـــاء الاحتلال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكرست مفردات المبادرة الأمريكية أسوأ الشكوك، ففـــى آخـــر طبعاتهـــا المنقحة "مشروع الشرق الأوسط الكبير"، الـــذى يـــسعى إلـــى دمـــج مـــشروعها الإصلاحى حيال المنطقة فى شراكة أوروبية إذ لم يقتصر المشروع علـــى تنحيـــة القضية الفلسطينية وإحياء مشروعات التعاون الإقليمى مع إسرائيل وهى تحتل بلـــداً عربياً وتهدد بلدانا أخرى، ولكن أيضاً بإحياء مفهوم صهيونى قديم للشرق الأوســـط يوسع نطاقه على نحو يجعل من الأمة العربية أقلية فيه، ويطمس الطابع الحضارى الثقافى للمنطقة العربية.

ومن المؤسف أن التحليلات التى أوردتها الدراسات والمناقشات التى تناولها هذا العدد سبقت الرد الأوروبى على المبادرة الأمريكية والذى تمثل فى المقترحات التى طرحها وزير خارجية ألمانيا، والآراء التى أبداها وزير خارجية فرنسا، ثم فى المشروع المشترك بين فرنسا وألمانيا بعنوان "من أجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط" والذى وقع تبنيه من جانب الاتحاد الأوروبى حيث أعلنت هذه المقترحات والمجلة ماثلة للطبع. ورغم أن تلك المقترحات والآراء تعالج بعض ثغرات المشروع الأمريكى وخاصة بالدعوة لإعادة إطلاق "نهج سلام فى الشرق الأوسط"، "وإنشاء حكومة مسئولة وسيدة فى العراق"، وتؤكد على استراتيجية للشراكة وليس الوصاية الأبوية، إلا أنها تنطوى بدورها على دلالات سلبية، إذ تخلص إلى أن أيا من المسألتين ينبغى ألا تعرقل تطوير شراكة على المدى الطويل، بينما تدرك أن احداهما فحسب، وهى القضية الفلسطينية كانت كافية لعرقلة الحوار العربى - الأوروبى الذى سبق أن انطلق فى السبعينيات.

ولا تكمن المشكلة فى كثرة الوصفات الطبية "لرجل الشرق المريض"، فحسب، والتى تستدعى إلى ذاكرة الأمة ذكريات مقيتة، ولكن تكمن المشكلة الحقيقية فى موقف حكوماتنا من قضية الإصلاح، فبينما أعربت تلك الحكومات عن رفضها "للوصفات الجاهزة، وأكدت على مبدأ الإصلاح من الداخل، وهو أمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نوافقها عليه انطلاقاً من الشكوك السالف الإشارة إليها، فإنها لم تطرح البديل الجدى للإصلاح، ولاذت بالحجج الجاهزة عن "الخصوصيات"، والشئون الداخلية، وأضافت شكوكاً فى قدرة المجتمعات العربية على تحمل الإصلاحات الديمقراطية. وفى ختام مداولاتها المشتركة لتكريس هذا الرفض، طرح ممثلوها مشروع وثيقة عهد بالإصلاح بين الحكام العرب.

ولا يمثل هذا الموقف استجابة صائبة للتحديات الجسيمة التى تواجهها البلدان العربية، فالخيارات المتاحة أمام حكوماتنا، ومجتمعاتنا لم تعد بين التطور والجمود، وإنما بين إصلاح ينبع من الداخل، وإصلاح يفرض من الخارج. وهو استخلاص لا يقوم على الرغبة فى توظيف ضغوط الخارج للحث على إصلاح الداخل، ولكنه يقوم على قراءة متأنية لواقع متغير. والمطلوب ليس وعداً بالإصلاح بين الحكام العرب، ولكن عقداً اجتماعياً جديداً بين القادة العرب والشعوب العربية، يقوم على إطلاق الحريات المدنية والسياسية، واحترام حقوق الإنسان، وفصل السلطات، واستقلال القضاء، وسيادة حكم القانون، والشفافية، والمحاسبة وغيرها من مبادئ الحكم الرشيد.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة تحليلية

د.نيفين مسعد

يفتح هذا العدد الجديد من مجلة قضايا حقوق الإنسان ملف الديمقراطية فى الوطن العربى، ويركز فى إطاره على المشروع الأمريكى لتطوير المنطقة ديمقراطياً أو ما صار يعرف فى الأدبيات ذات الصلة بالإصلاح السياسى فى الوطن العربى. ويرجع اختيار هذه الزاوية – أى زاوية الطرح الأمريكى – لمقاربة قضية الديمقراطية إلى أكثر من سبب، أحدها وربما أهمها أن إحلال الديمقراطية فى الشرق الأوسط، وفى القلب منه الوطن العربى، بات أحد أولويات الإدارة الجمهورية الأمريكية بعد أحداث ٩/١١ نتيجة إقامة سلسلة من العلاقات الارتباطية بين انعدام الديمقراطية وانتشار الإرهاب، وبين تحقيق الديمقراطية وإحلال السلام، وبين إحلال السلام والازدهار الاقتصادى، وبين الازدهار الاقتصادى والاستقرار السياسى، وبين الاستقرار السياسى وحماية المصالح القومية الأمريكية فى المنطقة.

وبطبيعة الحال فإن العلاقة بين هذه الظواهر لا تتداعى بالضرورة بهذا الشكل التتابعى، وهى نقطة نعود لمناقشتها لاحقاً – لكن يكتفى فى هذه الجزئية بالتأكيد على أن مثل هذا المنطق فى التفكير كان أحد أسباب دفع الديمقراطية إلى واجهة اهتمام إدارة بوش الإبن، وبالتالى جدارة المشروع الديمقراطى الأمريكى بالمناقشة.

السبب الثانى أننا إزاء تجربة أو اختبار لشكل النظام الديمقراطى الذى يراد تسويقه فى عموم المنطقة العربية بدءاً بالعراق، وبالتالى فإن أحد الاستفهامات المشروعة من قبل جميع الأطراف المرشحة لاستيراد "ديمقراطية العراق" هو إلى أين أفضت هذه الديمقراطية؟ وماذا حصدت من جوائز السلام والازدهار والاستقرار الموعودة؟ من المفهوم أن نحو عام على الاحتلال وعلى بدء "التطبيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الديمقراطى" فى العراق لا يتيح الحيز الزمنى الكافى لتقييم التجربة واستخلاص العبر، لكن إذا كانت نهايات الأمور مرتبطة ببداياتها، يكون من المفهوم أيضاً أن يثور الاهتمام ببداية التجربة الديمقراطية فى العراق حتى نقف على أرض صلبة ونتحسس مواقع أقدامنا لنتبين ماذا نأخذ من تلك التجربة وماذا نترك. وربم كان من حسن الطالع صدور قانون إدارة الدولة فى العراق والمجلة ماثلة للطبع، وذلك أنه وإن كان من المتعذر مناقشة بنوده فى هذه العجالة السريعة إلا أنه يمكن ابداء عدة ملاحظات بشأنه تتعلق بمنح "الأقلية" حق الفيتو على إرادة الأكثرية، ونفى هوية الدولة بربطها بهوية جماعية دون المجموع، والانتقال من تخويل مكونات المجتمع حق التخاطب بلغاتها إلى التغول على اللغة الرسمية للدولة. ويمكن قراءة هذه الملاحظات والبحث عن نظائرها فى دساتير الدول العريقة فى ديمقراطياتها بما فى ذلك الدستور الأمريكى نفسه، فإن هى تجاوزتها حق على الولايات المتحدة أن تصلح نفسها "ديمقراطياً" على النهج العراق وليس العكس.

السبب الثالث أنه وكما سبق أن حدث مع أطروحة صدام الحضارات التى انتقلت من حيث أنتجها صمويل هانتنجتون لتصير لب نقاشات النخب الثقافية والسياسية فى وطننا العربى، فإن الأطروحة الأمريكية للديمقراطية كما حدد أبعادها فى الأصل والأساس ريتشارد هاس، ثم بتفصيل هنا أو تنويع هناك طورها كولن باول، وريتشارد بيرل، وكونداليسا رايس، وجورج بوش الإبن نفسه، هذه الأطروحة فرضت نفسها على حوارات مثقفينا وساستنا وطالت مضمون الأطروحة ووتيرتها وآلياتها وأولوياتها، ولم يكن مقبولاً أن تتخلف المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن المشاركة فى هذا الزخم الفكرى وهى تعلم قبل غيرها أنه لا حقوق إنسان مرعية فى ظل ديمقراطية مهدرة.

على ضوء الخلفية السابقة تناقش هذه المقدمة نقاطاً ثلاثاً رئيسية، **أولاها** هى الخاصة بعناصر المشروع الأمريكى بأبعاده السياسية والاقتصادية والثقافية.

ويلاحظ فى هذا السياق أن المشروع يركز سياسيا على لا مركزية السلطة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتفعيل دور المجتمع المدنى وسيادة القانون واحتـــرام حريـــة الـــرأى والتعبيـــر. واقتصادياً على تشجيع المبادرة الفردية وتفعيل آليات السوق وجذب الاســـتثمارات الأجنبية. وثقافياً على تنمية قيم الحوار والتسامح مع الآخر واحترام حقوق المـــرأة، ودمج تلك القيم فى إطار عملية التنشئة الاجتماعية بأدواتها التعليميـــة والإعلاميـــة والحزبية.

والواقع أنه باستثناء التركيز على الليبرالية الاقتصادية رغم كل مـــا نجـــم عنها من اختلالات اجتماعية ومفاقمة مشاكل الفقر والبطالة فى بلـــدان لا تنقـــصها أسبابها، فإن المبادئ التى جاء بها الطرح الأمريكى هى مبـــادئ عامـــة يـــصعب الاختلاف معها أو نقضها. لكن لأن الشيطان يكمن فى التفاصيل، فإن التعمـــق فـــى قراءة المشروع الأمريكى يثير حزمة من الأسئلة على شاكلة: مـــاذا لـــو أفـــضت ممارسة حرية الرأى إلـــى وصـــول الإســـلاميين إلـــى الـــسلطة أو القـــوميين أو الاشتراكيين على سبيل الافتراض الجدلى؟ كيف يمكن ضمان سيادة القانون فى ظل تسويغ القضاء العسكرى خصوصاً بعدما أسبغت عليه الولايات المتحـــدة الـــشرعية وضمنته قانون Patriot بعد ٩/١١؟ إلى أى مـــدى يـــؤثر تجفيـــف منـــابع تمويـــل المنظمات غير الحكومية أو فى القليل ضبطها على هدف تفعيل المجتمع المـــدنى؟ كيف يمكن التعامل ثقافياً مع قضايا لها حساسيتها خصوصاً فى بعض المجتمعـــات العربية مثل قضية المرأة؟ وإذا كان القصد من تأكيد معنى الحوار واحترام الآخـــر إشاعة ثقافة السلام كبديل لثقافة العنف والصراع فهل يمكن أن يتخـــذ مثـــل هـــذا الإجراء من طرف واحد، بمعنى ألا نحتاج إلى مطالبة إسرائيل بمراجعـــة نفـــسها وتنقية مناهجها من القيم الحاضة على الكراهية والبغـــضاء، أو دعـــوة الولايـــات المتحدة إلى وقف حملات التحريض ضد العرب والمسلمين التى يشارك فيها كبـــار مسئولى الإدارة الأمريكية دون حديث عن الصحف الخاضعة للـــوبي الـــصهيوني؟ وقبل هذا وذاك هل يمكن أن تتغير القيم الثقافية فيما السياسات باقية على حالها؟ إن مبادئ الإصلاح السياسى (والاقتصادي والثقافي) الأمريكي التى تسير على نهج ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعرف فى تاريخنا العربى – الإسلامى بنصائح الملوك أو مرايا الأمراء تثير من الأسئلة أكثر ربما مما تقدم من إجابات.

النقطة الثانية، تتعلق بآلية الإصلاح حيث يثور السؤالان الجوهريان التاليان، **أحدهما** هل يمكن أن يتحقق الإصلاح أو تستقيم الديمقراطية فى وجود الاحتلال؟ والآخر هل يمكن فرض هذا الإصلاح أو تلك الديمقراطية من الخارج؟ فرضت التطورات السياسية على الساحتين العراقية والفلسطينية طرح السؤال الأول وأضفت عليه مشروعيته، وذلك من خلال إطلاق جدل نظرى محتدم حول العلاقة بين الاستقلال والديمقراطية: أيهما يمهد للآخر ويتقدمه؟ قيل فى أولوية الديمقراطية إن الديمقراطيات لا تتحارب وإن النظم الاستبدادية لا يمكنها إحلال السلام لأسباب كثيرة منها استخفافها بتعهداتها الدولية، وإن الاستبداد الداخلى أشد وطأة من كل صور الاحتلال العسكرى، وإن بعض الشعوب أضعف من حكامها وبالتالى فإن هى تركت وشأنها فلن تكون قادرة على أن تمارس التغيير بإرادتها، وإن تجربتى ألمانيا واليابان فى أعقاب الحرب العالمية الثانية تشهدان بدمج دولتين محاربتين فى الأسرة الدولية بعد خضوعهما لتجربة احتلال كانت فرصة لتشبعهما بقيم الديمقراطية ومبادئ العالم الحر. وقيل فى أولوية الاستقلال على الديمقراطية، إن المحتل تحركه مصالحه وليست مثاليات إحلال الديمقراطية فى الدولة التى يحتلها ويتعزز ذلك بمراجعة رفض الولايات المتحدة قيام نظام فى العراق "الحر" على شاكلة النظام الإيراني وإن كان أكثر ديمقراطية من بعض النظم التى تتحالف معها الولايات المتحدة. كما يتأكد بتأمل دعوتها لإصلاح السلطة الوطنية الفلسطينية واشتراطها ألا يسفر الإصلاح عن انتخاب القيادة الحالية نفسها وبالطبع فإن من المفهوم ألا يجرى انتخاب أى من ممثلى حركات المقاومة الموسومة أمريكياً بالإرهاب بحيث يصير الإصلاح مجوفاً سياسياً وقاصراً على البعد الأمنى دون سواه. هل نحن بحاجة إلى استدعاء ما هو أبعد من ذلك، أى المماطلة الأمريكية فى الاستجابة لدعوة المرجع الشيعى العراقى الكبير آية الله السيستانى تنظيم انتخابات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حرة فى العراق بزعم شيوع الفوضى، بحيث لا تكون المعضلة هى من يفوز فى الاقتراع بل يكون الاقتراع نفسه هو المعضلة؟.

على صعيد آخر، ذكر أن للديمقراطية متطلباتها الداخلية فى الأصل والأساس، وبالتالى فإنها لو فرضت فى ظل ظرف الاحتلال فإنه ليس ثمة ما يضمن أن تستقر هذه الديمقراطية، وذلك أخذاً فى الاعتبار أن الأدبيات النظرية تميز بين الانتقال إلى الديمقراطية وبين التحول إلى الديمقراطية، الأول مؤقت والثانى مستقر، وليس ثمة ما يقطع بأن يفضى الانتقال إلى التحول، أى ليس هناك ما يضمن أن يتحول المؤقت إلى واقع دائم، بل إن الفوضى قد ترث المشهد برمته.

على صعيد ثالث، فإن التذرع بتجربتي ألمانيا واليابان فيه من الخلط السياسى أكثر مما فيه من الحقيقة وذلك أن ألمانيا كانت دولة ذات تقاليد ديمقراطية قبل وقوعها فى قبضة الاحتلال، ومن شواهد ديمقراطيتها إطلاقها حركة الإصلاح الدينى بزعامة مارتن لوثر كينج، والإصلاح الثقافى بزعامة جوتنبرج، وفى تاريخها العديد من الأمثلة على تحرك مواطنيها للمطالبة بإجراء الانتخابات الحرة وتشكيل برلمان، أكثر من ذلك فإن الفترة الأكثر ديمقراطية فى هذا التاريخ والتى ارتبطت بتأسيس جمهورية فيمار قد وضع حد لها فى إطار تصفية الحسابات الدولية وتحديداً الانتقام من هزيمة فرنسا النكراء على يدى ألمانيا فى عام ١٨٧١. وفى كل الأحوال، وكما يشير البعض وبحق، فإن ألمانيا لم تكن نموذجاً مشعاً فى إقليمها الأوروبى كما يراد للعراق أن يكون، بل إن العكس تماماً كان هو الصحيح، أى أن المحيط الأوروبى هو الذى ألقى بإشعاعه الديمقراطى على ألمانيا.

وفيما يخص السؤال عن إمكانية فرض الديمقراطية من الخارج فلقد اكتسب وجاهة من التطورات المتسارعة على الساحة السودانية، تلك التطورات التى جعلت الاتفاق وشيكاً على إنهاء الحرب فى الجنوب بدور أساسى من طرف الولايات المتحدة وبتكلفة سياسية باهظة. فالاتفاق فى حده الأدنى يشرع تعدد النظم القانونية والدستورية فى إطار الدولة الواحدة، وفى حده الأقصى يهدد التكامل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإقليمى للسودان فى ظل احتمال أن يفضى الاستفتاء على حق تقرير المصير بعد ست سنوات إلى قيام دولة جنوبية مستقلة.

وتتفرع عن هذا السؤال الرئيسى جملة تساؤلات فرعية، أبرزها : هل يمكن تفكيك الدول البسيطة باسم رعاية التنوع الثقافى واحترام خصوصيات الجماعات الدينية؟ وما هو موضع تطبيق مثل هذه القاعدة على دول مثل المملكة المتحدة أو أسبانيا أو تركيا؟ وكيف نقيم مثل هذا التطور المحتمل على ضوء خبرة تفكيك الاتحاد السوفيتى ونشوء دول تابعة للخارج (جورجيا نموذجاً)؟

ومن شكل الدولة ننتقل إلى نظام الحكم فيها حيث يثور السؤال : ما هى حدود قدرة التفكير الأمريكى فى مجال تطوير السودان ديمقراطياً (بشماله وجنوبه) على التعامل مع واقع القبلية المميز له؟ أى هل تبنى الديمقراطية وفق أسس قبلية ترعى تعدديتها البالغة (أكثر من ٥٠٠ قبيلة) أم من منطلق إلغائها بكل ما يمكن أن يترتب على ذلك من فوضى بفعل تقويض بعض الآليات المجتمعية ذات الصلة؟.

النقطة الثالثة، ترتبط باستجابات النظم العربية لدعاوى الإصلاح السياسى حيث يبرز السؤال الأكثر أهمية : هل يمكن لنخب تتولى مقاليد السلطة فى بلدانها من عقدين أو ثلاثة أن تدير عملية الانتقال إلى الديمقراطية فضلاً عن التحول؟ .. إن إحدى آليات تلك النخب فى التعامل مع معضلة إحلال الديمقراطية فى بلدانها تتمثل فى تبنى برامج زمنية للإصلاح بعيدة المدى قد تصل إلى عشرين عاماً كاملة، وتراهن بذلك على قدرتها على ضبط إيقاع التطور الديمقراطى بما يتلاءم ومصالحها، وتجد فى بعض أدبيات الإدارة الأمريكية الحالية ما يعزز نظرياً موقفها من خلال الدعوة إلى التدرج فى إعمال الديمقراطية، وهى قراءة مغلوطة لسببين. أحدهما أنه عندما يتحدث بوش الإبن عن انطلاق التجربة الديمقراطية فى الولايات المتحدة قبل مائتى عام فإنه إنما يتحدث عن سياق دولى شديد الاختلاف، كما يتحدث عن نقطة مختلفة للبداية. والآخر أن النظم العربية تواجه استحقاقات مختلفة تجعل من المتعذر عليها أن تتخلف عن استيفائها كافة، فهناك الاحتقان الاجتماعى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والأزمة الاقتصادية فى بعضها، وهناك أولوية مواجهة الفساد السياسى فى كافتهـا، وهناك تنويعات على إشكالية التكامل القومى وسبل التعاطى معها فى معظمها، هـذا دون الحديث عن الحالة السورية التى تمثل وضعاً خاصاً بحكم مواجهتها اسـتحقاقاً إضافياً يتمثل فى تحرير الأرض.

إن المعضلة الكامنة وراء السؤال الذى سبقت إثارته أن النخـب الحاكمـة تدرك أنها تنفى نفسها وتقوض تجربتها السياسية عندما تفكر فى البدء بالإصلاح ثم مواصلته، والحالة الليبية نموذجية فى هذا السياق إذ إنه مـن غيـر المتـصور أن تتواصل عملية الانفتاح على الخارج من دون إعادة تقويم تجربة اللجـان الثوريـة والمؤتمرات الشعبية ومراجعة دورها على الساحة السياسية. وهـذا يبـرر تبـاطؤ وتيرة التغيير ويبرر استفهام أحد كبار الصحفيين فى مصر كرجع لصدى الـشارع المصرى : هل تسير الأمور فى مصر أبطأ من المطلـوب؟ والـسؤال مطـروح بالمفردات ذاتها على مختلف الأقطار العربية.

معضلة أخرى تحكم نمط الاستجابة لدعاوى الإصلاح وأفكار التطوير، وتلك هى معضلة الدولة الريعية، حيث السؤال المفتاح: هل يمكن إعمـال الديمقراطيـة واستتبابها فى ظل صيغة تقايض الرخاء الاقتصادى (النسبى) بالمشاركة الـشعبية، وتعطل الحقوق السياسية فى مقابل عدم سداد الضرائب؟ من المفهـوم أن الكويـت تمثل حالة مبكرة على طريق الديمقراطية فى الخليج، لكنها تعانى اختناقات متعـددة فى قضايا أساسية تتصل بحقوق المواطنة، كما تتناوبها دورات انقطاع فى الحيـاة البرلمانية فى ظل خلل لا تخطئه عين بين صلاحيات السلطتين التنفيذية والتشريعية هذا إلى أن الغموض المحيط بمدى القدرة على تكييـف القبليـة لواقـع الإصـلاح ومتطلباته مطروح فى الخليج كما هو مطروح فى السودان.

تلك نماذج لبعض القضايا والإشكاليات التى حدت بالمنظمـة إلـى اتخـاذ الديمقراطية محوراً لهذا العدد الجديد من مجلتها، كى تثير الاهتمام بهـا، وتتفاعـل مع المداخلات بشأنها، إن كنا نفكر بحق فى غد "جديد ومختلف" من منظور عربى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقتطفات من قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية

(الدستور المؤقت)

المادة التاسعة والخمسون:

(ب) تماشياً مع مكانة العراق كدولة ذات سيادة ورغبتها بالمساهمة مع دول أخرى فى حفظ الأمن والسلم ومكافحة الإرهاب خلال المرحلة الانتقالية ستكون القوات المسلحة العراقية مشاركاً رئيسياً فى القوة المتعددة الجنسيات العاملة فى العراق تحت قيادة موحدة وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ١٥١١ لسنة ٢٠٠٣ وأية قرارات أخرى لاحقة وذلك إلى حين المصادقة على الدستور الدائم وانتخاب حكومة جديدة وفقاً لهذا الدستور.

(جـ)حال تسلمها السلطة وتماشياً مع مكانة العراق كدولة ذات سيادة، ستكون للحكومة العراقية الانتقالية المنتخبة الصلاحية لعقد الاتفاقيات الدولية الملزمة بخصوص نشاطات القوة المتعددة الجنسيات العاملة فى العراق تحت قيادة موحدة، وطبقاً لشروط قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ١٥١١ لسنة ٢٠٠٣، وأى قرارات لاحقة صادرة عن مجلس الأمن ذات العلاقة. لن يؤثر أى شئ فى هذا القانون على الحقوق والالتزامات المترتبة على هذه الاتفاقيات أو المترتبة على قرار مجلس الأمن المرقم ١٥١١ لسنة ٢٠٠٣ أو أية قرارات أخرى لاحقة لمجلس الأمن بهذا الشأن تحكم أعمال القوة المتعددة الجنسيات إلى حين دخول هذه الاتفاقيات حيز التنفيذ.

المادة الواحدة والستون:

(أ)على الجمعية الوطنية كتابة المسودة للدستور الدائم فى موعد أقصاه ١٥ آب٢٠٠٥.

(ب)تعرض مسودة الدستور الدائم على الشعب العراقى للموافقة عليه باستفتاء عام. وفى الفترة التى تسبق إجراء الاستفتاء، تنشر مسودة الدستور وتوزيع بصورة واسعة لتشجيع إجراء نقاش عام بين أبناء الشعب بشأنها.

(جـ)يكون الاستفتاء العام ناجحاً، ومسودة الدستور مصادقاً عليها، عند موافقة أكثرية الناخبين فى العراق، وإذا لم يرفضها ثلثاً الناخبين فى ثلاث محافظات أو أكثر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية فى الوطن العربي

أحمد منيسي*

يحظى الوطن العربي بموقع جغرافي متميز فى قلب العالم، وهذا الموقع منحه مكانة فريدة على أجندة صنع السياسة الخارجية للقوى الكبرى التى تعاقبت على المسرح العالمى. فالوطن العربي يعد - وبحق - محوراً رئيسياً من محاور السياسة الدولية بمختلف أبعادها السياسية، والأمنية، والعسكرية، والاقتصادية(١).

وبحكم هذه الأهمية الفائقة، فقد وقع الوطن العربي فريسة للاستعمار الأجنبى فى وقت مبكر من القرن التاسع عشر والقرن العشرين، ولكنه لم يكن منطقة نفوذ تاريخى للولايات المتحدة، التى لم تكن قوة عظمى قبل الحرب العالمية الأولى، وكانت بريطانيا وفرنسا، وبحكم احتلالهما لمعظم الدول العربية، هما صاحبتا النفوذ التقليدى فى المنطقة العربية.

ذلك لا يعنى فى المقابل أن الوطن العربى كان غائباً عن وعى صانعى السياسة الخارجية الأمريكية فى هذا الوقت المبكر، فقد أرسلت الولايات المتحدة فى العام ١٩١٩ لجنة معروفة باسم"كينج-راين" لتقصى توجهات الشعب العربي فى كل من سوريا ولبنان وفلسطين بعد نهاية حقبة الاحتلال التركى(٢).

وبعد أن طرحت الولايات المتحدة نفسها كقطب ثان مع الاتحاد السوفيتي فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، ورثت العديد من مناطق نفوذ القوى الاستعمارية السابقة، وكان منها الوطن العربي.

وقد اختارت الولايات المتحدة أن تباشر نفوذها فى مناطق معينة من الوطن العربي، فكان تركيزها على المنطقة التى تضم دول الطوق بحكم وجود إسرائيل فى تماس مباشر معها، كما كان تركيزها على منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط التى انسحبت منها بريطانيا بشكل نهائي مع مطلع السبعينيات.

---

* باحث بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان وزير خارجية بريطانيا قد صرح مع نهاية عهد النفوذ البريطاني فى الخليج قائلاً "إن صيغة السلام البريطاني التى سادت العالم قد انتهت، وإن على الولايات المتحدة أن تتولى مسئولية الدفاع عن العالم الحر، وصد أخطار الشيوعية"[٣].

ساعد علي ذلك أن تأمين إمدادات النفط العربي للولايات المتحدة كان عاملا مهما فى العلاقات العربية الأمريكية، حيث أفرز تحالفا بين الطرفين. وكانت الولايات المتحدة أول من تزعم الدعوة لتشكيل تحالف دولي لتحرير الكويت بعد احتلالها من قبل العراق فى صيف ١٩٩٠، حيث كان هذا الاحتلال يهدد فى الصميم مصالح الولايات المتحدة النفطية فى الخليج.

على الجانب الآخر، كانت العلاقات الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل متغيراً سلبياً جوهرياً من حيث تأثيره فى مضمون العلاقات العربية الأمريكية، فعلى الرغم من أن العلاقات بين الطرفين (الأمريكي والعربي) على المستوى الرسمي كانت جيدة، إلا أن الدعم الأمريكى المطلق لإسرائيل وانحيازها التام ضد المصالح المشروعة للشعب الفلسطيني قد خلق مناخاً عربيا معاديا للسياسات الأمريكية.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الولايات المتحدة التى نظر إليها باعتبارها نموذجا متفردا للديمقراطية لم تتورع عن دعم النظم السلطوية فى الوطن العربي لحماية مصالحها من خلالها، وهذا العامل كسابقه كرس صورة سيئة للولايات المتحدة فى الذهن العربي، وهي الصورة التى غذاها فى الوقت نفسه سعى الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي- وبعد أن وجدت نفسها وحيدة على المسرح الدولي-إلى بسط هيمنتها على العالم، وتنميطه وفقا للنموذج الأمريكي دون مراعاة لمتغير الخصوصية الثقافية للشعوب والحضارات المختلفة.

وقد بدأ هذا التوجه الأمريكي للهيمنة يظهر بوضوح مع انتخاب بوش الإبن عام ٢٠٠٠ رئيسا للولايات المتحدة، وتشكيل إدارة يمينية متطرفة لم تسع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لبسط هيمنتها من خلال القوة المغلفة بقفاز حريري، كما كانت تفعل إدارة كلينتون السابقة، وإنما سعت لفعل ذلك من خلال استخدام القوة السافرة.

وكانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر/أيلول محطة مفصلية فى تطور السياسة الخارجية الأمريكية، حيث ترتبت عليها تحولات كبيرة، ما يهمنا منها هنا، هو التحول الذى حدث فى هذه السياسة تجاه الدول العربية، بطرح الولايات المتحدة ما تسميه : "ضرورة الإصلاح السياسي فى الوطن العربي".

وفى هذا الإطار، قدمت الولايات المتحدة العديد من مبادرات الإصلاح، أهمها المبادرة التى جاءت على لسان وزير الخارجية كولن باول، فى ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٢، تحت عنوان "مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط : بناء الأمل للسنوات القادمة"، وهى المبادرة التى أعيد تبنيها مرة أخرى بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، ومع تصاعد الحديث الأمريكي عن أهمية الإصلاح السياسي فى النظم العربية.

على ضوء الخلفية السابقة، تهدف الدراسة إلى تحليل موقف الولايات المتحدة من قضية الإصلاح السياسي فى الدول العربية، وذلك من خلال معالجة القضايا الأربعة الفرعية التالية:

١- تأثيرات أحداث ١١ سبتمبر/أيلول على السياسة الخارجية الأمريكية فيما خص الموقف من قضية الديمقراطية، أخذاً فى الاعتبار أن هذه الأحداث هى التى فجرت ما يسمى بالحرب على الإرهاب، وما جاء فى طياتها من حديث عن الإصلاح السياسي فى الوطن العربي.

٢- المبادرات التى طرحتها الولايات المتحدة للإصلاح الديمقراطي فى الوطن العربى، من حيث ما جاء بها من أفكار، وما تضمنته من آليات للتنفيذ.

٣- نموذج التدخل العسكرى الأمريكى فى العراق، وما يمكن أن يحمله من التزام بإحلال الديمقراطية التى قالت الولايات المتحدة إنها السبب فى احتلالها للعراق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤ - شروط تفعيل الدعم الأمريكى للديمقراطية فى الدول العربية.

أولا : تحولات السياسة الخارجية الأمريكية بعد ١١سبتمبر/أيلول:

ليس ثمة خلاف حول كون الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ يمثل محطة مهمة فى تاريخ العلاقات الدولية، وربما يكمن الخلاف فقط فى توصيف طبيعة اللحظة التى تمت فيها الاعتداءات على نيويورك وواشنطن فى ذلك اليوم، حيث يوجد اتجاهان فى هذا الصدد:

الأول: يرى أنها لحظة فارقة أدت إلى تشكيل سياسة خارجية أمريكية جديدة ذات معالم مختلفة عن تلك التى كانت قائمة من قبل.

الثاني: يؤكد أنها لحظة كاشفة، بمعنى أن السياسة الخارجية الأمريكية التى بدأت تتشكل عقب تلك الاعتداءات لم تكن جديدة. فقد كانت أسس هذه السياسة موجودة بالفعل، وكل ما فعلته الأحداث المشار إليها هو أنها كشفت واقع تلك السياسة، وقدمتها للعالم فى صورتها الحقيقية خالية من محاولات التجميل الزائفة، كسياسة تنزع بشدة نحو الهيمنة على مقدرات عالم ما بعد الحرب الباردة.

وبعيداً عن هذا الخلاف فإن ما يهمنا بالفعل أن أحداث ١١ سبتمبر/أيلول قد أنهت ما عُرف بنظرية الاستثناء الأمريكي، فعلى امتداد التاريخ ظلت الولايات المتحدة مجتمعاً محصناً ضد الاعتداءات الخارجية، حيث إن كل الحروب التى خاضتها، وكل الاعتداءات التى طالت مصالحها كانت تقع خارج حدودها، حتى حادثة "بيرل هاربر" الفريدة نفسها التى وقعت أثناء الحرب العالمية الثانية فقد كان مسرحها أبعد ولاياتها، وهى ولاية "هاواي" التى يفصلها ٣ آلاف كيلومتر عن اليابسة الأمريكية.

ومن ثم فإن أحداث ١١ سبتمبر/أيلول التى حملت المعركة إلى عمق الأراضي الأمريكية جاءت كالصدمة التى كان لا بد أن يتبعها تغير مهم فى السياسة الخارجية الأمريكية، ولقد تمثل هذا التغير واقعياً فى جانبين:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأول : خاص بمفهوم الأمن القومي الأمريكي الذى صار غير قادر على حماية الداخل الأمريكي نفسه، الأمر الذى عزز من تطرف الإدارة الأمريكية التى سيطر عليها اليمين المحافظ فى سعيها لتأمين الداخل الأمريكي بتعميق مساعيها للهيمنة الكونية، وتجفيف منابع الإرهاب الدولي.

الثاني : نحت هذه الإدارة فى تفسيرها لأحداث ١١ سبتمبر/أيلول منحى أن تلك الأحداث وقعت بسبب غياب الديمقراطية فى دول الشرق الأوسط التى جاء منها من اتهموا بتنفيذ تلك الأحداث، ومن هنا صار لديها قناعة بضرورة تغيير النظم السياسية غير الديمقراطية فى هذه الدول التى لم تقتصر شرورها، فى تصور الإدارة الأمريكية، على داخل بلدانها بل تعدته إلى خارج حدودها. فكان أن رأت الولايات المتحدة أنها يجب أن تتدخل لفرض الديمقراطية على هذه الدول، ولو بالقوة، على أساس أن فرض النمط الأمريكي سوف يجعل من يتبعونه موالين للولايات المتحدة.

وقد تولدت هذه القناعة جراء عدة أسباب، يتمثل أهمها فيما يلي:

- أن معظم المتهمين بارتكاب الأحداث كانوا من منطقة الشرق الأوسط، كما سلف القول، وقد رأت واشنطن أن هؤلاء أقدموا على فعلتهم كنوع من التنفيس عن حالة الاحتقان التى تسود بلدانهم.

- طبيعة الأفكار التى يتبناها تيار اليمين المحافظ، الذى سيطر على الإدارة الأمريكية فى هذه الفترة، وقوامها أن ثمة صراعا بين الخير والشر فى العالم، وأن الأخيار يجب أن يقفوا فى صف الولايات المتحدة، ومن لا يقف هذا الموقف فهو يقف فى خندق الأشرار! ويعتقد أنصار هذا التيار أن ثمة دوراً دولياً" رسوليا" للولايات المتحدة عليها القيام به لما تتمتع به من إمكانيات ووسائل لنشر الديمقراطية وإعادة هيكلة العالم على غرار نموذجها، أو على الأقل بما يتلاءم مع مصالحها[٤].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- تبلور اتجاه جديد فى السياسة الأمريكية قوامه أن دعم واشنطن للنظم غير الديمقراطية يعزز مشاعر الكراهية لها، ويجعلها هدفا للمتطرفين من مواطني الدول التى تحكمها هذه النظم.

ومن هنا جاء الحديث الأمريكى عن التغيير الديمقراطي فى الوطن العربي، وهو ما سوف نتناوله فى الجزئية التالية.

ثانيا: المبادرات الأمريكية لدعم الديمقراطية فى الوطن العربي:

يعتبر الاهتمام الأمريكى بقضية التطوير الديمقراطي للوطن العربي اتجاهاً جديداً فى سياستها حياله، حيث لم تشكل هذه القضية محدداً لطبيعة العلاقات بين الطرفين، بل إن من الصحيح أن الولايات المتحدة تجاهلت عامدة هذا المتغير فى علاقتها بالدول العربية، بل ودعمت نظم الحكم المحافظة ما رعت المصالح الأمريكية.

وفى هذا السياق نشير إلى ما قاله الدبلوماسي الأمريكي المخضرم مارتن إنديك، حول طبيعة علاقات إدارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون بالدول العربية، ومفاده:"إن إدارة كلينتون قامت بترتيب صفقة مع حلفاء أمريكا ظلت قائمة بصورة أو بأخرى حتى أحداث ١١ سبتمبر/أيلول، كان أساسها أن تقدم الدول العربية المعتدلة القواعد، والتسهيلات العسكرية للقوات الأمريكية لمساعدتها على احتواء الدول المارقة، وتدعم أيضاً جهود واشنطن فى تسوية الصراع العربي الإسرائيلي مقابل امتناع واشنطن عن ممارسة أية ضغوط على هذه الدول للتغيير الديمقراطي"(٥). والواقع أنه بالإضافة إلى الأسباب التى ذكرها إنديك فلقد كان للتجاهل الأمريكي لأهمية نشر الديمقراطية فى الوطن العربي مبررات يتمثل أهمها فيما يلي:

- كانت الولايات المتحدة تتخوف من أن تؤدى الديمقراطيات العربية إلى تولي الإسلاميين الحكم، وهو ما يحمل، أو تتصور الولايات المتحدة أنه يحمل،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خطراً جسيماً على تأمين مصالحها الحيوية فى المنطقة، وقد يكون من المفيد الإشارة فى هذا الإطار إلى دعم واشنطن لانقلاب الجيش الجزائري على الانتخابات البرلمانية التى أجريت عام ١٩٩١، حينما كادت الانتخابات أن توصل التيار الإسلامي إلى مقاعد السلطة، وقد بين هذا الموقف كيف تقف الولايات المتحدة موقفا مناهضا للديمقراطية تخوفا من تولى الإسلاميين للسلطة.

- حتى مطلع التسعينيات كان اهتمام الولايات المتحدة منصبا على مواجهة الشيوعية، والحيلولة دون اكتسابها أراض جديدة، وكان لهذا الاهتمام انعكاساته السلبية على اهتمام الولايات المتحدة بدعم الديمقراطية فى العالم خاصة أن بعض الدول التى ساندت الولايات المتحدة فى محاصرة المد الشيوعي، كانت دولاً غير ديمقراطية.

- كان من المفيد للولايات المتحدة أن تتعامل تعاملاً سلساً مع نظم غير ديمقراطية، يتحكم فيها شخص واحد، بحكم أن هذا الشخص غير مقيد على عكس الحال فى النظم الديمقراطية التى يكون فيها الحاكم عاجزا عن اتخاذ قرارات منفردة، ويتعين عليه الرجوع إلى ممثلي الشعب المنتخبين بطريقة أو بأخرى.

لكن فى سياق التحول الذى طال السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول بدأت الولايات تطرح عدة مبادرات للتغيير الديمقراطي فى الوطن العربي، وذلك على النحو التالي:

- فى خطاب الرئيس بوش الذى ألقاه فى ٢٤ يونيو/حزيران ٢٠٠٢، وخصصه للحديث عن الشرق الأوسط، تحدث الرئيس الأمريكي عن رؤيته لحل الصراع العربي الإسرائيلي بشكل نهائي مما ينطوى عليه ذلك من الإعلان لأول مرة عن دعم إقامة دولة فلسطينية بحلول نهاية عام ٢٠٠٥؛ ولكى يتحقق ذلك طالب بوش بجملة من الإصلاحات"الديمقراطية" فى السلطة الفلسطينية قوامها انتخاب"قيادة جديدة ومختلفة "فى إشارة إلى رفض إعادة انتخاب الرئيس ياسر عرفات وبالقطع أيضاً عدم انتخاب أيٍ من ممثلي الحركات الجهادية الإسلامية، مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التأكيد على ضرورة التزام هذه القيادة بإعمال معايير الشفافية والمحاسبة. وفي الواقع فإن ما طالب به بوش الفلسطينيين، لم يكن سوى نموذج لمطالب أمريكية لاحقة من كافة الدول العربية وإن كانت بتنويعات مختلفة. ومن ثم يمكن اعتبار هذا الخطاب بمثابة الخطوة الأولى على طريق السياسة الأمريكية الجديدة تجاه الوطن العربي.

- وفى سبتمبر/أيلول ٢٠٠٢، صدرت وثيقة جديدة للأمن القومي الأمريكي، جاء فيها أن الفقر والفساد والمؤسسات الضعيفة تهيىء التربة الخصبة لانتشار شبكات الإرهاب، وكافة الأخطار التى يتعرض لها العالم الحر، ولذلك اعتبرت هذه الوثيقة أن الولايات المتحدة التى تعرضت للخطر فى سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ من حقها التدخل لإحداث إصلاحات سياسية لا سيما فى الدول العربية والإسلامية للحفاظ على أمنها الذى لم يعد يقتصر على حدودها. حتى لو تطلب ذلك استخدام القوة العسكرية. وقد تبنت الوثيقة جملة من المبادئ تتمحور حول تحفيز الإدارة الأمريكية على التدخل لإحداث الانتقال الديمقراطي المطلوب فى هذه الدول.

ومن بين مبادرات الإصلاح الديمقراطي التى طرحتها الولايات المتحدة للوطن العربي، تلك المبادرة التى جاءت على لسان وزير الخارجية كولن باول والتى سبقت الإشارة إليها.

وقد أثارت هذه المبادرة اهتماما وجدلا كبيرين فى الأوساط الثقافية العربية، كونها حملت مشاريع مطروحة للتنفيذ، وآليات محددة لهذا التنفيذ، أى أنها لم تكن مجرد دعوة أو فكرة للإصلاح، وكان باول قد أعلن عن هذه المبادرة فى خطاب ألقاه فى مؤسسة التراث بواشنطن فى ١٢ ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٢، وأقامها على ثلاث ركائز رئيسية هى :

- الشراكة مع القطاعين الخاص والعام لسد فجوات الوظائف بإصلاح اقتصادى، واستثمار للأعمال، وتنمية القطاع الخاص.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- الشراكة مع النخبة السياسية لسد فجوة الحرية بمشاريع لدعم المجتمع المدني، وتوسيع نطاق المشاركة السياسية.

- الشراكة مع أولياء الأمور من خلال مدارس أفضل، ومزيد من الفرص للتعليم العالي.

وفى كل مجال من هذه المجالات الثلاثة، قال باول إن واشنطن ملتزمة بإقامة علاقة شراكة فى اتجاهين: أحدهما مع المواطنين ودول المنطقة، والآخر مع الكونجرس وربما مع جهات مانحة أخرى.

وقد تلا مبادرة باول طرح الولايات المتحدة مشروع التجارة الحرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، وهو ما أعلن عنه الرئيس جورج بوش فى مايو/آيار ٢٠٠٣ أى بعد احتلال العراق، الأمر الذى عُد إيذاناً ببدء العمل على تنفيذ المبادرة.

وكان أهم ما جاء فى هذا المشروع ما يلي:

- العمل مع حكومات العالم العربي وشعوبه من أجل الفرص الاقتصادية والسياسية والتعليمية للجميع.

- تقديم ما يزيد على ألف مليون دولار من المساعدات للدول العربية سنويا، وذلك إضافة إلى ما سبق أن تعهدت به الولايات المتحدة فى مبادرة باول وهو بشكل مبدئي تخصيص ٢٩ مليون دولار كتمويل لبرامج الإصلاح المرجوة، علماً أن هذا المبلغ تمت زيادته إلى ١٠٠ مليون دولار سنويا.

ومن أمثلة البرامج التى تعهد المشروع بتمويلها :

- فى مجال التعليم، برنامج "شراكات فى سبيل العلم" لتشاطر المعرفة مع جميع شرائح المجتمع فى الشرق الأوسط بوسائل من قبيلها تنظيم ورش عمل على شاكلة ورشة عمل جامعة ولاية جورجيا التى أعدت لقادة المنظمات غير الحكومية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشارك فيها ممثلون لكل من المملكة العربية السعودية والكويت واليمن والإمـــارات العربية المتحدة، وعبر تقديم المنح الدراسية، وإعداد برامج بهدف تدريب المعلمين.

- وفى مجال الإصلاح الاقتصادى، من خلال تقـديم مـساعدات للـدول العربية الأعضاء فى منظمة التجارة الدولية لتمكينها من الامتثال لالتزاماتها، ودعـم مؤسسات القطاع الخاص مالياً وفنياً تعزيزاً لرجال الأعمال الواعدين ولمـشاريعهم التجارية.

- وفى مجال دعم المجتمع المدني، من خلال مـساعدة المنظمـات غيـر الحكومية، والأفراد المنتمين إلى جميع الفئات السياسية العاملين فى سبيل الإصـلاح السياسي من خلال آليات كصندوق ديمقراطية الشرق الأوسط، ودعم إنشاء مزيـد من المنظمات غير الحكومية ووسائل الإعلام المستقلة، والمنظمات التـى تـشرف على إجراء الاستفتاءات، ومؤسسات الفكر والرأى على نحو يهيئ أسسا ديمقراطية صالحة للبناء عليها.

وكان آخر ما طرحته الولايات من مبادراتهـا ذات الـصلة، مـا سـمي بمبادرة"الدبلوماسية الشعبية" التى صدرت فى أكتوبر/تشرين أول ٢٠٠٣، وفحواهـا تفعيل التواصل مع المجتمعات العربية والإسـلامية لتحـسين صـورة الولايـات المتحدة، عن طريق آليات النفاذ المباشر إلى تلك المجتمعات عبر الإعلام الموجـه وبوسائل لا تختلف عن سابقاتها من قبيل المنح الدراسـية للطـلاب مـن عـرب ومسلمين للدراسة فى الولايات المتحدة[٦].

مثل هذه المبادرات الأمريكية للإصلاح السياسي فى الوطن العربي كـان من شأنها إثارة العديد من التساؤلات، منها ما يتعلق بدلالاتها المباشرة، ومنهـا مـا ينصرف إلى الفرص المتاحة أمام نجاحها.

١ - **فيما يتعلق بدلالات هذه المبادرات**، طرحت العديد من وجهات النظر فى هـذا السياق، يتمثل أهمها فيما يلي[٧].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- إن مطالبة الولايات المتحدة بالإصلاح السياسي لم تعد قاصرة على النظم المعادية لها، بل والصديقة لها أيضاً، وإن الولايات المتحدة سوف تعمد لتحقيق هذا الإصلاح المزعوم من خلال وجودها العسكري المباشر فى المنطقة، واختراق مجتمعاتها، أى أنها لن تقنع بتنفيذ ما تهدف إليه عن طريق النخب الحاكمة.

- حدوث تغير واضح فى الإستراتيجية الأمريكية إزاء الدول العربية، حيث لم تعد هذه الإستراتيجية قاصرة على ضمان تدفق النفط، وإنما أصبحت تسعى إلى التدخل المباشر فى الشأن العربى بهدف إحداث تغيرات فى البناء الداخلى للنظام العربى. وفى السياق نفسه، باتت الولايات المتحدة أكثر حساسية لاحتمالات تفاقم الصراع العربى الإسرائيلى بما قد يهدد مصالحها، الأمر الذى يفسر حرصها على فرض تسويته ولكن بالصيغة التى تراها مناسبة، وهى العبارة التى تفيد الانحياز لوجهة نظر إسرائيل الحليف الإستراتيجي للولايات المتحدة.

- تندرج مبادرات الإصلاح الأمريكية المطروحة للدول العربية بما تؤدى إليه من وجودها على أراضى تلك الدول فى سياق محاولة الولايات المتحدة تعزيز هيمنتها على العالم.

- تمثل مبادرات الإصلاح الأمريكية نسخة جديدة من المشروع شرق الأوسطى الذى حاولت واشنطن فرضه فى مطلع التسعينيات وفشلت فى ذلك، ويتضح هذا من الطابع الهيكلى الذى يميز تلك المبادرات، والتى تهدف إلى تنميط المجتمعات العربية بما يقضى على ممانعتها لصيغة جديدة من هذا المشروع مرة أخرى.

٢ - أما فيما يتعلق بفرص نجاح الولايات المتحدة فى دعم الديمقراطية فى الوطن العربى، فإن الاتجاه الغالب بين المحللين كان مع ضعف هذه الفرص استناداً إلى حقيقة أن الديمقراطية ليست وصفة جاهزة يمكن تصديرها من مجتمع إلى آخر،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بغض النظر عن التباين فى ظروفهما. واستناداً أيضاً إلى طبيعة المشروع الأمريكى للتغيير الديمقراطى فى الوطن العربى، والذى ينطوى على خطأين كبيرين، هما[٨] :

- خطأ فى التصور الذى صدر عنه، والافتراض الذى قام عليه؛ لأن التغيير الديمقراطى لا يتحقق بقرار من أعلى، ناهيك عن أن يتم نتيجة إرادة عابرة للحدود.

- المشروع الأمريكى مستفز أيضاً، إذ يزعم أصحابه لأنفسهم القدرة على إعادة تشكيل المنطقة بإرادة منفردة، ويغتصبون بذلك حقاً أصيلاً للشعوب؛ ولذلك كان من الطبيعى أن تحجم الدول العربية عن مد أى يد لمساعدتهم عندما بدا تعثرهم فى العراق.

وخلاصة هذا الرأى أن الديمقراطية لا يمكن أن تكون نتاجاً لضغط خارجى، فالعنصر الخارجى قد يعزز التطور الديمقراطى لكنه أبداً لا يخلقه من العدم. ذلك لا ينفى حسب أنصار هذا الرأى أن البلدان العربية ترفض الديمقراطية أو أن مجتمعاتها غير مهيأة لها، لكن العكس هو الصحيح فالدعوة للحرية، ومقاومة الاستبداد، كانت جزءاً لا يتجزأ من الوعى السياسى العربى. وبالتطبيق على الحالة المصرية على سبيل المثال يتضح أن مصر احتضنت قبل مائة عام المفكر العربى الكبير عبد الرحمن الكواكبى، واحتفلت بكتابه "طبائع الاستبداد" الذى فصل فيه على نحو مدهش قيمة الحرية والديمقراطية، ومثالب الاستبداد والمستبدين! وتلازم كفاح مصر من أجل الاستقلال وحرية الوطن.. مع كفاحها من أجل الدستور وحرية المواطن. وشهدت سنوات الحقبة الليبرالية فى مصر (بين ١٩٢٢و ١٩٥٢) أفضل ما أنتجه الفكر المصرى والثقافة المصرية والفن المصرى[٩]. وعلى أى الأحوال، فإن الحالة العراقية تمثل مختبراً هاماً لدعاوى الولايات المتحدة بدعم الإصلاح السياسى فى الوطن العربى، وهو ما نتناوله فى الجزئية التالية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً : الحالة العراقية نموذجاً

خاضت الولايات المتحدة الحرب على العراق؛ لتحقيق جملة من الأهداف الفرعية التى قد يكون من بينها - وليس أهمها - تأسيس نموذج ديمقراطى فى العراق، إذا لم يتعارض ذلك مع مصالحها فى العراق وفى المنطقة.

فالهدف المركزى لهذه الحرب يتمثل فى خلق شرق أوسط "مسالم أومهادن" تختفى فيه أية ممانعة للسياسات الأمريكية فى المنطقة، ولا تشتغل فيه أية آليات استقواء متبادل بين بلدانها تساعد على عدم الخضوع لإملاءات تلك السياسة(١٠).

وفى الواقع، فإن تتبع السلوك الأمريكى تجاه العراق يوضح أن الأخير كان مستهدفاً منذ تولت الإدارة الأمريكية الحالية مقاليد السلطة فى البيت الأبيض. فقد ساقت الولايات المتحدة حججاً عديدة لتبرير غزوها للعراق، فادعت فى البداية تورط نظام صدام حسين فى أحداث الحادى عشر من سبتمبر/أيلول، ثم ثنت بادعاء حيازته أسلحة الدمار الشامل، وراهنت على عدم تعاونه مع فريق التفتيش، فلما أبدى صدام تعاوناً مع هذا الأخير، اتخذت من إطاحته ذريعة لغزو العراق.

وللتأكيد على ما سبق نشير إلى أنه فى عام ١٩٩٨ كتبت مجموعة من الأمريكيين المتنفذين رسالة مفتوحة إلى الرئيس السابق بيل كلينتون طالبته فيها باعتماد سياسة تفضى إلى إزاحة النظام العراقى حتى لو اقتضى الأمر أن تقدم الولايات المتحدة على ذلك العمل منفردة. لكن كلينتون لم ينفذ هذا المطلب، واعتمد سياسة إبقاء الحال على ما هو عليه (الحصار الخانق والقصف العسكرى المتكرر)، الأمر الذى كان يعنى استمرار معاناة الشعب العراقى. لكن ذلك لم يكن يعنى أن تغيير النظام العراقى كان بعيداً بالكلية عن إدارة كلينتون، لكنه كان يتصور إمكان تحقيق هذا الهدف باستخدام سلاح العقوبات، فكثيرا ما أكدت مادلين أولبرايت وزيرة خارجيته أن العقوبات الاقتصادية تستهدف فى جانب منها "تغيير النظام الحاكم فى العراق". ومن بعد اتخذ جورج بوش الابن قرار الحرب على العراق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضارباً عرض الحائط بالشرعية الدولية، وموقف الرأى العام العالمى بل وبعض القوى السياسية فى الداخل الأمريكى، ولا غرابة فى ذلك، فالذين بعثوا الرسالة المشار إليها، هم الذين يشكلون أركان الإدارة الأمريكية الحالية(١١).

وما يعنينا التعرض له فى هذا السياق هو السلوك الأمريكى فى العراق بعد احتلاله، لجهة تحقيق الديمقراطية بعد أن تبددت أكذوبة أسلحة الدمار الشامل.

١ - أخطاء بالجملة

يبدو أن الولايات المتحدة كانت لديها خطة لهدم العراق دون أن تملك خطة لبنائه ديمقراطياً بعد إطاحة نظام صدام، ربما لأن هدف الديمقراطية لم يكن سوى زعم آخر زائف، تماماً مثل أكذوبة أسلحة الدمار الشامل؛ ومن ثم فقد وقعت فى سلسلة من الأخطاء الجوهرية التى دعمت الرؤى القائلة بأن الهدف من الغزو كان هو نفط العراق، وتحقيق أمن إسرائيل، وليس إحلال الديمقراطية كما أعلنت واشنطن.

فمنذ اللحظة الأولى لدخول القوات المحتلة قلب العاصمة بغداد فى التاسع من أبريل/نيسان ٢٠٠٣، لم تعبأ الولايات المتحدة سوى بتأمين حقول النفط، فى الوقت الذى لم تحرك فيه قواتها ساكناً لوقف عمليات السلب والنهب والفوضى التى سادت البلاد بعد سقوط نظام صدام، بما فيها سلب ونهب التراث العراقى الذى يجسد آثار حضارة يزيد عمرها على تسعة آلاف عام.

وقد أكدت هذه الواقعة وبشكل مبكر جداً على أن الحرب الأمريكية كانت تفوح منها رائحة النفط منذ البداية، إضافة إلى أهدافها الأخرى، التى تصب فى اتجاه تدشين حلم الإمبراطورية الأمريكية انطلاقاً من هذه المنطقة الرخوة المسماة بمنطقة الشرق الأوسط، والتى لا يمثل العراق الديمقراطى هدفاً مركزياً فيها إلا بقدر ما يخدم المصلحة الأمريكية.

ثم كانت خطوة إضفاء الشرعية على الاحتلال من خلال قرار مجلس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمن رقم ١٤٨٣ الذى صدر فى ٢٢ مايو/آيار ٢٠٠٣، والذى رفع العقوبات عن العراق، وفى المقابل اعترف بالقوات الأمريكية والبريطانية كقوات احتلال، ولم يحدد موعداً لتشكيل الحكومة العراقية المنتخبة التى قال (أى القرار) إن قوات الاحتلال سوف تهيئ الأجواء لتشكيلها.

فى السياق نفسه، قامت الولايات المتحدة بحل الجيش العراقى، وسرحت أفراده، وقضت بحل أجهزة الأمن والإعلام على النحو الذى أدى إلى هدم الكثير من ركائز الدولة العراقية. وتزامن مع ذلك كله، إعلان الولايات المتحدة عن خطة طموحة لإعادة هيكلة المجتمع العراقى وفق تصورها، فطرحت العديد من الأفكار حول تغيير النظام التعليمى والثقافة السائدة تسييدا للنموذج الأمريكى بغض النظر عن مدى تلاؤمه مع خصوصية الشعب العراقى، وهى الخطوات التى أدت إلى اتساع رقعة التذمر من الاحتلال، وسرعت من وتيرة عمليات المقاومة.

٢ - مجلس الحكم الانتقالى

حاولت الولايات المتحدة أن تخفف من وقع الاحتلال، فقامت بتشكيل مجلس الحكم الانتقالى، لكن الصيغة التى شكل بها هذا المجلس، والصلاحيات التى منحت له أكدت على أن المجلس أيضاً كانت خطوة فى الاتجاه الخطأ، وذلك للأسباب التالية :

- أهمل المجلس تمثيل العديد من الأحزاب والفصائل الوطنية المعارضة للاحتلال؛ ولذلك لقى معارضة شديدة من هذه التنظيمات.
- أعطيت للمجلس صلاحيات محدودة لا تشمل المسائل الأمنية ونحوها من المسائل التى تشكل جوهر مفهوم سيادة الدولة، التى ظلت فى قبضة الاحتلال.
- تم تشكيل المجلس وفقاً لتركيبة تكرس الطائفية والعرقية، حيث جاء تشكيله على أساس طائفى بين السنة والشيعة، وعلى أساس عرقي في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمثيل الأكراد والتركمان والعرب.

وفى الواقع، فقد بدا تشكيل المجلس على هذا النحو بغرض تحقيق جملة من الأهداف الأمريكية الخالصة، يتمثل أهمها فيما يلى:

- الإيعاز بأن الولايات المتحدة أوفت بوعودها بإعطاء العراقيين فرصة إدارة شئون بلادهم والتحكم فى ثرواتها، وأنه ليست لديها مطامع خاصة فى العراق.
- سحب البساط من تحت أقدام المقاومة العراقية المتصاعدة ضد القوات الأمريكية، وتصويرها على أنها لا تعبر عن مشاعر أكثرية العراقيين بل تمثل خيار أقلية تضم عناصر النظام المخلوع.
- وضع العراقيين أمام امتحان صعب لاختبار قدرتهم على إدارة هذا المجلس بتركيبته المعقدة، وإدارة خلافاتهم فى إطاره بشكل سلس بحيث إذا ما فشلوا يكون ذلك مبرراً لبقاء الاحتلال.

٣- محاولة تعديل المسار : ارتباك واضح

أدى سلوك الاحتلال الأمريكى المتخبط إلى تصاعد الرفض والمقاومة من الجانب العراقى، وقد أفرز هذا السخط والمقاومة سلسلة من المراجعات الأمريكية لما سبق إعلانه على أثر سقوط بغداد. ففى البداية تراجعت واشنطن عن تعيين الجنرال (جى جارنر) الليكودى التوجه، وأحلت الحاكم المدنى (بول بريمر) مكانه بسبب عدم ترحيب العراقيين به.

كما تراجعت واشنطن عن فكرة توسيع دور الأمم المتحدة فى العراق، والمطالبة بها كشريك فى تحمل أعباء إعادة أعمار العراق وحفظ الأمن، خصوصاً مع تزايد الانتقادات لها كقوة احتلال أجنبية. وبعد أن كانت ترفض بشكل قاطع مشاركة قوات دولية، أصبحت واشنطن تلح على إشراك دول حلف الناتو، وتستحث دولاً أخرى لإرسال قواتها إلى العراق لحفظ الأمن وبالتالى تخفيف العبء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عن القوات الأمريكية. فى السياق نفسه، وبعد أن كانت واشنطن قد أعلنت فى بداية الاحتلال عن تعيين مجلس استشارى انتقالى عراقى يتولى الحكم، وإجراء انتخابات، ووضع دستور جديد نكصت عن وعدها وأعلنت رسمياً فى أواخر مايو/ أيار ٢٠٠٣ عن تأجيل فكرة المجلس الانتقالى، والاكتفاء بتعيين مساعدين للحاكم الأمريكى. ثم مع تصاعد عمليات المقاومة تراجعت إدارة الاحتلال مجدداً وعادت لفكرة تشكيل المجلس الانتقالى، والتمهيد لوضع دستور جديد، ونوهت إلى قرب انتهاء الاحتلال لتهدئة العراقيين. وأخيراً أعلن بول بريمر أنه يجب تسريع عملية نقل السلطة للعراقيين، وتشكيل حكومة انتقالية تشرف على إجراء انتخابات ووضع دستور للبلاد.

مثل هذا السلوك الأمريكى المتخبط، يؤشر للموقع الفعلى للديمقراطية على الأجندة التى خاضت الولايات المتحدة حرب الإطاحة بنظام صدام، واحتلت العراق على أساسها، فلو كانت الولايات المتحدة تعنى ببناء الديمقراطية فى العراق لامتلكت خطة تحقيق هذا الهدف، ولتوجب على بوش فى الخطاب الذى ألقاه بمناسبة نهاية الحرب أن يعلن تلك الخطة.

وعلى أى الأحوال، فإن هذه المراجعات ربما تكون قد أفسحت للمطلب الديمقراطى مكاناً على قائمة الأهداف الأمريكية، بفعل تصاعد الرفض العراقى والعربى والدولى لاستمرار الاحتلال، وانكشاف كذب الإدارة الأمريكية فى موضوع أسلحة الدمار الشامل. لكن يظل هناك العديد من العراقيل التى تواجه تحقيق هذا الهدف، من بينها أو من أهمها ما يلى:

١ - هدم الدولة العراقية

قامت الولايات المتحدة – كما سلف القول – بإلحاق أضرار كبيرة بالبنية التحتية للدولة العراقية، وذلك حينما أقدمت على تخريب الكثير من المرافق الحيوية كالجسور ومحطات المياه ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، وأهم من ذلك حل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعض المؤسسات الرئيسية وفى مقدمتها المؤسسة العسكرية. مثل هذه الممارسات تسببت فى شيوع حالة من الانفلات الأمنى تزايدت حدتها مع تصاعد وتيرة أعمال المقاومة.

٢ - المعضلة الشيعية

أتاح انهيار نظام صدام حسين الفرصة لإعادة "بعث" المجتمع العراقى من جديد، هذا المجتمع الذى يشار إلية بوصفة شديد الثراء اجتماعياً على نحو ما سوف يفصل لا حقاً.

وفى الوقت نفسه، أتاح هذا الانهيار الفرصة أمام التيارات السياسية والاجتماعية المختلفة للتعبير عن نفسها، ولان الشيعة يمثلون حوالى ٦٠ بالمائة من إجمالى سكان العراق، فقد كان من الطبيعى أن يكونوا هم الأكثر ظهوراً على الساحة السياسية فى هذه المرحلة الدقيقة من مراحل التطور السياسى العراقى، الأمر الذى أثار حفيظة الولايات المتحدة كونها تنظر إليهم بحسبانهم طابوراً خامساً لإيران، وتتحسب من إجراء انتخابات حرة قد تفوز فيها الأغلبية الشيعية.

وعلى الرغم من كراهية التساؤل حول حقيقة كون شيعة العراق بالفعل يعدون طابوراً خامساً لإيران، لأن مثل هذا التساؤل ينبثق عن عقل تآمرى، فإن مناقشته قد تكون جديرة بالاعتبار بالنظر إلى خطورة هذه القضية.

ولعل أول ما نلحظه فى هذا الإطار، ضعف تماسك الطائفة الشيعية نفسها حيث نجد أن ثمة تنويعات عديدة داخل هذه الطائفة ما بين شيعة الصحراء، وشيعة الريف، وشيعة المدينة، واختلاف كبير فى طبيعة الأفكار السائدة بين إقليم وآخر بشكل لا يمكن الحديث معه عن إطار مرجعى واحد للجميع على المستوى الفكرى وعلى الصعيد التنظيمى لا ينضوى شيعة العراق فى تنظيم واحد، بل تتعدد تنظيماتهم على نحو يصعب نسبتها كافة لطرف خارجى.

ومن ناحية ثانية، فإن الفكر السائد بين شيعة العراق يختلف بوضوح عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نظيره بين شيعة إيران، فالأول يتميز بأنه أقل تشدداً مقارنة بمثيله الإيرانى، وهو يقدم المذهب الشيعى فى شكل جديد أكثر انفتاحاً على العالم. وينبع ذلك من أن المذهب الشيعى لدى علماء إيران يرتكز على مجموعة من فتاوى الإمام الخومينى وآرائه التى لم تتوقف عند حد كونها تفسيرات دينية بل تحولت إلى أيديولوجيا سياسية. ومثل هذا التباين يضع حداً إضافياً لفكرة الطابور الخامس خصوصاً على ضوء القلق العميق الذى يسود إيران من الازدهار المحتمل لمرجعية النجف، وما يمكن أن يتمخض عن ذلك من التشكيك فى مصداقية ولاية الفقيه.

وقد يكون من المفيد أيضاً التذكير بأن المناطق الجنوبية من العراق التى تقطنها أغلبية شيعية، قد قاومت بشدة القوات الغازية الأمريكية والبريطانية، وخاضت معارك حقيقية ضد هذه القوات، هذا فى الوقت الذى أعلنت فيه إيران الحياد تجاه الحرب الأمريكية ضد العراق. كما سبق أن قاتل الشيعة العراقيون إلى جانب إخوانهم السنة ضد إيران فى حرب الخليج الأولى التى امتدت لثمانية أعوام ما بين ١٩٨٠ – ١٩٨٨.

٣- صعوبة التعامل مع التركيبة المجتمعية للشعب العراقى

يعد المجتمع العراقى واحداً من أكثر المجتمعات العربية تعددية على المستوى القومى والدينى والمذهبى، فعلى المستوى القومى يشمل العراق جماعات من العرب والأكراد والفرس والتركمان والآشوريين والكلدانيين، وعلى المستوى الدينى تضم تركيبة المجتمع العراقى مسلمين ومسيحيين، وعلى الصعيد المذهبى هناك السنة والشيعة، ولا توجد جماعة واحدة من هذه الجماعات لها الأغلبية العددية داخل المجتمع، بما يؤهلها لأن تكون فى موقع الجماعة المسيطرة.

وعلى سبيل المثال، فإن الشيعة الذى يشكلون حوالى ٦٠ بالمائة من مسلمى العراق لا يشكلون أغلبية قومية أو لغوية، والأكراد الذين يشكلون نحو ربع سكان العراق يتقاطعون مع العرب على الصعيدين الدينى والمذهبى، ولكنهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يختلفون معهم فى عنصر الرابطة القومية، كما هو الحال أيضاً فى حالة التركمان.

ومما يعقد من هذه التعددية التى يتميز بها المجتمع العراقى أن هناك توافقاً ما بين التقسيم العرقى والمذهبى والتوزيع الجغرافى للسكان، حيث يتمركز السنة فى وسط البلاد بينما يتمركز الأكراد والشيعة فى الشمال والجنوب على التوالى. وقد أدى هذا الوضع إلى وجود صراع طويل بين الجماعات المختلفة.

كما تشمل الخريطة السياسية العراقية، العديد من التيارات والقوى السياسية، ذات التوجهات المتضاربة، وتتوزع هذه الخريطة على أربع مجموعات، وهى التالية:

أ- القوى الإسلامية التى تنقسم ما بين قوى شيعية يتصدرها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة وحركة الوفاق الوطنى، وقوى سنية تأتى فى مقدمتها هيئة العلماء المسلمين والحركات الإسلامية فى شمال العراق.

ب- القوى الكردية، وتتمثل بشكل أساسى فى الحزب الديمقراطى الكردستانى بزعامة جلال طالبانى والاتحاد الوطنى الكردستانى بزعامة مسعود البرزانى، وما يربط بين هذه القوى، هو تركيز جل اهتمامها على مطالب الجماعة الكردية أكثر من أى شىء آخر.

ج- القوى اليسارية، وتتوزع هذه القوى على معسكرين : **الأول**، يشمل التيارات ذات التوجه القومى، و**الثانى**، يضم التيارات الماركسية.

د- القوى الليبرالية، وهى قوى وافدة بالأساس من معارضة الخارج، ويأتى فى مقدمتها الفصيل الذى يتزعمه أحمد الجلبى داخل المؤتمر الوطنى العراقى.

ولهذه القوى برامجها المختلفة والمتعارضة فى بعض الأحيان، سواء فيما يتعلق بشكل الدولة أو طبيعة الإطار المرجعى للنظام السياسى، فالقوى السياسية المعبرة عن الجماعة الكردية تريد تطبيق الصيغة الفيدرالية فى عراق ما بعد صدام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حسين بعد أن عاشت المناطق الكردية فى ظل حكم ذاتى فعلى اعتباراً من عام ١٩٩١ نتيجة منطقتى حظر الطيران شمال العراق وجنوبه. أما التيارات اليسارية والإسلامية، فهى مع صيغة الدولة البسيطة. ومن ناحية ثانية، فإن التيارات الإسلامية سواء فى الشمال أو الجنوب تؤيد إقامة دولة إسلامية، مع وجود نوع من التباين فى مدى طرح هذه التيارات لمدى نفاذية الدين فى الحياة السياسية، وهو الأمر المرفوض من قبل التيارات الأخرى. وفى السياق نفسه، تطرح القوى الملكية ضرورة تحول العراق من جمهورية إلى مملكة.

هذا الوضع المتعدد سياسياً وقومياً وعرقياً، يجعل من عملية بناء توافق وطنى حول هدف الديمقراطية أمراً غاية فى الصعوبة، خاصة بالنظر إلى فترة الاستبداد الطويلة التى عاش فى ظلها المجتمع العراقى، والتى حالت دون نمو ثقافة التعددية وتقبل الآخر.

رابعاً : الشروط المطلوبة لتفعيل الدعم الأمريكى للديمقراطية فى الوطن العربى

أثارت المبادرات الأمريكية للإصلاح الديمقراطي في الوطن العربي، ومن قبلها الحرب الأمريكية ضد ما يسمى بالإرهاب الكثير من الجدل في الأوساط الثقافية العربية.

فلقد أطلقت الإدارة اليمينية المتطرفة الحاكمة فى واشنطن حملتها ضد ما تسميه بالإرهاب، واتبعت آليات مغرضة لإدارتها، وكانت النتيجة المعلومة سلفاً أن عالم ما قبل هذه الحرب كان أكثر أمناً مما أصبح عليه بعدها، وهو التطور المرشح للتفاقم بتأثير ازدواجية المعايير الأمريكية، وانفراد الولايات المتحدة لتحديد معنى الإرهاب ومصدره وسبل مقاومته.

وفى الواقع، فإن هذه الرؤية قد خلقت فجوة كبيرة بين ما تريد أن تحاربه الولايات المتحدة، وبين ما الذى يجب أن يحارب فعلاً، ولتقريب هذا القول للأذهان نشير هنا إلى الموقف الأمريكى من حركات المقاومة الفلسطينية، فالرؤية الأمريكية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تضع هذه الحركات فى خانة الإرهاب، وفى المقابل تعد إرهاب الدولة المنظم الذى تمارسه إسرائيل دفاعاً مشروعاً عن النفس.

بالطبع من حق الولايات المتحدة أن تقول ما تشاء، وأن تضفى قدسية على ما تريد فهذا ليس هو المشكلة، ولا الهدف هنا تقييم هذه الحرب من منظور أخلاقى، رغم أن واشنطن تحاول أن تسوقها فى ثوب أخلاقى، ومن منظور الصراع بين الخير والشر.

لكن المشكلة الحقيقية هى كيفية فهمنا نحن – كعرب ومسلمين – لهذه الحرب، وما انطوت عليه من دعوات أمريكية للتغيير وللإصلاح السياسى، فحالة الاستقطاب التى تسود الساحة الثقافية العربية خلفت جدلاً كبيراً حول المراهنة على دور الولايات المتحدة المنتظر فى دعم عمليات التحول الديمقراطى فى الدول العربية، وطرح الأمر فى هذا الإطار بشكل حاد على النحو التالى :بيدنا أم بيد عمرو. وعمرو هنا هو الولايات المتحدة التى يفترض أنها سوف تجلب الديمقراطية المفقودة للوطن العربى. وقد حالت حالة الاستقطاب المشار إليها دون مناقشة القضية بموضوعية تلحظ بنقطتين أساسيتين، **أولاهما** مصلحة "عمرو" فى إشاعة الديمقراطية فى الوطن العربى، **وثانيتهما**، خبرة "عمرو" نفسه ليس فقط السابقة (وهى خبرة سيئة يردد كثيرون أنها تبدلت مع أحداث ١١ سبتمبر/أيلول) بل الحالية أيضاً فى دعم التحول الديمقراطى.

والواقع، أن الاحتكام إلى هذين المعيارين ربما يحبط آمال المراهنين على الدور الأمريكى فى دعم عملية التحول الديمقراطى فى الوطن العربى، ومن ثم ضرورة النظر له ببعض الريبة والشك فالولايات المتحدة، تعلم أن حلول ديمقراطية حقيقية فى الوطن العربى، على الأقل فى المستقبل المنظور ليس من مصلحتها؛ لأن ثمة حالة من الحنق الشديد فى الشارع العربى على السياسات الأمريكية، وهذا الشارع نفسه هو الذى يفترض أنه سيختار حكاماً يعبرون عنه فى حالة وجود ديمقراطية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يضاف إلى ذلك أن سجل الولايات المتحدة فى التدخل العسكرى من أجل تأسيس الديمقراطية هو سجل فقير، فقد تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً منذ بدايات القرن العشرين فى أكثر من ١١ حالة بهدف بناء الأمة "Building–Nation" وتأسيس الديمقراطية، هذا بالطبع بخلاف تدخلاتها العسكرية فى عدد من الدول الأخرى لأسباب مختلفة، ومعظم الدول التى تدخلت الولايات المتحدة فيها عسكرياً لإحلال الديمقراطية تقع فى أمريكا اللاتينية، ومنها على سبيل المثال : كوبا ونيكاراجوا والدومينيكان وجرينادا وبنما وهايتى. وهناك دول فى آسيا وهى اليابان وكمبوديا وفيتنام الجنوبية وأفغانستان فضلاً عن ألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تدخلت الولايات المتحدة فى معظم الحالات بشكل فردى، وفى بعضها بمشاركة دول أخرى، واستمر الاحتلال الأمريكى لبعض هذه الدول لسنوات، بل إنها تدخلت أكثر من مرة فى بعض الحالات مثل كوبا وهايتى، والنتيجة، أنه بعد ١٠ سنوات من انسحاب القوات الأمريكية من الدول المذكورة، باستثناء حالة أفغانستان التى مازالت بها قوات أمريكية بعد الإطاحة بحكم حركة طالبان فى العام ٢٠٠١، لم يستمر الحكم الديمقراطى إلا فى أربع حالات فقط هى : ألمانيا الغربية واليابان وجرينادا وبنما، مع الأخذ بعين الاعتبار أن جرينادا جزيرة صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالى مائة ألف نسمة فقط، كما أن بنما دولة صغير لا يزيد عدد سكانها عن ثلاثة ملايين نسمة(١٢).

أما الخبرة الحالية للعرب بدعم الولايات المتحدة للديمقراطية فى الوطن العربى، فهى غير مبشرة بالمرة، وثمة مثال هام فى هذا السياق، يتمثل فى الموقف الأمريكى من القضية الفلسطينية، وبالتحديد موقفها من الرئيس ياسر عرفات الذى سبقت الإشارة إليه. فعلى الرغم من أن عرفات تم انتخابه عبر انتخابات نزيهة، فإن واشنطن تسعى للإطاحة بالرئيس الفلسطينى فى سلوك يفتقد أدنى القيم الديمقراطية، والهدف من ذلك – وليس هذا موضوعنا – تصفية رمز القضية، حتى يمكن تمرير التسوية التى تريدها، من خلال بديل لعرفات، والمؤكد أن هذا خطأ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخر فى الرؤية الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، حيث إن أحداً لن يكون بمقدوره التنازل عن الحق المشروع للشعب الفلسطينى ونضاله التاريخى من أجل دولته المستقلة وفقاً لقرارات الشرعية الدولية.

وتضيف ظروف المواجهة الأمريكية للإرهاب بدورها مزيداً من الشكوك العربية والإسلامية تجاه الولايات المتحدة ونواياها فى الوطن العربى. فبصرف النظر عما يعلنه مسئولون أمريكيون من مشاعر طيبة إزاء الإسلام والمسلمين، فإن الإرهاب أضحى مرتبطاً – فى التصريحات السياسية الأمريكية وكذلك فى الإعلام الأمريكى - بالإسلام والمسلمين، وأضحت مواجهته مرتبطة – بالتالى – بالدعوات لتغيير الخطاب الإسلامى، وهو أمر يستنكر جمهور المسلمين أن يتم على يد الأمريكيين، أو أن يجرى خدمة لمصالحهم.

وفى الواقع، فإن الحرب الأمريكية ضد ما تسميه الإرهاب قد انطلقت من غرور شديد بالقوة، وهذا الغرور بالقوة أو الفتنة بها، جعل الحرب تنصب على جانب واحد هو الجانب العسكرى، وتقوم على تجاهل أسباب بعض ما تسميه الولايات المتحدة إرهاباً بما فى ذلك المقاومة المشروعة لاحتلال العراق.

كما انطلقت هذه الحرب من عقدة التفوق، فما طرحته الولايات المتحدة من إصلاح سياسى كان مقصودا به النموذج الأمريكى، فى تجاهل متعمد للخصوصية الحضارية لكل شعب.

وإذا ما أضيفت إلى عقدتى غرور القوة والتفوق، نقيصة الانتقائية والتحيز، يكون المفهوم الأمريكى للحرب ضد الإرهاب والإصلاح السياسى قد بلغ قمة فشله. وهذا فى واقع الأمر ما يفقد السياسة الخارجية الأمريكية مصداقيتها بالمطلق، ويفسر الرفض العربى للسياسات الأمريكية.

وقد كان من المثير حقاً أن الحرب الأمريكية ضد ما يسمى بالإرهاب، قد حملت فى طياتها أخطاراً جمة على أفكار وروح الإصلاح الديمقراطى، ومن هذه الأخطار :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- اتخذت بعض الدول العربية من شعار الحرب ضد الإرهاب ذريعة للتنكيل بالتيارات المعادية للنظم الحاكمة، والتراجع عن مشاريع الانفتاح السياسى، باعتبار أن ذلك قد يصب فى مصلحة تقوية وضع التيارات المعادية للولايات المتحدة على حد زعم هذه الدول.
- شوهت الحرب بعضاً من جوانب النموذج الديمقراطى الأمريكى، وذلك من خلال إقدام الإدارة الأمريكية على اتخاذ جملة من الإجراءات الخاصة بتقييد الحريات عقب أحداث ١١سبتمبر/أيلول[١٣].
- تطالب واشنطن بعض الدول باتخاذ إجراءات لحصار تنظيمات بذاتها رغم عملها فى إطار من الشرعية كما هو الحال مع حزب الله، أو رغم أنها تقود حركة مقاومة لتحرير أراضيها المحتلة مثل حركات المقاومة الفلسطينية.

هذا الواقع المشوه لمحاربة ظاهرة الإرهاب أمريكيا، وما جاء فى ثناياه من دعاوى للديمقراطية، لابد أن يدفع إلى التأكيد فى نهاية المطاف على جملة من المتطلبات الأساسية اللازمة لإيجاد تفاعل إيجابى مع مبادرات الإصلاح السياسى التى تطرحها الولايات المتحدة للتغيير الديمقراطى فى الوطن العربى، ومن هذه المتطلبات، ما يلي:

- إيجاد تسوية عادلة للقضية الفلسطينية وفقاً لمقررات الشرعية الدولية، حيث إن الولايات المتحدة تقدم كل الدعم لإسرائيل فى احتلالها وممارستها لإرهاب الدولة المنظم ضد الفلسطينيين، مما يجعلها فى نظر العرب متضافرة مع إسرائيل فى سياستها العدوانية، فكيف يمكن أن يتصور العرب أن واشنطن تريد إهداء الديمقراطية لهم والحال على هذا النحو!.
- سرعة إنهاء الاحتلال الأمريكى للعراق، حيث إنه لا مكان لتصديق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن الولايات المتحدة تملك نية حقيقية لدفع عمليات الإصلاح السياسى فى الوطن العربى، وهى تحتل العراق وتنفى الإرادة المستقلة لشعبه. ومن ناحية أخرى، فإن استمرار هذا الاحتلال يعد تأكيداً على وجهة نظر التيار الذى يرى أن الولايات المتحدة جاءت للعراق لتحتله لتحقيق حزمة من مصالحها لا صلة لها بالديمقراطية. فلا ديمقراطية فى ظل الاحتلال. وللتوضيح يمكن أن نتناول إشكالية مبسطة تتمثل فى الجدلية النظرية بين الاستقلال الوطني من ناحية، والديمقراطية من ناحية أخرى، فالاستقلال الوطني هو نقيض الاحتلال، ذلك أن الديمقراطية تعنى تغليب الإرادة الشعبية، والإرادة الشعبية لا يمكن التعبير عنها إلا فى ظل الاستقلال. باختصار، وبدون تعقيد نظري، فالديمقراطية تعنى بشكل مبسط جداً حكم الشعب بالشعب ولصالح هذا الشعب، وهذا أمر لا يتسق مع واقع الاحتلال بأى حال، حيث إن الاحتلال هدفه استنزاف ثروات المحتل، ومحاولة مسخه وسلخه عن هويته، لكي يصبح مجرد تابع لمن احتله هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية فالاحتلال، وإن يكن بشكل غير مباشر، فإن من يوليهم السلطة يكونون مجرد أتباع له لا يمثلون بحال الإرادة الوطنية.

- الاعتراف بخصوصية المجتمعات العربية، وضرورة اعتماد لغة الحوار الحضارى بين العرب كأمة لها تراثها الحضاري التليد والولايات المتحدة كقوة عظمى، بما يعنى تأسيس جديد للعلاقات بين الطرفين على قاعدة الاحترام، والتخلى عن سياسة العصا الغليظة فى التعامل الأمريكى مع الدول العربية[١٤].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهوامش:

(١) Albert Hourani &others, The Modern Middle East (Los Angelos of California Press,1993), p.14

(٢) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة د.إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت : ١٩٧٨، الطبعة الخامسة ص ٤٠٦ وما بعدها.

(٣) مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، ترجمة مروان بحيري، مكتبة الزيتونة، بيروت:١٩٧٩، ص ٦٦.

(٤) ماجد كيالي، "التحول فى الإستراتيجية السياسية الأمريكية من احتلال العراق إلى دعوات التغيير فى المنطقة"، شئون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة:صيف ٢٠٠٣، العدد ١١٤، ص ٣٦-٣٨

(٥) Martin Indyk, Back To Bazaar , Foreign Affairs, Vol 81, No 1, Jan,-Feb(2002).p77

(٦) نص الوثيقة منشور فى جريدة العربي الناطقة باسم الحزب العربي الديمقراطي الناصري بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/١٤.

(٧) ماجد كيالي، مرجع سابق، ص ص ٤١-٤٤

(٨) د.وحيد عبد المجيد، "رسالة إلى العقلاء فى واشنطن"، جريد الأهرام ٢٠٠٣/٨/٢٣.

(٩) د.أسامة الغزالى حرب، "نحن وأمريكا وبناء الديمقراطية"، جريدة الأهرام ٢٠٠٣/٨/١١.

(١٠) خالد الحروب، "تداعيات الغزو الأمريكى للعراق على خريطة القوى بالمنطقة"، شئون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة : ربيع ٢٠٠٣، العدد ١١٣، ص ١١.

(١١) جيف سيمونز، استهداف العراق : العقوبات والغارات فى السياسة الأمريكية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت : ٢٠٠٣، ص ٣٣ – ٣٦.

(١٢) د.حسنين توفيق إبراهيم، الولايات المتحدة وقضية الديمقراطية فى الوطن العربى، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة :٢٠٠٣، سلسلة كراسات إستراتيجية، العدد ١٣٠، السنة الثالثة عشرة، ص ٢٢ – ٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٣) حسين أمين، " موقع الديمقراطية فى الحرب الأمريكية على العراق"، شئون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة : العدد ١١٣، ربيع ٢٠٠٣، ص ٦٣ – ٦٤.

(١٤) د.بكر مصباح تنيرة، "الاتجاهات الجديدة للسياسة الأمريكية فى الـــوطن العربـــى"، شئون عربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة : يونيو ٢٠٠١، العـــدد ١٠٦، ص ٩٦.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البعد الاقتصادي للمشروع الشرق أوسطى

أحمد السيد النجار*

بالرغم من أهمية الأبعاد السياسية للمشروع الأمريكى الشرق أوسطى، إلا أن البعد الاقتصادى لهذا المشروع، وما ينطوى عليه من إدماج للاقتصاد الإسرائيلى مع اقتصادات البلدان العربية، يتسم بأهمية كبيرة للإدارة الأمريكية التى تقف وراء هذا المشروع، وأيضاً لإسرائيل التى ترى فيه مدخلها للأسواق العربية، وللهيمنة الاقتصادية الإقليمية بدعم من الشركات الدولية بحيث تتمكن من الاستغناء عن المساعدات الخارجية. وفى كل الأحوال فإن الاقتصاد يشكل الرافعة الرئيسة للمشروع الشرق أوسطى بمختلف جوانبه.

وقد أعادت الولايات المتحدة إحياء المشروع الشرق أوسطى مؤخراً بعد احتلالها للعراق الذى أغراها بالضغط من أجل تحطيم مشروع التكتل الاقتصادى العربى الهش أصلاً، لصالح إدماج إسرائيل فى اقتصاد المنطقة من موقع مهيمن ومدعوم أمريكياً فى إطار المشروع الأمريكى - الإسرائيلى القديم الجديد لشرق أوسط ترتبط دولة بعلاقات اقتصادية تفضيلية، ويضم إسرائيل إلى جانب الدول العربية.

وقد تجسد التحول فى الموقف الأمريكى الخاص بإحياء مشروع "السوق الشرق أوسطية" فى صيغة جديدة، من خلال إعلان الرئيس الأمريكى عن نية واشنطن إقامة منطقة تجارة حرة مع دول المنطقة بشرط إنهاء كل أشكال المقاطعة لإسرائيل، وتحرير اقتصاداتها بشكل كامل بما يعنى تقليص دور الدولة فيه إلى أقصى حد، والانضمام لمنظمة التجارة العالمية، وتطبيق الاتفاقيات التى عقدت فى

---

*رئيس تحرير التقرير السنوي:"الاتجاهات الاقتصادية الإستراتيجية" الصادر عن مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إطار المنظمة، بما يعنى تحرير العلاقات الخارجية لهذه الدول بدون أى حساب لما تقتضيه المصلحة الوطنية لكل دولة منها.

وهذا الطرح الأمريكى الجديد بشروطه المذكورة آنفا هو إعادة إنتاج أكثر صلفاً لمشروع السوق الشرق أوسطية الذى طرحته الولايات المتحدة خلال تسعينيات القرن العشرين فى محاولة منها لإدماج اقتصاد إسرائيل مع الاقتصادات العربية فى تكتل اقتصادى ينطوى على تعامل تفضيلى بين الدول الداخلة فيه. وكان ذلك المشروع قد كرست من أجله القمم الاقتصادية لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والتى عقدت فى الدار البيضاء وعمان والقاهرة ثم انتهت بفشل ذريع فى الدوحة عام ١٩٩٧ بسبب الرفض الشعبى العربى لهذا المشروع، وبسبب إصرار الدول العربية الرئيسية على منع تحقق طموحات الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية المدعومة من الغرب وشركاته الكبرى فى المنطقة العربية من خلال ذلك المشروع الأمريكى. لكن الولايات المتحدة رأت بعد احتلالها للعراق، أنها أصبحت فى موقف قوى يسمح لها بإعادة إحياء المشروع بل وفرضه على دول المنطقة من خلال إقامة نواة لهذا التكتل من كل من إسرائيل والعراق الخاضع لها ومعهما الأردن والكويت وقطر وربما تركيا، بما يوجد سوقاً شرق أوسطية تجتمع لها عناصر النجاح. لكن المقاومة الوطنية العراقية ضد الاحتلال الأمريكي منعت واشنطن من السيطرة الفعلية على العراق ومقدراته حتى الآن، ومنعتها بالتالى من توظيف العراق ضمن مخططها الشرق أوسطى. كما أن ما يسمى بمجلس الحكم الانتقالى الذى شكلته سلطات الاحتلال الأمريكية فى العراق، لم يجرؤ على إقامة علاقات رسمية وعلنية مع إسرائيل، بسبب الموقف الشعبى العراقى المضاد للاغتصاب الصهيونى لفلسطين، والرافض لأى علاقات مع إسرائيل، وبالتالى، فإن هذا المجلس المعين أمريكيا لا يمكنه تمرير إشراك العراق فى التكتل الشرق أوسطى، إلا إذا مررته الدول العربية الرئيسية مثل مصر والسعودية وسوريا؛ لأن قيام مثل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الدول بذلك سوف يشكل مبرراً لأي سلطة عراقية تابعة للأمريكيين، أن تقوم بالشيء نفسه.

ورغم كل العوائق القديمة والجديدة التي تقف في وجه تمرير المشروع الشرق أوسطى، إلا أن الولايات المتحدة تعمل بدأب وإصرار على تمرير المشروع وتحاول تحدى وتجاوز كل العقبات التي تواجهه.

وقد جاء انعقاد المنتدى الاقتصادي العالمي في الأردن بالقرب من البحر الميت، فى يونيو/حزيران٢٠٠٣، تأكيداً أمريكياً على أن الإمبراطورية الأمريكية ترى أنها قد أصبحت قادرة - من خلال احتلالها للعراق - على أن تمرر مشروعها الشرق أوسطى الذى يمكن أن يبدأ بالعراق الخاضع لها، إضافة لكل من الأردن وقطر والكويت، حتى لو رفضت الدول العربية الرئيسية هذا المشروع. وقد عقد مؤتمر البحر الميت وسط دعاية إعلامية غربية وأمريكية بالذات لخلق وهج جاذب لهذا المشروع لإحداث حالة هرولة رسمية عربية تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل.

وكم كان المشهد مريراً فى هذا المؤتمر الذى تم تمثيل العراق فيه من خلال بول بريمر، ممثل سلطة الاحتلال الاستعماري الأمريكي، وبدلا من أن تقاطع الدول العربية مثل هذا المؤتمر للضغط على الولايات المتحدة لإنهاء احتلالها للعراق، فإنها شاركت فيه إما برغبتها الكاملة، وإما خضوعا للضغوط الأمريكية، وتعاملت مع سلطة الاحتلال، وحاولت أن تبحث عن فرصة كى تلغ فى دم العراق من خلال المشاركة ولو من الباطن فى عمليات إعادة إعماره فى ظل سلطة الاحتلال الأمريكية، وكأن العراق ليس بلداً عربياً كبيراً وأكثر تقدماً من غالبية البلدان العربية ويمكن لشركاته بعد الاستقلال أن تقوم بكل ما يمكن أن تقوم به أى شركات عربية فيه فى إطار عمليات إعادة الأعمار.

وإن كان من الضروري الإشارة إلى أن الموقف الرسمي المصري قد أكد على أهمية تحديد شكل المشاركة المصرية فى عمليات إعادة إعمار العراق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والسلطة التى ستتم فى ظلها هذه المشاركة، فى إشارة خجولة إلى ضرورة أن تكون تلك السلطة عراقية. لكن بالمقابل فإن الأردن وقعت مع إسرائيل المزيد من الاتفاقيات لإقامة مناطق حرة صناعية جديدة تتمتع بحرية دخول منتجاتها إلى السوق الأمريكية بدون أى رسوم جمركية. كما تم الاتفاق بين الفلسطينيين والإسرائيليين والأردنيين على إنشاء قناة تصل بين خليج العقبة وبين البحر الميت بغرض توليد الكهرباء وتخفيف ملوحة مياه البحر إلى الحد الذى يسمح بوجود حياة للكائنات البحرية فيه، وأيضاً بغرض استخدام المياه القادمة من خليج العقبة فى مد محطات تحلية المياه بمياه أقل ملوحة.. وهذه الاتفاقيات هى تجسيد للتصور الأمريكى – الإسرائيلى الذى يرى تطوير العلاقات الاقتصادية، وإقامة سوق شرق أوسطية قبل التوصل لتسوية سياسية مقبولة من أطرافها، على عكس التصور العربى الذى يقضى بضرورة إنجاز التسوية قبل الدخول فى مشروعات تعاون اقتصادى.

ويعد الطرح الأمريكى الجديد للسوق الشرق أوسطية المرتبطة بالولايات المتحدة من خلال تحرير التجارة بينها وبين الدول العربية وإسرائيل لإيجاد منطقة تجارة حرة بين الجميع، نوعاً من الهجوم الأمريكى المضاد، لمواجهة الدعوة الشعبية العربية لمقاطعة السلع والشركات الأمريكية كعقاب لها على الانحياز الأمريكى المطلق لإسرائيل، والاحتلال الاستعمارى الأمريكى للعراق، والقمع الذى تمارسه قوات الاحتلال الأمريكي ضد الشعب العراقى فى أراضيه المحتلة. فإذا حدث هذا التحرير للتجارة بين الولايات المتحدة ودول المنطقة، فإنه سيفرض وجود السلع الأمريكية بكثافة كبيرة وتمتعها بميزات تفضيلية فى الأسواق العربية متمثلة فى إزالة الرسوم الجمركية عليها بما يجعل سعرها رخيصاً، بما يؤدى للضغط على عملية المقاطعة العربية للسلع الأمريكية، وبآليات اقتصادية.

ورغم أهمية الأهداف السياسية الأمريكية من الدعوة لتحرير التجارة بين الولايات المتحدة ودول المنطقة أو الصيغة الجديدة للسوق الشرق أوسطية، إلا أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأهداف الاقتصادية حاضرة بشكل أقوى حيث تعد هذه المنطقة واعدة للغاية فيما يتعلق بتوسع حجم تجارتها الخارجية استيراداً وتصديراً، مع تزايد انفتاحها التجارى على العالم فى ظل انضمام عدد من دولها إلى منظمة التجارة العالمية، ودخول عدد من الدول فى برنامج لتحرير التجارة مع الاتحاد الأوروبى فى إطار اتفاقات المشاركة التى تربط بين الطرفين. ولم تشأ الولايات المتحدة أن تترك دول الاتحاد الأوروبى تستحوذ على حصة متزايدة من أسواق المنطقة فى ظل اتفاقيات المشاركة بين الاتحاد وبين عدد من دول المنطقة، فطرحت برنامجها لتحرير التجارة الأمريكية مع دول المنطقة؛ لتتمكن من مزاحمة دول الاتحاد الأوروبى فى أسواق المنطقة، بعد أن أدت العلاقات التفضيلية التى أقيمت بين الاتحاد الأوروبى وبين بعض دول المنطقة إلى تزايد حصة الاتحاد الأوروبى فى أسواق تلك الدول على حساب الحصة الأمريكية فيها. وعلى سبيل المثال تراجعت حصة الواردات السلعية التركية من الولايات المتحدة من ١١,٤% من إجمالى الواردات السلعية التركية عام ١٩٩٣، إلى ١٠,٤%عام ١٩٩٥، إلى ٧,٩% منها عام ٢٠٠١. كما تراجعت نسبة الصادرات السلعية الأمريكية للمغرب من إجمالى الواردات السلعية المغربية، من ٧,٧٠% عام ١٩٩٣، إلى ٥,٩% عام ١٩٩٥، إلى ٣,٧% عام ٢٠٠١. كذلك تراجعت نسبة الواردات التونسية من الولايات المتحدة، من ٥,٧% من إجمالى الواردات السلعية التونسية عام ١٩٩٣، إلى ٤,٥% عام ١٩٩٥، إلى ٤% فى عام٢٠٠١ وفقاً لبيانات صندوق النقد الدولى.

وتجدر الإشارة إلى أن قيمة الصادرات السلعية الأمريكية للدول العربية، والتى بلغت نحو ١٧,٥ مليار دولار عام ٢٠٠١ تشكل نحو ٢,٤% من إجمالى قيمة الصادرات السلعية الأمريكية فى العام المذكور، كما بلغت قيمة الواردات الأمريكية من الدول العربية، نحو ٣١,٥ مليار دولار عام ٢٠٠١، بما شكل نحو ٢,٧% من إجمالى قيمة الواردات الأمريكية فى ذلك العام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورغم أن هذه التجارة لا تشكل فى الوقت الراهن سوى نسبة ضئيلة من التجارة الخارجية الأمريكية، إلا أنها قابلة للتزايد السريع فى حالة تحرير التجارة بين الولايات المتحدة ودول المنطقة بصورة يمكن أن تحول المنطقة إلى شريك تجارى رئيسى للولايات المتحدة. كما أن الولايات المتحدة يهمها أن تربطها علاقات اقتصادية تفضيلية بالشروط الأمريكية، مع دول المنطقة العربية التى تملك ثلثى احتياطيات النفط فى العالم، خاصة أن السيطرة على هذا النفط من خلال الاحتلال المباشر لدولة نفطية كبرى مثل العراق يبدوا أمراً محفوفاً بالمخاطر بعد أن اكتشفت الإدارة الأمريكية "الذكية"، أنها هدمت النظام القديم، وأربكت التوازن الإثنى الحرج للعراق، دون أن تكون لديها القدرة على صياغة النظام الجديد على هواها، بل إنها وجدت نفسها أمام وضع أسوأ يتمثل فى مقاومة شعبية عراقية شرسة لقوات الاحتلال، وصعود للاتجاهات الإسلامية وثيقة الصلة بإيران فى منطقة الكثافة السكانية من جنوب بغداد وحتى الحدود العراقية على الخليج والتى تحوى الخزان النفطى الرئيسى للعراق.

أما الشرط الأمريكى لتحرير التجارة مع إنهاء كل أشكال المقاطعة مع إسرائيل، فهو بالفعل بيت القصيد فى الإعلان الامريكى الخاص بتحرير التجارة مع دول المنطقة لتحقيق ما تخطط له واشنطن منذ زمن طويل بإدماج اقتصاد إسرائيل فى المنطقة العربية، مع ضمان موقع إقليمى متفوق لهذا الاقتصاد، وذلك من خلال ضخ الاستثمارات إليه من الشركات الأمريكية فى الصناعات عالية التقنية لتحويله إلى مركز إقليمى لهذه الصناعات المخصصة للتصدير لأسواق المنطقة العربية، ومع تحويله أيضاً إلى المركز المالى والسياحى والتجارى الإقليمى الذى يمتلك سطوة إقليمية فى هذه المجالات من خلال العلاقة الخاصة التى تربطه بالشركات الأمريكية الكبرى، وببعض الشركات المناظرة فى العديد من البلدان الغربية الأخرى. وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل التى كانت تتلقى، طبقاً لبيانات تقرير الاستثمار العالمى الصادر عن اليونكتاد، نحو ٧١٦ مليون دولار من الاستثمارات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأجنبية المباشرة سنوياً، خلال الفترة من عام ١٩٩١ حتى عام ١٩٩٦، قد تلقت استثمارات كبيرة بعد ذلك، حيث بلغت قيمة الاستثمارات الأجنبية المباشرة التى تلقتها فى أعوام ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢ على الترتيب، نحو ١٩٥٠، ١٨٣٩، ٣٠٦٨، ٤٩٨٨، ٣٥٢٠، ١٦٤٨ مليون دولار، وهى استثمارات ضخمة بالتأكيد بالنسبة لحجم الاقتصاد الإسرائيلي، وحتى عندما انخفضت فى عامى ٢٠٠١، ٢٠٠٢ بالتوازى مع التراجع الكبير فى تدفقات الاستثمارات الأجنبية المباشرة بين دول العالم منذ أحداث ١١ سبتمبر/أيلول، فإنها ظلت كبيرة للغاية بالنسبة لإسرائيل التى تعانى من الاضطراب الأمنى الدائم الذى يعد عاملاً طارداً للاستثمارات، ولا يمكن لأى دولة تعانى مما تعانيه إسرائيل من اضطراب أمنى أن تأمل فى استقبال أى استثمارات أجنبية مباشرة، مما يؤكد على حضور البعد السياسى فى تدفق تلك الاستثمارات التى جاءت غالبيتها الساحقة من الشركات الأمريكية العاملة فى مجال الكومبيوتر وتكنولوجيا المعلومات وغيرها من الصناعات عالية التقنية، وذلك فى إطار عملية تحول إسرائيل إلى مركز للصناعات عالية التقنية توطئة لجعلها المركز الإقليمى لهذه الصناعات فى إطار أى مشروع شرق أوسطى.

ومن ناحية أخرى فإن المشروع الأمريكى لتحرير التجارة مع الدول العربية الذى سيترتب عليه إلغاء كل أشكال مقاطعة إسرائيل، يتسم بطابع إملائى يتعارض مع حرية الإرادة التى تقوم عليها مشروعات التكتل الاقتصادى فى مختلف مناطق العالم. وبالرغم من أن تحرير التجارة مع الولايات المتحدة يعد هدفاً للكثير من الدول بسبب الاتساع الكبير للسوق الأمريكية الكبيرة التى استوعبت واردات سلعية قيمتها ١١٨٠ مليار دولار عام ٢٠٠١، إلا أن إعلان واشنطن من طرف واحد أنها ستحرر تجارتها مع دول الشرق الأوسط وفق شروط وضعتها هى، فى وقت تحتل فيه قواتها المسلحة أرض العراق الذى يعد إحدى الدول الرئيسية فى المنطقة العربية، يبدو إعلانا ذا طابع إملائى يعكس روح الهيمنة التى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تسيطر على الإدارة الأمريكية، أو هو أقرب لتصرف الدول الاستعمارية القديمة فى العهد الاستعمارى البائد، مع البلدان الخاضعة لسيطرتها الاستعمارية.

والحقيقة أن الدول لا يمكن أن تقيم علاقات تفضيلية عادلة ومتوازنة حقيقية فى ظل منطق التحديد المنفرد والإملاء الذى تتبعه الولايات المتحدة فى طرحها لتحرير التجارة بينها وبين دول المنطقة. وإذا كانت الولايات المتحدة تريد حقاً أن تقيم علاقات اقتصادية تفضيلية مع دول المنطقة بشكل جماعى فعليها أن تحترم إرادة دول المنطقة وشعوبها سواء فيما يتعلق بخطوات تحرير التجارة وشروطه، أو بمسألة دمج الاقتصاد الإسرائيلى فى اقتصادات المنطقة من موقع متفوق مدعوم من الولايات المتحدة وشركاتها، حيث إن كل الشعوب العربية وغالبية دول المنطقة لن تقبل بمثل هذا الدمج فى ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية المحتلة فى سوريا ولبنان وفلسطين وعلى رأسها القدس الشريف، وفى ظل رفض إسرائيل لحق العودة لأبناء الشعب الفلسطينى الذين طردتهم من وطنهم، وفى ظل عدم التزامها بدفع تعويضات عن الممتلكات الفلسطينية العامة والخاصة التى نهبتها منذ حرب ١٩٤٨ وحتى الآن، والممتلكات الفلسطينية التى نهبتها أثناء احتلالها للأراضى العربية عام ١٩٦٧ من الجولان إلى سيناء، وفى ظل إصرارها على امتلاك كل أسلحة الدمار الشامل وعلى رأسها الأسلحة النووية التى تشكل عامل تهديد وابتزاز لكل الدول العربية. فإذا كانت الولايات المتحدة تريد تحرير تجارتها مع دول المنطقة بدون إقحام إسرائيل، فإن الدول والشعوب العربية يمكن أن ترحب بهذا التحرير شريطة أن يسبقه إنهاء الاحتلال الاستعمارى الأمريكى للعراق، وأن تتحدد شروطه من خلال مفاوضات متكافئة ونزيهة وعادلة.

أما إذا كان الهدف من الإعلان الأمريكي الأخير هو تمرير الدمج الاقتصادى لإسرائيل فى المنطقة، فإن ذلك أمراً كان مرفوضاً فى السابق، ولن تقبله الشعوب العربية فى الحاضر أو المستقبل مهما كانت الظروف والضغوط،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى لو خضعت الحكومات العربية للضغوط الأمريكية فى ظل حالة الضعف والهوان التى تمر بها.

لكن من الضرورى الإشارة إلى أنه رغم الاحتلال الاستعمارى الأمريكى للعراق الذى عزز من المساعى الأمريكية لفرض نموذجها الاقتصادى اليمينى المتطرف، وفرض إدماج اقتصاد إسرائيل فى اقتصادات المنطقة العربية من موقع متفوق ومهيمن بدعم من الشركات الغربية الكبرى فى إطار الصيغة الجديدة للمشروع الشرق أوسطى، إلا أن "النجاح" الأمريكى سيكون قصير الأجل إلى حد بعيد، لأن العدوان الأمريكى على العراق واحتلاله، أطلق بالفعل، اتساقاً مع كل خبرات التاريخ، طوفانا من الاضطراب فى العراق الذى لم يستقر حكمه للاستعمار الأمريكى، ولا للحكومة التى وضعتها واشنطن فى بغداد، لأن فى العراق أمة عظيمة وعريقة، تستند لميراث حضارى هائل، وتتسم بالاعتزاز بالذات، ورفض الخضوع للمستعمر، ولها امتدادها الاجتماعى فى كل البلدان العربية. ومن قلب العراق المحتل يمكن أن تستنزف إمبراطورية الشر الأمريكية ويبدأ أفولها العملى فى أوحال أهوار العراق؛ لأنها لو خسرت مقامرتها الكبرى فى العراق فإنها ستخسر الكثير على كافة الأصعدة.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقتطفات من وثيقة الإسكندرية عن قضايا
الإصلاح في الوطن العربى
(مارس/آذار ٢٠٠٤)

عندما نتحدث عن نظم ديموقراطية – بوصفنا ممثلى المجتمع المدنى العربى – فإننا نقصد بها – دون أدنى لبس – الديموقراطية الحقيقية التى قد تختلف فى أشكالها ومظاهرها، وفقاً للتغيرات الثقافية والحضارية من بلد لآخر، ولكن جوهرها يظل واحداً، فهى تعنى ذلك النظام الذى تكون الحرية فيه هى القيمة العظمى والأساسية بما يحقق السيادة الفعلية للشعب الذى يحكم نفسه من خلال التعددية السياسية التى تؤدى إلى تداول السلطات، وتقوم على احترام كافة الحقوق فى الفكر والتنظيم والتعبير عن الرأى للجميع، مع وجود مؤسسات سياسية فعالة، على رأسها المؤسسات التشريعية المنتخبة، والقضاء المستقل، والحكومة الخاضعة للمساءلة الدستورية والشعبية، والأحزاب السياسية بمختلف تنوعاتها الفكرية والأيديولوجية. كما تقتضى هذه الديموقراطية الحقيقة كفالة حريات التعبير بكافة صورها وأشكالها، وفى مقدمتها حرية الصحافة ووسائل الإعلام السمعية والبصرية والإلكترونية. والاعتماد على الانتخابات الحرة، مركزياً ولا مركزياً، وبشكل دورى، لضمان تداول السلطة وحكم الشعب، وتحقيق أقصى قدر ممكن من اللامركزية التى تتيح للمجتمعات المحلية التعبير عن نفسها وإطلاق طاقاتها الإبداعية فى إطار خصوصياتها الثقافية التى تسهم عن طريقها فى تحقيق التقدم الإنسانى فى جميع مجالاته. ويقترن ذلك بتحقيق أقصى قدر من الشفافية فى الحياة العامة، بما يعنى القضاء على الفساد، فى إطار يؤكد الحكم الرشيد ودعم حقوق الإنسان وفق المواثيق الدولية، وفى مقدمتها حقوق المرأة والطفل والأقليات، وضمان الحقوق الأساسية للمتهمين فى المحاكمات الجنائية، وضمان المعاملة الإنسانية فى تعامل سلطات الدولة مع مواطنيها. ويرتبط ذلك بكل ما تعارفت علية المجتمعات التى سبقتنا على طريق التطور الديموقراطى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البعد الثقافي فى المبادرة الأمريكية للشراكة

علاء شلبى*

مقدمـــــة

يمثل المكون الثقافي فى المبادرة الأمريكية للشراكة الشرق أوسطية حجـــر الزاوية فى المشروع الأمريكي "للإصلاح" فى العالم العربي، ومبتغاه، وسواء كانت التحليلات الأمريكية تعبر عن اقتناع جدي بأن ما تحمله كل مـــن الثقافـــة العربيـــة الإسلامية، وجمود النظم السياسية فى المنطقة من مخاطر على الولايـــات المتحـــدة الأمريكية والغرب بصفة عامة تبرر تدخلها من أجل إحـــداث التغييـــر، أو كانـــت المسألة مجرد ذرائع لتبرير تدخلها فى الشئون الداخلية للبلدان العربية لتتلاءم مـــع الاستراتيجية الأمريكية تجاه المنطقة، وذلك على نحو ما عرضت لـــه الدراســـتان السابقتان، فإن النتيجة تظل واحدة، ومضمونها أن المنطقة مستهدفة فى منظومتهـــا القيمية ومرتكزاتها الحضارية.

ولا يقلل من أهمية هذا الافتـــراض أن كثيـــراً مـــن مفـــردات الإصـــلاح المطروحة فى إطار المبادرة الأمريكية تتماشى مـــع دعـــاوى الإصـــلاح الـــذاتي المطروحة على الساحة العربية، وأن بعضها موضع إلحاح مستمر، إذ يظل جوهر الاختلاف هو منطلق هذه المطالب وغايتها النهائية.

ويهدف هذا البحث إلى رصد جوانب المنظومـــة الثقافيـــة العربيـــة التـــي تستهدف المبادرة الأمريكية "إصلاحها"، والخطوات التي اعتمدتها الإدارة الأمريكية لتحقيق خطتها، ثم التعرف على ردود الفعل العربية على الخطط الأمريكيـــة علـــى المستويين الشعبي والرسمي، والنظر فى مدى ملاءمتها للمبادرة الأمريكية، وأخيراً الإجابة على سؤال ما إذا كانت الخطط الأمريكية قابلة للتنفيذ والنجاح أم لا.

---

* باحث بالمنظمة العربية لحقوق الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حمل المشروع الأمريكي للإصلاح مطالب عدة للحكومات العربية، وهو إن كان شمل في توجهاته وأهدافه إجراء تغييرات سياسية وديمقراطية واقتصادية، إلا أنه ركز هدفه فى إجراء إصلاحات وتعديلات رئيسية في المحاور الثلاثة الأساسية المتعلقة بتكوين الوعي الثقافي ومنظومة القيم، وهي الخطاب السياسي الإعلامي، والخطاب الديني، وتعديل مناهج التعليم الدراسية، بمنطق أنها جميعاً شاركت في تكوين البيئة والوعي المتهمين بتشكيل عقلية ١٩ عربياً متهمين بالمسئولية عن وقوع حادثة ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١. وهكذا بقي منطق التبرير الأمريكي سيفاً مسلطاً على رقاب البلدان العربية والدول الإسلامية التي وضعتها الإدارة الأمريكية موضع الاتهام وفى حالة دفاع مستمر عن النفس.

ما قبل المبادرة

كانت جوانب عدة فى المنظومة الثقافية والقيمية العربية مستهدفة بالتعديل من قبل الإدارة الأمريكية قبل إطلاق مبادرتها للشراكة، بل وقبل حادثة ١١ سبتمبر/أيلول، ومن ذلك على سبيل المثال ترويج دوائر اليمين المحافظ المهيمنة على الإدارة لمقولة "صمويل هانتنجتون"[١] بضرورة الصدام بين الحضارات انطلاقاً من الصدام بين الغرب والمسلمين بحكم طبيعة القيم الإسلامية، ومنها كذلك ما عملت الإدارات الأمريكية المتعاقبة وإسرائيل على إقراره فى اتفاقات التسوية السلمية العربية الإسرائيلية لمراقبة ما يسمى بـ"خطاب التحريض الإعلامي والثقافي"[٢]، وأيضاً الموقف الأمريكي المساند لخطاب الكراهية الثقافية الإسرائيلي فى محافل عدة، ومن أبرزها قمة مكافحة العنصرية الثالث (دربان/جنوب أفريقيا فى سبتمبر/أيلول ٢٠٠١)[٣].

وأضافت حادثة ١١ سبتمبر/أيلول أبعاداً جديدة للصورة الانطباعية السلبية للعرب والمسلمين فى الذهن الغربي، ومن بين أبعادها أن هؤلاء يمارسون الإرهاب بدافع من عقيدتهم الدينية وتخلفهم الحضاري ففى تلك الحادثة التي صارت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بحكم العرف الأمريكي فاصلة بين عهدين وتـــاريخين مختلفـــين، ســـارعت الإدارة الأمريكية ومن حولها دوائر اليمين المحافظ شديد التأييـــد لإســـرائيل مـــن مراكـــز بحوث (Think Tanks) ووسائل إعلام ونخب أكاديمية ورجال دين إلـــى إحـــداث التعبئة السياسية والفكرية المناسبة لتخليص الإدارة الأمريكية "الجمهورية" من آثـــام التقصير فى حفظ أمن مواطنيها، وتحويل النقد باتجاه العرب والمـــسلمين بتوجيـــه الاتهامات وكيل السباب لهم ولمعتقداتهم الدينية ومقدساتهم(٤)، فيما وصـــفه الـــبعض بـــ"صناعة الكراهية".

ومارست دوائر البحوث العديد من الأنشطة البحثيـــة فـــى ســـبيل تغذيـــة مسئولي الإدارة الأمريكية بالدراسات اللازمة التي ترسم ملامح التحرك الأمريكـــي تجاه البلدان العربية، ولا سيما على صعيد الوعي الثقافي لتدعيم مقولـــة أن البيئـــة العربية بطبيعتها وتطوراتها ومعطياتها الراهنة بيئة مولدة للإرهاب ومناسبة لنمـــوه واستشرائه.

وعضدت هذه الدراسات من حملات النقد وإبراز الحجج الداعية لضرورة التدخل الأمريكي لإحداث التغيير المطلوب في المنطقة، ففي مجال **الإعلام** اعتبرت هذه الدوائر أن الأداء الإعلامي العربي بوجه عام مناهض للولايات المتحدة ومثيـــر لمشاعر الكراهية والغضب الشعبي، مستدلة بتحليلات دورية لأداء الإعلام العربي، مثل تلك التي يعدها مركز أبحاث "ميمري"، وهو أحد المراكز اليهودية الأمريكيـــة المتخصصة فى مراقبة الإعلام العربي المرئي والمسموع والمكتوب وكذا مراقبـــة مراكز البحوث والدراسات العربية للتدليل على أن البلدان العربية ولا سيما نخبهـــا الثقافية معادية للسامية وداعمة للكراهية الثقافية والحضارية ضد إســـرائيل بوجـــه خاص، وضد الغرب بوجه عام(٥).

وفى مجال **الخطاب الديني**، عملت الدوائر نفسها على إبراز العلاقة بـــين العمليات الاستشهادية وبين وجوب الجهاد فى العقيدة الإســـلامية، وعـــززت مـــن تطابقها مع حادثة تفجير برجي مركز التجارة العالمي(٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخلصت من بعد إلى أن مواجهة التطرف المؤدى إلى الإرهاب لا يكمن فى مطاردة الإرهابيين، ولكن فى مطاردة من يقومون بتشكيل عقولهم ومواجهتهم، ومنهم مثلاً خطباء المساجد. واعتبرت أن مواجهة الإرهاب "الإسلامى" مختلفة عن مواجهة الإرهاب فى مراحل سابقة، وأن القادرين على خوض هذه المواجهة ذات الطابع الفكرى والثقافى يجب أن يكونوا من المسلمين "المحدثين المعتدلين" الذين يجب التواصل معهم ودعمهم بكافة الإمكانات المادية والمعنوية لضمان النصر فى هذه "الحرب"[٧].

وفى مجال **التعليم**، استعانت دوائر البحث بالإحصائيات المتداولة عن تراجع مستويات التعليم ونظمه فى البلدان العربية للتأكيد على تخلف المنطقة عن مواكبة العصر وحاجتها الماسة إلى المساعدة فى هذا المجال، وخاصة فيما يخص تعزيز قيم التسامح والإخاء الإنساني.

وانعكست موجة التحريض هذه فى تصريحات المسئولين الأمريكيين من قيادات سياسية وعسكرية وإعلامية ودينية من أمثال وزير العدل "جون أشكروفت"[٨] والجنرال "بوبكين" نائب وزير الدفاع والقس "جيري فالويل"[٩] .. وغيرهم، ولم تتحرك أية جهة مسئولة بحكم القانون الأمريكي لمحاسبة أي من هؤلاء.

المبادرة

كانت مبادرة باول فى ١٢ ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٢ بمثابة التدشين الرسمي للخطة الأمريكية الجديدة فى المنطقة، وبلورة ما ورد من بنود غير معلنة فى قوائم المطالب الأمريكية إلى الحكومات العربية.

ألقى باول خطبته المعنونة "مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط" ذات الطابع الوعظي التبشيري فى مقر إحدى دوائر اليمين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحافظ الأمريكي (مؤسسة صندوق التراث) لعرض ما سماه بـ"الآمال والتطلعات التي نتقاسمها (أى يتقاسمها الأمريكيون) مع شعوب الشرق الأوسط"[١٠].

وأشار إلى ما أنجزه النموذج الأمريكي بتذكيره بما حققته ".. الديمقراطية والأسواق الحرة.." وانتشارها، وهو إن نوه بالمساهمة التاريخية للمنطقة "غير المقدرة بثمن" فى مجالات العلوم والفنون، إلا أنه توقف أمام الوضع السائد الذي رأى فيه شعوب المنطقة تفتقر إلى الحرية السياسية والاقتصادية، كما تفتقد فاعلية المرأة والتعليم الحديث، مستنداً على تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول، ومقتبساً منه ما يحلو له من فقرات تخدم خطابه، دون أن يشير من قريب أو بعيد إلى ما تعانيه المنطقة نتيجة الاحتلال الأجنبي والتهديد العسكري المستمر[١١]، وإلى تأثيره فى مسيرة المنطقة التنموية، على نحو ما أكد عليه وأبرزه تقرير التنمية الإنسانية.

وأشار "باول" إلى ما حققته الثورة التكنولوجية من تقدم على مستوى الإعلام العربى كانتشار الفضائيات والصحف، إلا أنه تحفظ على أدائها بقوله إن "بعضها – أي وسائل الإعلام- لم يرق إلى مستوى المسئولية بعد".

واستند من جديد إلى تقرير التنمية الإنسانية العربية، عندما عرج سريعاً على مشكلات التعليم من النواحي الإحصائية والاقتصادية، منتقلاً بسرعة إلى ضعف نظم التعليم لكونها نمطية ولا تساعد على إكساب المهارات للأطفال، فضلاً عن استشراء الأمية بين النساء.

وفى إحصائه لشركاء المبادرة المستهدفين، وضع باول المربين "المدرسين" فى فقرة خاصة، مشيراً لأهمية دورهم فى "سد فجوة المعرفة" عبر ما أسماه بـ".. مدارس أفضل ومزيد من فرص التعليم العالي.."

وقد تبعت المبادرة ملاحق كثيرة تركز على أهميتها، وعلى طبيعة الأوضاع المعقدة فى المنطقة، وعلى أن المبادرة هي وسيلة مناسبة للحل، وذلك من دون استفزاز دولة بعينها بتسميتها والحديث عن سلبيات محددة فيها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتتمثل هذه الملاحق فى العديد من بيانات الحقائق والنشرات الصحفية التي تكشف عن تعدد جهود الإدارة الأمريكية المبذولة فى المنطقة بالتعاون مع بعض حكوماتها. ومن أهمها بيان صادر فى ١٩ مايو/أيار ٢٠٠٣عن مكتب شئون الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية بعنوان "تفاصيل مبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية"[١٢]، وهو البيان الذى تناول الجهود المبذولة فى مجال تشجيع النمو الاقتصادي والتعليم والمعرفة والحرية والعدالة" وأوضح أن الإدارة الأمريكية تنسق مع حكومتي المغرب واليمن لتوسيع نطاق برامج تعليم المرأة فى البلدين لتشمل كل دول المنطقة فيما بعد.

كما أشار إلى لقاء وزير التعليم الأمريكي مع وزير التعليم المصري وثلاثة من المحافظين المصريين بغرض البحث فى توسيع برنامج التعليم فى محافظة الإسكندرية وتعميمه على محافظات مصرية أخرى وعلى دول المنطقة أيضاً، وذلك تحت عنوان "شراكات مع الدول لتمكين الآباء والمجتمعات المحلية ليكون لهم رأى أكبر فى تعليم أولادهم".

ونوه البيان بأهمية الشراكة الأمريكية مع حكومات المنطقة لـ"توفير حوافز للأسر التي تضم فتيات فى المدارس"، حتى "..لا يكون تعليم الفتيات ضحية فى الأسر ذات الموارد المحدودة.."، وأشاد ببرامج ناجحة فى هذا الإطار فى كل من مصر والمغرب. كما أشاد بالدور الذي تضطلع به وكالة "انتر نيوز" الصحفية لدعم وسائل الإعلام "المفتوحة" عبر تدريب الإعلاميين فى كل من الجزائر والبحرين ومصر ولبنان والمغرب والسعودية وتونس.

ومن بيانات الحقائق المهمة أيضاً، البيان الصادر عن المكتب ذاته عقب صدور تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني ٢٠٠٣ بعنوان "نحو إقامة مجتمع المعرفة"[١٣]، وبالمنهج ذاته اجتزأ البيان من التقرير ما يناسب تسويق الأفكار الأمريكية، فتناول حال التعليم وفى القلب منه نظم التعليم ومناهجه النمطية، وعرض انتشار ميول التطرف الديني، قبل أن ينتقل للتركيز على التحالف بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحكومات وبين بعض رجال الدين بما يعطل حرية الابتكار والإبـداع والاعتقـاد والرأي والتعبير فى العالم العربي.

وطورت الخارجية الأمريكية مبادرة أخرى بعنوان "مبادرة القيم المشتركة" التي تسعى بحسبها إلى تعريف العالمين الإسلامي والعربي بالقيم الأمريكية وطريقة الحياة الأمريكية، وبصفة خاصة حياة المسلمين الأمريكيين[١٤].

وأوضحت "شارلوت بيرز"، وكلية وزارة الخارجيـة الأمريكيـة للـشئون العامة ولدبلوماسية العامة طبيعة المبادرة وأهدافها، وأوردت انطلاقها من ضـرورة مواجهة خطاب المتطرفين الذين يثيرون الكراهية ضد الولايات المتحدة الأمريكيـة، خاصة مع تآكل صورتها الإيجابية عالمياً، وهو ما دللت عليه استطلاعات الـرأي التي ذكرت أنها تكشف "تآكلاً فى النوايا الطيبة" تجاه الولايات المتحدة في العالم.

وعرضت لاستخدامها (كمسئولة عن المبادرة) تقنيات الإعلان فـى بـث تصورها حول إيصال الأفكار والقيم الأمريكية إلى أكبر عدد ممكن مـن المتلقـين، وأوردت مثالاً حول عرض مقابلة أجريت فى المركز الإسلامي فى مدينة بلتيمـور الأمريكية على الهواء فى تليفزيون باكستان عبر الأقمار الصناعية، على نحـو أدى إلى رفع نسبة المشاهدة من بضعة مئات إلى عدة ملايين. ومن أهم ما سـاقته مـن آليات تعاون وزارتي الخارجية والدفاع فى تـسويق هـذه المبـادرة ذات الطبـاع الإعلاني.

وتضمنت وثيقة أمريكية حواراً صحفياً مع "ريتشارد باوتـشر" المتحـدث باسم الخارجية الأمريكية عن المبادرة فـى ٣٠ أكتـوبر/تـشرين أول ٢٠٠٣[١٥]، تضمنت الإشارة إلى إعداد أشرطة فيديو تحمل عنوان "الإسـلامية"، بـدأت الإدارة الأمريكية تجربة نتائجها فى أندونيسيا، وتهدف إلى تقديم صورة "صـحيحة" عـن الحياة الأمريكية وقيمها، وخاصة حياة المسلمين الأمريكيين، معتبرة أن هذه بدايـة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيتم استخلاص نتائجها قبل تطويرها باتجاه بلدان إسلامية أخرى، كأسلوب يلازم كافة تحركات الإدارة الأمريكية على هذا الصعيد.

وأضاف "باوتشر" أن هذه الشرطة ستعرض على قناة فضائية أمريكية ناطقة بالعربية، فضلاً عن تأسيس موقع إلكتروني لإجراء حوارات مباشرة مع العرب المسلمين على الإنترنت. وفى معرض رده على الأسئلة عبر عن اعتقاده بأن الأمر قد يستغرق وقتاً لإزالة العداء لأمريكا فى المنطقة، غير أنه من المستحسن البدء فى هذه الآونة. كما أحصى "باوتشر" اهتمام إدارته باللقاءات الإعلامية مع وسائل الإعلام العربية والإسلامية، منوهاً فى هذا الصدد بخمسمائة مقابلة تم إجراؤها.

وفى خطابه الذي ألقاه فى مارس/آذار ٢٠٠٣، أعطى الرئيس الأمريكي "جورج بوش" دفعة كبيرة لمبادرة الشراكة مع الشرق الأوسط[١٦]، عندما أعلن نية إدارته عقد اتفاقات للتجارة الحرة مع دول المنطقة، فيما بدا أنه سيكون نوع من المكافأة للحكومات المتجاوبة مع المبادرة.

غير أن اهتمام الرئيس الأمريكي تحول باتجاه التركيز على قضية الإصلاح السياسي والديمقراطي والثقافي فى العديد من تصريحاته عقب لقائه مع مسئولين عرب، وكذا خلال خطبه الدورية، ونال الأمر اهتمامه الكبير فى خطابه الذي ألقاه بمقر الصندوق القومى للديمقراطية فى نوفمبر/تشرين ثان ٢٠٠٣[١٧]، وكرس خلاله منهج مخاطبة الشعوب، ولا سيما نداءه إلى الشعب "المصري العظيم" الذي طالبه فيه بقيادة المنطقة نحو الديمقراطية كما قادها من قبل نحو السلام، فى إشارة ذات مغزى إلى اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، ولا تخلو من دلالة الربط بين قضيتي التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي ومسألة نشر الديمقراطية وإجراء إصلاحات هيكلية فى المنطقة.

ويبدو أن الرئيس الأمريكي قد اتخذ من مسألة تنفيذ مبادرته بنداً هاماً وأساسياً فى برنامجه الانتخابي خلال العام ٢٠٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم أوردت المصادر الصحفية نص مبادرة متكاملة حملت عنوان "الشرق الأوسط الكبير" ينتظر أن يعرضها الرئيس الأمريكي على اجتماع قمة الدول الثماني الكبرى G8 فى اجتماعها المزمع فى يونيو/حزيران ٢٠٠٤ المقبل لنيل دعمهما ومساندتهما لتنفيذ مشروعه، وتعد هذه المبادرة بمثابة بلورة أكثر تطوراً لخطة إدارته فى المنطقة، وقد تساعده على نيل قدر من الشراكة مع القوى الأوروبية التى تعمل فى الوقت ذاته على تطوير مبادراتها الأورو متوسطية.

ويعزز نص هذه المبادرة بشكل كبير من المخاوف العربية من النيل من هذه المنطقة وهويتها، من خلال التوسع باتجاه بلدان جنوبي آسيا وتركيا وإسرائيل، خاصة بعدما وصف نص المبادرة إسرائيل بأنها النموذج الديمقراطي الذي يعد ملهماً للمنطقة[١٨].

وبوجه عام، فإن الإدارة الأمريكية شرعت فى تبني الآليات والتحرك للتنفيذ الفعلي لمشروعها "الإصلاحي" على كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية، وفى هذا الجانب الأخير موضوع هذا البحث، فقد قامت الإدارة الأمريكية باتخاذ الخطوات التالية :

على صعيد الإعلام

أسست الإدارة الأمريكية محطة "سوا" الإذاعية الناطقة باللغة العربية للتكامل مع الدور الذي يلعبه البرنامج العربي بإذاعة "صوت أمريكا"، وكلاهما يتبع الإدارة الأمريكية. تستخدم إذاعة سوا على نطاق واسع فن الرسائل الاتصالية، حيث تقوم بتقديم أحدث البرامج الترفيهية الفنية الجاذبة لقطاعات الشباب، وتقدم موجزاً إخبارياً "تلغرافياً" فى أقل من دقيقة واحدة فى كل ساعة، ينقل إلى المستمعين عناوين سريعة لأحدث الأنباء وأهمها مصاغة بعناية كبيرة. أى تقدم وجبة سياسية خفيفة وسريعة يكون لها أبلغ الأثر فى تكوين ثقافة سمعية سطحية الطابع، يصعب التوقف أمامها بالتأمل والتحليل، ويمكن أن تخلق بالتراكم قناعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لدى قطاعات المستمعين غير المعنيين بمتابعة الشأن السياسي، فضلاً عن التأثير فى وجهة تطلعاتهم[١٩].

وتطويراً لمنهج "سوا" الذي اعتبر ناجحاً خلال العدوان على العراق، سرعت الإدارة الأمريكية من وتيرة العمل لإنجاز قناة فضائية منوعة ناطقة بالعربية تحمل اسم "الحرة"، وبدأت بثها فعلاً فى ١٤ فبراير/شباط ٢٠٠٤، وهي تهدف بحسب المسئولين الأمريكيين إلى إزالة سوء الفهم الشعبي العربي للسياسات الأمريكية فى المنطقة، غير أن مسئولها العربي الأصل (موفق حرب) أكد أنها ستعمل على تطوير المنهج الذي تتبعه إذاعة "سوا"، كأسلوب لمواجهة التغطيات المنحازة ضد السياسات الأمريكية فى الفضائيات العربية، وأورد فى هذا السياق نموذج التغطية الإخبارية لفضائية الجزيرة كنموذج مطلوب من فضائية "الحرة" مقاومته، مدللاً على انحياز الجزيرة بأنها عندما تقدم خبراً حول قصف إسرائيل الجوي للمدنيين الفلسطينيين، فإنها تتعمد الإشارة إلى أن القصف تم بـ"طائرات أمريكية الصنع"[٢٠].

وكشف ممثل لإحدى المنظمات الأمريكية عن محاولة مؤسسته العمل فى المنطقة العربية على تكرار تجربتها لدعم مؤسسات إعلامية حرة ومستقلة فى بلدان شرق أوروبا عقب انهيار الكتلة الشرقية، ولكنه اصطدم، فى محاولة تأسيس منابر إعلامية، بعزوف راس المال المحلي عن المشاركة نتيجة مخاوفه، فضلاً عن صعوبة الحصول عل تراخيص رسمية[٢١]. ولكن ذلك لم يمنع مراقبين عرب من رصد نجاح هذه المحاولة فى ثماني بلدان عربية وبمشاركة رؤوس أموال محلية قبل نهاية العام ٢٠٠٣[٢٢].

وفى جانب الإعلام المكتوب، أصدرت الإدارة الأمريكية مجلة متنوعة بالعربية "هاي .. بدأ الحوار" تقدم المواد الجاذبة لاهتمام قطاعات الشباب العربي، وتعمل على تسويق نمط الحياة الأمريكي[٢٣].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشرعت وكالة "انتر نيوز"، التي عهدت إليها وثائق الخارجية الأمريكية بالعمل على تعزيز الحريات الصحفية فى العالم العربي، شرعت فى تدريب شرائح منتقاة من الصحفيين من بلدان عربية متنوعة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كشفت أولى بعثات المتدربين من مصر عقب عودتها من البرنامج التدريبي أن محتوى البرامج التدريبية أقل من خبرة أعضائها المهنية بكثير، وأن الحوارات ذات الأهمية قد ارتكزت حول رؤية هؤلاء الأعضاء للقضايا الشائكة فى الشرق الأوسط، والدفاع عن السياسات الأمريكية إزاءها، واعتبروا فى التحليل الأخير أن البرنامج التدريبي هو نوع من الرشوة غير المباشرة ومحاولة لشراء ولائهم السياسي وإثارة إعجابهم بالنموذج الأمريكي[٢٤]، وذلك على عكس ما تنقله بيانات الخارجية الأمريكية الرسمية عن نجاح هذه البرامج فعلاً وإثارتها إعجاب المتدربين العرب والإسلاميين بنموذج الحياة الأمريكية[٢٥].

على صعيد التعليم

رغم الغموض الذي يكتنف التحركات الأمريكية فى هذا الصدد، إلا أن ما تكشف فى المصادر الصحفية من نماذج التطوير الأمريكية للمناهج التعليمية، وطبيعة المؤسسات الأمريكية المنوط بها تطوير المناهج الدراسية فى بعض البلدان العربية، يستحق التوقف أمامه. فعلى سبيل المثال كلفت حكومة قطر إحدى مؤسسات اليمين الأمريكي المحافظ (مؤسسة راند الأمريكية المتخصصة أساساً فى التقييم الاستراتيجي الدولي ووثيقة الصلة بوزارة الدفاع الأمريكية) بوضع خطة تحديث لنظم التعليم، ركزت فيها على زيادة الاعتماد على اللغة الإنجليزية لتصبح لغة تدريس أساسية للمناهج التعليمية، وذلك ضمن عمليات التطوير التكنولوجي لنظم التعليم[٢٦].

وكشف فريق علمي مؤلف من أساتذة تاريخ الشرق الأوسط فى جامعات أمريكية وكندية وفرنسية، زار بغداد خلال يونيو/حزيران ٢٠٠٣ وأصدر تقريراً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعنوان "فتح الأبواب : الحياة الثقافية والأوضاع الأكاديمية فى بغداد ما بعد الحرب" عن التدمير الواسع الذى لحق بتلك الحياة أثناء الحرب وبعدها، وشمل تخريب الأبنية التي تضم التراث الثقافي والحضاري للعراق، وما تعرضت له الأبنية التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات من سرقة ونهب وتدمير خلال الفوضى التي عمت البلاد عقب سقوط بغداد تحت سمع قوات الاحتلال وبصرها، وهى الأعمال التى نالت بصفة خاصة من كتب التراث ومخطوطاته المتعلقة بهوية البلاد وتاريخها(٢٧).

وعرض التقرير للعواقب السلبية لتعيين مسئول بوزارة الخارجية الأمريكية يلقب بـ"الدكتور أدرمان" مستشاراً لوزارة التعليم العالي وممارسته لكافة صلاحيات الوزير الفعلي، منوهاً بضعف احترامه بين رفاقه الأكاديميين وانعدام خبرته بالشرق الأوسط وعدم معرفته باللغة العربية، والتزامه بخطة معدة منذ ما قبل الغزو فى واشنطن يعمل على تنفيذها وتستهدف الفصل بشكل كامل بين بنية الجامعات والمعاهد التعليمية ومؤسسات المجتمع بما يتجاوز عملية خصخصة الجامعات واستقلاليتها، ويفتح الباب أمام انضمام أجانب وغير أكاديميين بمجالس إداراتها، مع فرض الرقابة الشاملة على البنية المتطورة لمراكز البحث العلمي والتكنولوجي والنووي والكيميائي فى الجامعات.

ولعل مما يساهم فى فرض مزيد من الغموض حول برامج الاحتلال فى مجال التعليم العراقي ما أوردته المصادر الصحفية عن تعديل المناهج الدراسية بما يكرس من سمت الطائفية والعشائرية ويدفع إلى مزيد من الانقسام بين فئات الشعب العراقي.

وفى مجال تطوير الخطاب الديني

رغم غياب الحديث عن مثل هذا التطوير فى الوثائق الرسمية الأمريكية، إلا أن العديد من المصادر تحدثت عن وثيقة أمريكية أعدتها إحدى اللجان فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وزارة الخارجية الأمريكية حملت عنوان "مشروع تطوير الخطاب الديني" بهدف تبنى "لغة التواصل والحوار بين الإسلام وغيره من الديانات الأخرى"[٢٨]، وتضمن محتواها ربط المعونات الأمريكية إلى المنطقة بالتقدم المحرز على صعيد تلبية مطالب المشروع، الذي يركز على تقليل الاهتمام بالجانب الديني فى الحياة الاجتماعية العامة، وإبرازه كمعيار ثانوي فى أساليب الحياة الاجتماعية للمواطنين[٢٩].

ويقوم "التطوير" على تدريب مكثف للعاملين فى مجالات الدعوة الدينية باستهداف شرائح رجال الدين "الرافضين للإرهاب"، مع العناية بمفردات الخطاب الديني وموضوعاته بحكم دورها فى تشكيل السلوك الفردي والاجتماعي، ومن ذلك تعزيز مسألة "جهاد النفس" على حساب المعنى العام للجهاد.

ومن الآليات المفترض اتباعها فى المشروع تشكيل لجنة دينية عليا من رجال الدين فى الديانات السماوية الثلاث، تقوم بتعميم توجيهات ملزمة للدعاة، وتركز فى الخطاب الإسلامي على العناية بخطب الجمعة ومنع "تسييسها"، مع تطوير دور المسجد ليتحول إلى مؤسسة اجتماعية.

وفى **العراق** "النموذج"، أكد "بول بريمر" رئيس سلطة "الائتلاف" فى العراق على رفضه القاطع لوضع دستور عراقي جديد يقر مبدأ أن الشريعة الإسلامية هي مصدر رئيسي للتشريع[٣٠].

ردود الفعل العربية

اتسم رد **الفعل الشعبي** العام بالفتور والرفض للمبادرة الأمريكية، ولا سيما أنها جاءت فى وقت تعصف بالمنطقة أجواء العدوان على العراق، ودارت تحليلات غالبية النخب الثقافية حول حقيقة الأهداف الأمريكية من المبادرة وجوهرها، وأنها تستهدف مزيداً من التجزئة والتشتت والتقسيم للبلدان العربية، استناداً إلى طبيعة جهود الإدارة الأمريكية فى كل من العراق والسودان وفلسطين[٣١].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما رأت تحليلات أخرى أن المخطط الأمريكي للهيمنة يستهدف النيل من الدين الإسلامي ذاته، وينم عن كراهية وصراع له طابع ديني تاريخي ممتد، خاصة أن العديد من دوائر الثقافة الأمريكية ألقت بثقلها عقب نهاية الحرب الباردة وانهيار الكتلة الاشتراكية فى سلة الهجوم على الإسلام والمسلمين[٣٢].

وقد أعرب ٨٨% من الهيئة المشاركة فى استطلاع للرأى أجرته شبكة تليفزيون بى بى سى البريطانية فى مطلع شهر نوفمبر/تشرين ثان ٢٠٠٣ عن رفضهم للمبادرة الأمريكية وخاصة خطاب الرئيس الأمريكى حول الديمقراطية فى الشرق الأوسط[٣٣]. كما أعرب ٧٦% من المصوتين على استفتاء للجزيرة على الإنترنت فى مطلع فبراير/شباط عن رفضهم للمبادرة الأمريكية[٣٤].

وعلى صلة بذلك اتجهت الغالبية من المراقبين والنخبة المثقفة إلى تشريح المبادرة الأمريكية واتهامها بطبيعة تآمرية. مذكرة بأن جل مطالبها تبدأ من منطلق إجراء إصلاحات سياسية وقانونية ممكنة فى الوقت الحالي، مثل إقرار حياة دستورية سليمة تكفل التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة والسلام الاجتماعي والمساواة فى حقوق المواطنة وإلغاء الطوارئ والقوانين الاستثنائية وغيرها من المطالب الدارجة لحركة الإصلاح العربية، بيد أنها رأت أن شأن الإصلاح على المستويات الثقافية والدينية يبقى شأناً خاصاً بالمنطقة، حتى لو تلاقت مفردات الإصلاح الذاتي فى هذا الجانب مع المفردات الأمريكية، فضلاً عن حاجة التغيير الثقافي للمجتمعات إلى فترات طويلة نسبياً[٣٥].

ولم يحل هذا الموقف دون بروز فريق من المثقفين والكتاب العرب المؤيدين كلياً أو جزئياً للمبادرة الأمريكية، بدعوى تحجر النظم العربية، وعجز القوى السياسية والاجتماعية الإصلاحية فى العالم العربي عن إحداث التغيير المنشود على الساحات العربية، واتهامها بالانقسام وعدم امتلاك مشروع واضح للإصلاح الذاتي[٣٦].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحتدم الجدل بين هذا الفريق، وبين بقية النخب المثقفة بخصوص العديد من القضايا الشائكة، وعلى رأسها قضية قابلية المجتمعات العربية لعمليات التحول أو الانتقال الديمقراطي، ففيما أيد الفريق المناصر للمبادرة الأمريكية وجهة النظر الأمريكية بأن المجتمعات العربية تحتاج للمساعدة الأمريكية في إنجاز عمليات التحول الديمقراطي كما حدث فى كل من ألمانيا واليابان عقب الحرب العالمية الثانية ودول الكتلة الشرقية عقب الحرب الباردة[٣٧]، رأت بقية النخب انعدام مصداقية الإدارة الأمريكية، بل ذكرت بدورها فى دعم النظم الاستبدادية، وأكدت أن تاريخ المجتمعات العربية يحفل بالتجارب الديمقراطية التي يرجع بعضها إلى سبعينيات القرن التاسع عشر كالتجربة المصرية مثلاً، ولم تر أن الثقافة العربية الإسلامية تكفل مبدأ "الشورى"[٣٨].

وبشكل عام فلقد أعاد الحوار الفكري على الساحة العربية إشعال الجدل حول العديد من القضايا، وعلى رأسها قضية الخصوصية والعالمية، وهوية الأمة، وتنقية التراث، وفتح باب الاجتهاد الفقهي، وهو ما تجسد فى مناسبات مختلفة، منها أعمال الدورة الثالثة لمؤتمر قطر حول "الديمقراطية والتجارة الحرة" التى انعقدت فى العام ٢٠٠٣ وناقشت بين ما ناقشت قضايا تطوير التعليم وتحديث الممارسة الدينية وتحرير الإعلام من سيطرة الدولة[٣٩].

أما على **المستوى الرسمي**، فقد بدا التفاعل متفاوتاً من بلد إلى آخر، وشرعت العديد من حكومات المنطقة فى إطلاق التصريحات وتبني مبادرات إصلاحية دون الإشارة صراحة إلى المطالب الأمريكية، بل وأكدت أحياناً أن مبادراتها سابقة على المطالب الأمريكية، وأنها بعيدة عن أية ضغوط خارجية.

مظاهر الاستجابة العربية

يمكن رصد مظاهر الاستجابة العربية على المستوى الرسمي بالأساس، على الرغم من الغموض الذي يكتنف جهود الإصلاح الرسمية بفعل تزامنها مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قوائم المطالب الأمريكية إلى الحكومات، عقب ١١ سبتمبر/أيلول، ثم عقب مبادرة الشراكة، بحيث ظلت معظم الجهود فى طي العناوين والخطوط العامة، ولا تتضح قبل ترجمتها إلى إجراءات فعالة.

على صعيد **الخطاب الديني**، والذي يلتصق بعمليات **تعديل مناهج التعليم**، خاصة مناهج الدين الإسلامي، مثلت **السعودية** النموذج الأبرز فيما تعرضت له من ضغوط، واستجابتها لهذه الضغوط رغم التعقيدات التي تترافق مع هذه الاستجابة.

وكان من أبرز مؤشرات التجاوب العربية المبادرة التي أعلنها ولي العهد السعودي الأمير "عبد الله بن عبد العزيز" التي ارتدت لباساً إقليمياً، وكان مقرراً أن يتقدم بعرضها على مؤتمر القمة العربية مرتين، وحالت ظروف المنطقة ومناقشات القمتين دون عرضها، أو هكذا بدا الأمر(٤٠)، هذا مع العلم بأن المبادرة لم تتضمن خطوطاً واضحة للإصلاح المطلوب، بل جاءت عبارة عن خطوط أكثر من عامة وفضفاضة.

وتقع السعودية على وجه الخصوص تحت وطأة ضغوط كبيرة، تنطلق من أهميتها الدينية والنفطية، وكونها البلد الرئيسي فى شبه الجزيرة العربية، وينتمي إليها غالبية المتهمين بارتكاب أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١. فضلاً عن مزاعم تورط عدد من أفراد العائلة المالكة فيها بتمويل الإرهاب ورعايته، ولقد تصاعدت حدة هذه الضغوط بعدما أصدرت اللجنة المشكلة فى الكونجرس تقريرها حول أحداث نيويورك وواشنطون، ومنع قرار رئاسي نشر ٢٨ صفحة من التقرير، أجمعت وسائل الإعلام على أنها تتهم أفراداً من العائلة المالكة صراحة بالضلوع فى تمويل الأحداث(٤١).

ومع تزايد الضغوط الأمريكية، شرعت المملكة رسمياً فى اتخاذ بعض الخطوات على الصعيد السياسي مثل القبول بانتخابات جزئية للمجالس البلدية وتشكيل لجان نقابية عمالية محدودة. غير أن كافة هذه التحركات تأتي غاية فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البطء، وبشكل لا يزال بعيداً عن القضايا الجوهرية، وينطلق من نقطة متأخرة تحتاج لعقود حتى تثمر[٤٢].

بينما تسارعت وتيرة النظر فى كيفية تعديل المناهج التعليمية وتطوير الخطاب الديني نفسه عبر عقد العديد من الحوارات المغلقة برعاية العائلة المالكة، مثل منتدى الحوار الوطني[٤٣] الذى التأم تحت شعار "بعيداً عن الغلو وبحثاً عن الوسطية والذي لم تعلن نتائجه، ولقاء مجمع الفقه الإسلامي فى مكة خلال شهري نوفمبر/تشرين ثان وديسمبر/كانون أول ٢٠٠٣[٤٤] والذي تركز جدول أعماله حول البحث فى قضايا الغلو والتطرف والجهاد.

وأكدت كافة التصريحات الرسمية أن الإصلاح يشمل مناهج الدراسة الدينية ضمن تحديث العملية التعليمية كلها، وأن إصلاح التعليم يهدف لترويج الاعتدال، كما نقلت المصادر الصحفية تصريحات لإصلاحيين سعوديين تحدثوا فيها عن ضغوط على الرياض لتلبية ما سمي بـ"تنقية الكتب الدراسية مما يخدم التطرف وكراهية الغرب فى النفوس"، وأنه جرت بالفعل تنقية أولية لمناهج التعليم من كافة العبارات والمفردات التي قد تدفع إلى "التعصب"[٤٥].

كما شهدت البلاد جدلاً واسعاً خلال العام ٢٠٠٣ حول فتاوى التكفير التي يصدرها بعض الشيوخ، حيث أدت تداعيات تفجيرات الرياض المتتالية والمواجهات المستمرة مع المتشددين إلى تراجع عدد من كبار الشيوخ المؤيدين لجماعات التشدد عن فتاواهم[٤٦]، فيما حرص شيوخ آخرون على تبني فتاواهم السابقة وانتقاد تراجع سواهم. وقد شملت المواجهة مع المتشددين العمل على وضع كافة المساجد والزوايا وكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم قيد الرقابة رسمياً، وأخضعت ثلاثة آلاف من أئمة المساجد لبرنامج إعادة تثقيف بهدف تشجيعهم على "التسامح في الإسلام"[٤٧].

وكانت **قطر** التي سبقت إلى مسألة الإصلاحات، قد شكلت لجنة لإعداد دستور للبلاد، وسارعت لإقراره خلال العام ٢٠٠٣، علماً بأن هذا الدستور كفل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العديد من الحقوق والحريات الأساسية، كما قامت بتشكيل مؤسسة وطنية لحقوق الإنسان. ومثلما سبقت الإشارة فقد استعانت حكومة قطر بمؤسسة راند فى تحديث مناهج التعليم الدراسية بما فى ذلك المناهج الدينية.

وبرزت القضية أيضاً فى **الكويت**، لا سيما فيما يخص قضية مناهج التعليم التي أثارت عقب قمة مجلس التعاون الخليجي المنعقدة في العاصمة الكويتية جدلاً واسعاً خاصة داخل مجلس الأمة الكويتي(٤٨)، واحتج النواب الإسلاميون على أي تحرك قد يستهدف تلبية المطالب الأمريكية المعلنة على مستوى دول الخليج. وفيما أيدوا "التطوير الأكاديمي" للمناهج الدراسية، فإنهم تحفظوا على غياب الترويج للقيم والمبادئ الإسلامية في بند التربية والتعليم الوارد بالخطة السنوية للحكومة الكويتية، واعتبروه مؤشراً على الاتجاه لتلبية الضغوط الأمريكية على صعيد التعليم والخطاب الديني. وحذر النواب المسئولين من المساس بمناهج التربية الدينية، وتساءلوا عما إذا كانت السلطات تعتزم الترويج لدين جديد.

كما كانت السلطات الكويتية قد فرضت حصاراً على أنشطة غالبية جمعيات الدعوة الدينية بناء على ضغوط أمريكية كانت محل نقاش رسمي بين أعضاء في الكونجرس الأمريكي ونواب كويتيين(٤٩).

وبوجه عام، كانت الضغوط الأمريكية محل تأثير كبير فى مختلف دول مجلس التعاون الخليجي التي اتخذت جميعها خطوات متفاوتة للتجاوب معها، من أهمها إفساح المجال أمام المشاركة السياسية للمرأة فى قطر والبحرين وسلطنة عمان، والاهتمام بعقد مؤتمرات عديدة حول قضايا حقوق الإنسان وحقوق المرأة والمجتمع المدني .. الخ.

كما خضعت الجمعيات الخيرية والدينية التي تمثل عصب المجتمع المدني في الخليج لضغوط كبيرة، لا سيما وأن أنشطة هذه الجمعيات يرتبط فيها العمل الخيري محلياً ودولياً بالدعوة الدينية التي باتت تصنف كـ"خطاب تحريض" على الإرهاب من جانب الإدارة الأمريكية، ففضلاً عن المراقبة الصارمة لأنشطة هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجمعيات، تعرض عدد منها للإغلاق الكلي أو الجزئي ووقف بعض أنشطته، فأغلقت مؤسسة سعودية كبيرة هي مؤسسة الحرمين عشرة من مكاتبها فى الخارج، وأغلقت مؤسسات خيرية ودعوة وتربية سعودية وإماراتية أخرى فى موريتانيا والصومال(٥٠)، واستجابت حكومة الإمارات لضغوط أمريكية وصهيونية بإغلاق مركز زايد للتنسيق والمتابعة فى أبو ظبي بزعم معاداته للسامية(٥١).

وفي **اليمن** التي تأثرت بأحداث تفجير المدمرة الأمريكية "كول" فى أكتوبر/تشرين أول ٢٠٠٠، بادرت السلطات فى مطلع العام ٢٠٠١ إلى وضع المعاهد الدينية الأهلية تحت سيطرة الدولة بعد تزايد الاتهامات لها بإنتاج التطرف والإرهاب(٥٢)، وخلال العام ٢٠٠٣ قامت السلطات نفسها بإجراء حوار واسع ومنظم مع الشباب اليمني بهدف نزع بذور التطرف الديني، ونشر قيم التسامح بين عناصره و"تعليمهم صحيح الدين" وسعت لوضع المساجد تحت سيطرتها(٥٣).وطورت على صعيد آخر حوارها بتشكيل لجنة رسمية برئاسة أحد القضاة للتحاور مع المتهمين فى قضايا التطرف والإرهاب، وأجرت عدة جولات منه، أسفرت عن الإفراج عن مئات من المتهمين(٥٤).

وفى **مصر**، أعلنت مؤسسة الأزهر على لسان رئيس جامعتها الدكتور "أحمد الطيبي" عزمها على النظر فى نوعية المناهج الدينية والتربوية فيها بغرض التحديث ومجاراة روح العصر(٥٥)، وعقد شيخ الأزهر فى وقت مبكر العديد من اللقاءات مع ممثلين للأديان السماوية الأخرى فى الإسكندرية، أكد خلالها على التوافق حول ضرورة تطوير الخطاب الديني باتجاه تعزيز قيم التسامح والإخاء، كما شهد موقع مفتي البلاد عدة تغييرات خلال أقل من عامين، بعد أن شهدت مصر سلسلة من السجلات بين شيخ الأزهر والمفتى فى عدة قضايا، من أبرزها الموقف من العمليات الاستشهادية الفلسطينية(٥٦).

كما تركزت أعمال مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره السنوي خلال العام ٢٠٠٣ على النظر فى قضية تجديد الخطاب الديني، وكذا تعديل مناهج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التربية الدينية، واتجه الخطاب بوجه عام إلى ضرورة الاهتمام بقيم الإخاء والتسامح الإنساني[٥٧] ونال موقع أئمة المساجد الاهتمام الأكبر في المؤتمر، وقفزت المناقشات وخاصة تلك الصادرة عن الممثلين للمؤسسات الدينية الرسمية العربية فوق الاتفاق على المبادئ العامة داعية إلى ضرورة ضبط دور خطباء وأئمة المساجد.

وكانت قضية التعليم على رأس جدول أعمال المؤتمر السنوي الثاني للحزب الوطني الحاكم[٥٨]، وبدأت وزارة التربية والتعليم المصرية فى إعادة النظر فى برامج التعليم المدرسي، تحت عنوان تحديث نظم التعليم وتحسين نوعيته، وبدأت الجامعات المصرية سلسلة من الندوات والمؤتمرات بشان تأمين نظم تعليم أكثر قابلية لتطورات العصر. ومن أهم المبادرات الرسمية فى هذا الشأن مشروع وزارة التربية والتعليم بعنوان "المعايير القومية للتعليم ومشاركة المجتمع فى تطويره"، والذي يتناول محوره الثاني "رؤى المثقفين تجاه ثقافة المجتمع" وآليات تطوير الثقافة[٥٩].

وأدخلت وزارة التربية والتعليم مادة جديدة إلى المدارس باسم "مادة الأخلاق"، دافع عنها وزير التربية والتعليم بقواه إنها لا تستهدف تلبية الضغوط الأمريكية بتعديل المناهج الدراسية والدينية، وليست بديلاً لتدريس مادة الدين الإسلامي، بيد أن المصادر أوردت أن المادة الجديدة تتضمن التأكيد على القيم المشتركة فى الأديان السماوية الثلاث، فى وقت يتزامن مع استبعاد بعض المفردات كمصطلح "الجهاد" من التربية الإسلامية[٦٠].

وفى **الأردن**، تداول مجلس النواب قضايا تحديث التعليم ومناهج التربية الدينية، وشهد جدلاً بين تيارات النواب من ناحية وبين الحكومة من ناحية أخرى. حيث قدمت الحكومة مشروعاً بعنوان "مصفوفة المناهج الدولية المشتركة" تشتمل على تقديم مفاهيم السلام والتسامح، وقدم خمسون نائباً مذكرة لرئاسة مجلس النواب اعتبروا فيها أن المناهج الدراسية والدينية فى الأردن مستهدفة شأنها شأن بقية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الدول العربية، معربين عن رفضهم أية ضغوط فى هذا الشأن، فيما قدم حزب جبهة العمل الإسلامي مذكرة احتجاج إلى رئيس الحكومة على سياسة حكومته فى الاستجابة لتعديل المناهج بإملاءات خارجية من الولايات المتحدة و"إسرائيل"، معتبراً ذلك اعتداء على سيادة الوطن والموروث الثقافي للأمة(٦١).

وفى **سوريا**، دافع وزير التعليم عن التعديلات التى أدخلتها بلاده على المدارس والجامعات، من ناحية إلغاء الرداء العسكرى لطلبة المدارس، وإلغاء التدريب العسكرى الإجباري فى الجامعات، واعتبر أن جهود حكومته للنظر فى مناهج التعليم المدرسية والجامعية ترتبط بعملية تحديث مجردة لا بضغوط خارجية لتعديل الرؤية السياسية(٦٢).

وفي **المغرب** الذي حظي بتأييد وإشادات أمريكية وفرنسية واسعة، أعرب الملك عن تمسكه بوحدة المذهب المالكي فى البلاد، وعلى حين فسر البعض ذلك بالمصادرة على مدارس الاجتهاد الأخرى والرغبة فى تأمين شرعية الدولة، فسره البعض الآخر بالرغبة فى الحد من سيولة الفتوى المستشرية بين الجماعات المتطرفة والتي أدت إلى وقوع الأحداث الإرهابية(٦٣).

وشرعت الحكومة في زيادة الاهتمام بأوضاع النساء وتطوير خطة الملك لإدماج المرأة فى التنمية، وجرى تعديل بعض القوانين، وعلى رأسها قانوني الأحوال الشخصية والأسرة، استحدث قانون خاص بالتحرش الجنسي، وقد جاء تعديل قانون الأحوال الشخصية وقانون الأسرة مثيراً للجدل، حيث تناول تقييداً كبيراً للرخص الشرعية الممنوحة للرجال، ومنح حقوقاً هامة للنساء،وقد لقي التعديل موافقة نواب حزب العدالة والتنمية (بتوجهه الإسلامي) فى البرلمان على غير المتوقع، ولكن وقع ذلك فى ظروف ما بعد أحداث الدار البيضاء الإرهابية وتوجيه أصابع الاتهام إلى التيار الديني بالوقوف من ورائها(٦٤). وفى تطور آخر، دعا الملك إلى تعديل قانون الأحزاب بما لا يسمح بقيام أحزاب على أسس دينية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى صعيد **الأداء الإعلامي**، شهدت دول مجلس التعاون الخليجي، ضغوطاً أمريكية متوالية على الفضائيات، ولا سيما فضائية الجزيرة خلال العدوان على أفغانستان بهدف تغيير منهجها فى تغطية الأحداث، وانضمت إليها كل من فضائيتي أبو ظبي والعربية خلال العدوان الأمريكي على العراق وفى أعقابه، وقد تعرضت مقار الجزيرة فى أفغانستان والعراق للقصف العمدي، كما تعرض له أيضاً مكتب قناة أبو ظبي فى العراق، فضلاً عن منع قناة العربية من العمل فى العراق عقب الاحتلال، ومنع بعض مراسلي الجزيرة من مزاولة نشاطهم فيه، وذلك بتهم التحيز فى التغطية الإعلامية(٦٥).

أكثر من ذلك تصاعدت الضغوط على الجزيرة بإقالة رئيسها "جاسم العلي" فى أعقاب العدوان على العراق، وذلك بعد اتهامات وجهت لإدارة الشبكة بإقامة علاقات مع الاستخبارات العراقية، ولوحق "تيسير علوني" أشهر مراسلي القناة فى أسبانيا بتهمة الانتماء إلى تنظيم القاعدة. هذا فى الوقت الذي أطلقت فيه الإدارة الأمريكية محطتها الفضائية "قناة الحرة" الناطقة بالعربية من قبرص، والتي أكد مسئولوها عزمهم مقاومة منهج الجزيرة.

وفى بلدان **المشرق العربي**، شهدت كل من الأردن ومصر العديد من الخطوات، بعضها معلن،، لإجراء إصلاحات عدة، ولئن جاءت غالبية هذه الإصلاحات في إطار سياسي واقتصادي وإداري بالأساس، إلا أنه لم تغب عنها قضايا الإعلام.

ففي **الأردن**، اتخذت الحكومة إجراءات واسعة للانتهاء من مشروعها لإقامة منطقة إعلامية حرة بهدف اجتذاب القنوات الفضائية وشركات الاتصال التكنولوجي، وألغت وزارة الإعلام وشكلت مجلساً وطنياً للاضطلاع بشئونه(٦٦).

وفى **مصر**، تعرض الإعلام لضغوط مزدوجة، فمن ناحية جرى اتهام عدد من الكتاب والفنانين بالعداء السامية، بينهم رئيس تحرير أكبر صحيفة مصرية هي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأهرام الذي جرت المطالبة بمحاكمته فى فرنسا بسبب مقال رأي نشره أحد كتاب الجريدة[٦٧].

ومن ناحية أخرى اضطر مقدمو البرامج المرئية إلى تعديل تناولهم للقضية الفلسطينية، بعد اتهام الرئيس الأمريكي وسائل الإعلام العربية بالتحريض على الإرهاب بوصفها لعمليات المقاومة الفلسطينية بـ"الاستشهادية" بدلاً من "الإرهابية"[٦٨].

كما قام دبلوماسيون أمريكيون وبريطانيون بممارسة ضغوط مباشرة وعلنية على الصحافة المصرية لموقفها المناهض للعدوان على العراق والمشاريع الأمريكية فى المنطقة[٦٩].

وفى **العراق**، الذي تروج الإدارة الأمريكية لمقولة أنه النموذج المرتقب للتحول الديمقراطي فى المنطقة، عملت سلطات الاحتلال بداية على استغلال موجات البث الرسمي المرئي والمسموع فى العراق لصالح قواتها خلال عملياتها العسكرية وفى أعقاب سقوط بغداد، وإن فشلت جهودها فى ترويج سياساتها فى العراق عبرها، وأية ذلك التغييرات المستمرة فى مواقع المسئولين الأمريكيين عن إدارة الإعلام فى العراق الذين كانوا قد بدأوا عملهم بما أسموه اجتثاث أعضاء حزب البعث من دوائر الإعلام كما من دوائر التعليم والدواوين العامة[٧٠].

وقد استخدمت الإدارة الأمريكية موجة بث القناة الفضائية العراقية الرسمية السابقة فى إطلاق بث فضائيتها "الحرة"، وذلك تزامناً مع مواجهة الفضائيات العربية الأخرى العاملة فى العراق كما سبقت الإشارة.

وفيما منحت سلطة الاحتلال الإذن بإصدار قرابة ٧٥ صحيفة ومطبوعة لمختلف الأحزاب السياسية الحالية فى العراق، والتي يصدر معظمها فى عدد قليل من الصفحات، فإنها حرصت على دعم عدد من الإصدارات المرتبطة بها مالياً وسياسياً كما دعمت بعض الإصدارات الخاصة بالقوى الموالية لاستمرارها[٧١].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلاصة

يلتقي كثير من مطالب الإدارة الأمريكية الواردة فى مبادرتها لإصلاح المنطقة مع مطالب الحركة الإصلاحية العربية فى العناوين والمفردات، ولكنه قطعاً لا يلتقي معها فى جوهرها وأهدافها، فلا تمنح هذه المبادرة الإدارة الأمريكية بحكم سياساتها فى المنطقة أي قدر من المصداقية، على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وتكمن المفارقة الأولى المؤيدة لهذا التحليل، فى أن إنجاز عملية تحول ديمقراطي جاد فى المنطقة، ستؤدي إلى بروز حكومات تعكس جوهر المواقف الشعبية من كل من سياسات الإدارات الأمريكية والصراع العربي الإسرائيلي على نحو يهدد مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل بشكل مباشر وفاعل.

وتتضح المفارقة الثانية فى رغبة الإدارة الأمريكية فى تسريع وتيرة التغيير الثقافي الذي يحتاج بطبيعته لوقت طويل، فيما أبدت استعداداً لتفهم حاجة الحكومات العربية لوقت أطول فى إنجاز التغييرات على الصعيد السياسي، الذي يمكن إنجازه خلال فترة زمنية محدودة.

وتبدو المفارقة الثالثة بالنظر إلى طبيعة أهداف المبادرة الأمريكية الهادفة لنشر القيم والثقافة الديمقراطية فى المنطقة، فيما هي تستلهم بعضاً من آليات النظم الاستبدادية بما فيها القائمة فى العالم العربي لقمع بعض أشكال المعارضة الداخلية لها، وتستلهم كافة آلياتها لتكريس احتلالها للعراق – النموذج.

أكثر من ذلك، فإن الإدارة الأمريكية تكذب على نفسها وعلى مواطنيها عندما تدعي أن مشروعها قد يكتب له النجاح، وخاصة على الجانب الثقافي، بعد كل استطلاعات الرأى التي أجرتها وفودها وقام بها مسئولوها بشأن الأسباب الحقيقية للعداء الشعبي لسياساتها فى العالم العربي، وخاصة التقرير الممنوع للجنة التي ترأسها الدبلوماسي الأمريكي المخضرم "إدوارد دجرجيان" عن نتائج زيارتها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمنطقة فى صيف العام ٢٠٠٣، وهو التقرير الذي أوصى بإعادة النظر فى مجمل السياسات الأمريكية تجاه المنطقة فى ضوء مصالح الولايات المتحدة(*).

كذلك لا يمكن للمشروع الأمريكى النجاح فيما الولايات المتحدة تباشر بنفسها احتلال دولة عربية كبرى، وتساند مشروع إسرائيل الاحتلالي العنصري العدواني التوسعي.

ويمكن ملاحظة أن المبادرة الأمريكية، وبصفة خاصة على الصعيد الثقافي،، لم تختلف كثيراً فى مفرداتها وآلياتها وأدواتها عن المشاريع المماثلة التي مرت بالمنطقة خلال الحقبة الاستعمارية، بل إنها تعكس طابع سياسات الإمبراطوريات الغابرة، فهي تعتمد أولاً على قوتها وإمكاناتها المادية والمالية فى تنفيذ مشروعها، وثانياً على الضغط المباشر على الحكومات العربية ومساومتها لتلبية مطالبها، وتعمل على استقطاب جزء من النخبة والمثقفين العرب فى إدارة معركتها فى الداخل.

كما يمكن ملاحظة أن الخطاب الأمريكي لتطوير الخطاب الديني فى الشرق الأوسط قد ركز على الأنماط السلبية فى الخطاب الإسلامي، بينما تجاهل الأنماط السلبية فى الخطاب الثقافي والديني التراثي الإسرائيلي الذي يشكو منه مثقفو إسرائيل وعدد من قومياتها المتباينة قبل الأقلية العربية والفلسطينيين تحت الاحتلال، وهو الخطاب الذي يبرر أعمال القتل والتخريب والتعذيب اليومية.

ويؤدي الغموض الذي يلف حقيقة تحركات الإدارة الأمريكية على صعيدي التعليم والخطاب الديني إلى الشك فى جوهر المطالب الأمريكية فى هذين الجانبين، وإلى تضمنها أموراً غير مقبولة على المستوى الشعبي.

ويضاعف من هذه الشكوك تزامن التحركات العربية مع الضغوط الأمريكية على المناهج التربوية والدينية والاجتماعية. ومع التسليم بأن هذه المناهج

(*) عمار ساعاتى (الملحق الإعلامى السورى فى واشنطن)، برنامج الحدث، موقع شبكة LBC اللبنانية WWW.Lbc.net

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تحتاج إلى عملية تنقية، إلا أن التحركات قد غابت عن مناهج العلوم والفيزياء والرياضيات والتقنيات، التى هى حاجة ماسة لتطويرها.

وعلى صعيد الإعلام، تشعر الإدارة الأمريكية بإحباط كبير لفشلها في استغلال احتكارها لـ ٧٠% من صناعة المعلومات دولياً فى فرض قيمها وأفكارها وثقافة النموذج الواحد، وخاصة على الصعيد العربي.

ويبدو الشعار الأمريكي بضرورة "الحياد الإعلامي" لوسائل الإعلام العربية أمراً غير قابل للتطبيق حتى على مستوى وسائل الإعلام الأمريكية نفسها. إلا إذا كان المطلوب من وسائل الإعلام العربية مناصرة الجناة على حساب الضحايا من المواطنين.

ويمكن القول إن الولايات المتحدة قد جانبها التوفيق تماماً عندما لجأت للتقنية الإعلامية فى محاولة يائسة لتغيير صورتها السيئة وإزالة مشاعر العداء تجاهها لدى العرب والمسلمين، وكذلك فى تنظيمها لدورات تدريب سخية لشرائح عربية وإسلامية مستهدفة داخل الولايات المتحدة بهدف الترويج للقيم والأفكار الأمريكية، فيما كشف متلقوها (أى المدربون) عند عودتهم لبلادهم عن طبيعة الزيف الذي يكتنف هذه البرامج. وهي بالتالي أخفقت فى تقييم مردود استثماراتها المالية، وكان الأولى بها مراجعة سياساتها تجاه المنطقة التي تولد مشاعر العداء لها.

وحتى عندما سعت الولايات المتحدة لتطوير مبادراتها مراراً، فقد عززت أكبر المخاوف من سياساتها بمحاولتها إحياء مشروع الشرق الأوسط الكبير وإدماج إسرائيل وثقافات قومية إسلامية مختلفة فيه، واستهانت بالرأي العام العربي والإسلامي عندما طرحت إسرائيل كنموذج ديمقراطي يرجى تعميمه، هذا في الوقت الذي تمارس فيه إسرائيل أبشع أنواع القهر، وتمنع عن الشعب الفلسطيني ممارسة أبسط حقوقه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبناء على ذلك، فمن غير المتوقع أن تتمكن الإدارة الأمريكية من تحقيق أهدافها، وبصفة خاصة على الصعيد الثقافي، ولو نجحت فى إحراز قدر من التقدم النسبي الناتج عن تجاوب الحكومات العربية تحت الضغوط الواقعة عليها، فإن هذا القدر من التقدم سيلقى مصير المشاريع الأجنبية السابقة نفسها فى المنطقة.

أن عبء الإصلاح الجاد الذي تحتاجه البلدان العربية يقع على عاتق القوى الإصلاحية فيها، والتي عليها أن تمسك بزمام المبادرة وتسرع من وتيرة حركتها، وهي مهمة لابد ستلقى مصاعب مزدوجة، تشمل الصراع مع مشروع الهيمنة الأمريكي الجديد، والصراع مع قوى الداخل التي تحول دون إنجاز الإصلاح المنشود، لكنها مهمة لا غنى عنها ولا يملك أحد ترف التملص منها.

* * *

المصادر :

(١) عبد الحسين شعبان، إشكاليات الحقوق الثقافية، ورقة مقدمة لندوة إعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، الدار البيضاء ١٦،١٧ يوليو/تموز ٢٠٠٣.

(٢) نص اتفاق المبادئ الفلسطينيى الإسرائيلى (أوسلو ١٩٩٣)، مجلة الدراسات الفلسطينية (الملحق الوثائقى)، عدد ١٦، بيروت ١٩٩٣.

(٣) محسن عوض، قراءة أولية فى وثائق ونتائج المؤتمر العالمى الثالث لمكافحة العنصرية، حالة حقوق الإنسان فى الوطن العربى فى العام ٢٠٠١، التقرير السنوى للمنظمة العربية لحقوق الإنسان، القاهرة ٢٠٠٢.

(٤) بوب وودوارد، بوش يخوض الحرب (الحلقة الثالثة)، جريدة البيان الإماراتية (عروض الكتب)، دبى ٢٠٠٢.

(٥) رد مركز زايد للتنسيق والمتابعة على تقرير ميمرى، أبو ظبى، مارس ٢٠٠٣
www.zccf.org.ae

(٦) إبراهيم فتحى، ١١سبتمبر وخطاب الاستشراق، الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣،ص ٣٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٧) فريد زكريا، نريد أن نقضى على ملكات النحـــل.. ولـــيس النحـــل العامـــل، مجلـــة نيوزويك، الطبعة العربية، دار الوطن، الكويت، ٢٠٠٣/١٢/٢، ص٢.

(٨) اللجنة العربية الأمريكية لمناهـــضة التمييـــز (ADC)، بيـــان صـــحفى، واشـــنطن، ٢٠٠١/١٢/١٦.

(٩) القس الأمريكى يعتذر عن تطاوله على الرسول (ص)، جريدة البيان الإماراتية، دبى ٢٠٠٢/١٠/١٤.

(١٠) نص وثيقة باول، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب بـــرامج الإعـــلام الخـــارجى، ٢٠٠٢/١٢/١٥،
www.usinfo.state.gov

(١١) نادر فرجانى وآخرون، تقرير التنمية الإنسانية العربية الأول، برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، القاهرة ٢٠٠٢.

(١٢)نص البيان، وزارة الخارجيـــة الأمريكيـــة، مكتـــب بـــرامج الإعـــلام الخـــارجى، ٢٠٠٣/٥/١٩.

(١٣) المصدر السابق، ٢٠٠٣/١٠/٢١

(١٤)المصدر السابق، ٢٠٠٢/١٢/١٩.

(١٥)المصدر السابق، ٢٠٠٣/١٠/٣٠.

(١٦)المصدر السابق، ٢٠٠٣/٣/٣١.

(١٧)المصدر السابق، ٢٠٠٣/١١/١٠.

(١٨)نص المشروع، جريدة الحياة، لندن، ٢٠٠٤/٢/١٣، ص١٠.

(١٩)محمد سعيد الصحاف، حوار خاص مع قناة أبو ظبى، أبو ظبى ٢٠٠٣/٩/١٥
www.abudhabi.tv

(٢٠)موفق حرب، قناة الحرة تبدأ الشهر المقبل حملة لكسب القلوب والعقـــول العربيـــة، جريدة الحياة (نقلاً عن جريدة نيويورك تايمز)، لندن ٢٠٠٣/١٢/١٨، ص١.

(٢١)مارك بالمار، رؤية لنمط إعلام مرئى جديد فى الـــشرق الأوســـط، ممـــدوح ســـالم (محرر)، مؤتمر قطر الثالث للديمقراطية والتجارة الحـــرة، والاســـتقرار، دار المـــستقبل العربى، القاهرة ٢٠٠٣، ص٣٤٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٢٢)فهمى هويدى، تحرير الاختراق..بدون زعـل، الأهـرام، القـاهرة ٢٠٠٣/١١/٤، ص١١.
(٢٣)موقع مجلة هاين، www.himag.com .
(٢٤)نشوى الديب، د.أحمد الطيبى:نراجع مناهج التعليم فى الأزهـر، جريـدة العربـى، القاهرة ٢٠٠٣/١٠/١٩، ص١١.
(٢٥)مدراء مدارس إسلامية أندونيسية يتعرفون على المجتمع الأمريكى بأنفـسهم (بيـان صحفى)، وزارة الخارجية الأمريكية، مكتب برامج الإعلام الخارجى، ٢٠٠٣/٩/٢٧.
(٢٦)السيد زهرة، زلزال فى قطر، جريدة أخبار الخليج، المنامة ٢٠٠٣/٢/١٦.
(٢٧)د.حامد عمار، توجهات السياسة التعليمية والثقافية للاحتلال فـى العـراق (الحلقـة الثالثة)، جريدة الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣/٩/٢٦.
(٢٨)محسن عوض، تطورات حقوق الإنسان والديمقراطية فى الـوطن العربـى، ورقـة مقدمة للمؤتمر القومى العربى، صنعاء ٢٠٠٣.
(٢٩)المنظمة العربية لحقوق الإنسان، حالة حقوق الإنسان فى الوطن العربى عـن العـام ٢٠٠٢، التقرير السنوى للمنظمة، القاهرة ٢٠٠٣.
(٣٠)راغدة درغام وآخرون، استياء شيعى من بريمر وتمسك بـ"التوازنات"، جريدة الحياة، لندن ٢٠٠٤/٢/١٨، ص١.
(٣١) صلاح الدين حافظ، التغيير تحت المطرقة الحديديـة، جريـدة الأهـرام، القـاهرة ٢٠٠٤/٢/٤.
(٣٢)فهمى هويدى، تحرير الاختراق.. بدون زعل، مصدر سبق ذكره.
(٣٣)موقع شبكة الإذاعة البريطانية بى بى سى www.bbcarabic.com .
(٣٤)موقع قناة الجزيرة www.aljazeera.net .
(٣٥)د.حامد عمار، تدهور المؤسسات التعليمية والثقافية فى العراق بين جبروت الطاغية ونيران الاحتلال (الحلقة الأولى)، الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣/٩/١٢.
(٣٦)د.سعد الدين إبراهيم، أزمة المفكرين العرب فى مطلع القرن الـ٢١، جريدة الحيـاة، لندن ٢٠٠٣/١٢/٢٥، ص٨.
(٣٧)صلاح الدين حافظ، اختطاف الديمقراطية، جريدة الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣/١٢/١٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٣٨) فهمى هويدى، نقطة نظام، جريدة الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣/٩/٣٠.

(٣٩)ممدوح سالم (محرر)، مؤتمر قطر الثالث للديمقراطية والتجارة الحرة، مصدر سبق ذكره.

(٤٠)جريدة الأهرام، المبادرة السعودية تدعوا إلى الإصلاح الذاتى..، ٢٠٠٣/٣/٢.

(٤١)محمد السعدنى وآخرون، خيبة أمل سعودية لرفض أمريكا كشف الأجزاء السرية فى تقرير ١١ سبتمبر/أيلول، جريدة الأهرام، ٢٠٠٣/٧/٣١.

(٤٢)محسن عوض، تطورات حقوق الإنسان والديمقراطية فى الوطن العربى، مصدر سبق ذكره.

(٤٣)عادل خضير، الحوار الوطنى السعودى يفتح أبوابه لتعددية الآراء تحت شعار "بعيداً عن الغلو وبحثاً عن الوسطية"، جريدة الحياة، لندن ٢٠٠٣/١١/٦.

- أنظر أيضاً: ميسر الشمرى، الأمير عبد الله يتسلم توصيات الحوار، جريدة الحياة، لندن، ٢٠٠٤/١/٤.

(٤٤)مجمع الفقة الإسلامى يبحث فى الغلو والتطرف والجهاد، جريدة الحياة، لندن ٢٠٠٣/١٢/٢.

(٤٥)السعودية؛ إصلاح التعليم يهدف لترويج الاعتدال، الجزير نت ٢٠٠٣/١٢/٥.

- أنظر أيضاً، نييف الصفوقى، سعود الفيصل: الإصلاح يشمل العملية التعليمية كلها والمرأة المحور الأساسى للقاء المقبل للحوار الوطنى، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٤/١/٧.

(٤٦)تركى الفيصل: اعتقلنا ٦٠٠ شخص بعد تفجيرات الرياض، الجزيرة نت، ٢٠٠٣/١٠/٢٣.

(٤٧)السعودية تحاكم متظاهرين وتراجع مناهج التعليم، الجزيرة نت، ٢٠٠٣/١٠/٢٣.

(٤٨)حمد الجاسر، القمة الخليجية تركز على الإرهاب وتعديل المناهج الدراسية، جريدة الحياة، لندن ٢٠٠٣/١٢/٢١.

(٤٩)المنظمة العربية لحقوق الإنسان، حالة حقوق الإنسان فى الوطن العربى عن العام ٢٠٠٢، مصدر سبق ذكره.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٥٠)المنظمة العربية لحقوق الإنسان، النشرة الإخبارية للمنظمة، الأعداد من ١٧٩ إلى ١٨٨، القاهرة ٢٠٠٣.

(٥١)المنظمة العربية لحقوق الإنسان، بيان صحفى صادر عن لقاء المثقفين المصريين، حول التضامن مع مركز زايد للتنسيق والمتابعة، القاهرة ٢٠٠٣/١٠/٢٥.

(٥٢)علاء شلبى، الحركة السياسية الإسلامية فى الوطن العربى، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، أبو ظبى ٢٠٠١.

(٥٣)وزير الأوقاف اليمنى: تخليص المساجد من سيطرة الجماعات، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠٠٣/٩/٣٠.

(٥٤)على عبد الله صالح يدعو إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام لدى بعض الشباب، جريدة الحياة، لندن ٢٠٠٣/١٢/١١، ص٣.

(٥٥)نشوى الديب، علماء الأزهر يرفضون موقف الأمام الأكبر من العمليات الاستشهادية، جريد العربى، القاهرة ٢٠٠٣/٧/١٤.

(٥٦) محمد صلاح، الأزهر يهاجم مؤسسات فى الدولة المصرية، الحياة، لندن، ٢٠٠٣/١٢/١١، ص١.

(٥٧)جمال الدين محمود، قضية الساعة فى تطوير الخطاب الدينى، جريدة الأهرام، ٢٠٠٣/٩/١٧.

(٥٨)مبارك يدعو الأحزاب السياسية إلى بدء حوار وطنى، الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣/٩/٢٩، ص١.

(٥٩)أحمد يوسف القرعى وآخرون، رؤى المثقفين حول مشروع المعايير القومية للتعليم ومشاركة المجتمع فى تطويره، جريدة الأهرام، القاهرة ٢٠٠٣/٩/٤، ص١٢

(٦٠)وزير التعليم المصرى ينفى إلغاء تدريس التربية الدينية فى المدارس ويؤكد إدخال مادة الأخلاق، جريدة الشرق الأوسط، لندن ٢٠٠٤/٢/١٨، ص٧.

(٦١)محمد الدعمة، الإسلاميون فى الأردن يرفضون سياسة تعديل المناهج الدراسية، جريدة الشرق الأوسط، لندن ٢٠٠٤/١/٦.

(٦٢)إبراهيم حميدى، هانى مرتضى للحياة: قرارات إلغاء الكاكى والتدريب وتعليم القومية لم تتخذ بضغوط خارجية، جريدة الحياة، لندن، ٢٠٠٣/١١/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٦٣)شيراك يشيد بالإصلاحات فى المغرب، الجزيرة نت، ٢٠٠٣/١٠/١٠.

(٦٤)المنظمة العربية لحقوق الإنسان، النشرة الإخبارية للمنظمة، العدد ١٨٥-١٨٦ القاهرة سبتمبر ٢٠٠٣.

(٦٥)موفق النويصر، عام الإعلام العربي.. حرب العراق وتفجيرات الرياض تحدث نقلة في الإعلام العربي، جريدة الشرق الأوسط، لندن ٢٠٠٣/١٢/٣١،ص١٥.

(٦٦)جريدة الشرق الأوسط، مسئول أردني: إلغاء وزارة الإعلام مرتبط بإقرار قانوني الإعلام والصحافة، لندن، ٢٠٠٢/٣/١٦.

(٦٧)سلامة أحمد سلامة، صياغة الخطاب الإعلامي، عمود من قريب، جريدة الأهرام، القاهرة ٢٠٠٢/٨/١١.

(٦٨)رولا خرسا، تداعيات أحداث ١١سبتمبر على الإعلام العربي، (محسن عوض محرر) أحداث ١١سبتمبر وتداعياتها على الوطن العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ٢٠٠٢.

(٦٩)مجموعة باحثين، نقابة الصحفيين المصريين تستنكر سلوك السفير الأمريكي، النشرة الإخبارية، العدد ١٨٧-١٨٨، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، القاهرة ٢٠٠٣.

(٧٠)جريدة الشرق الأوسط، مجلس الحكم الانتقالي ينوى إقامة مجلس إعلام بدلاً من وزارة الإعلام، ٢٠٠٣/٨/٢٩.

(٧١)د.حامد عمار، توجهات السياسة التعليمية والثقافية للاحتلال في العراق، مصدر سبق ذكره.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نـــــدوة

"الطريق إلى الديمقراطية"

عقدت هذه الندوة في مقر المنظمة العربية لحقوق الإنسان في ٢٠٠٣/٤/٥ وشارك فيها السادة الآتية أسمائهم (مرتبة هجائياً) :

***المهندس أبو العلا ماضي**
وكيل مؤسسي حزب الوسط

***أ.محسن عوض**
الأمين العام المساعد
للمنظمة العربية لحقوق الإنسان

***د.أحمد يوسف أحمد**
مدير معهد البحوث والدراسات العربية

***د.محمد السيد سعيد**
نائب رئيس تحرير الأهرام

***د.بهجت قرنى**
أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأمريكية – القاهرة
وبجامعة تورنتو بكندا

***د.منار الشوربجى**
باحثة متخصصة فى الدراسات الأمريكية، ومحاضرة بالجامعة الأمريكية

***أ.سمير مرقس**
باحث متخصص في الدراسات الأمريكية

***د.نيفين مسعد**
أستاذ العلوم السياسية
بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

أدار الندوة أ.محمد فائق
الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقتطفات من إعلان صنعاء حول الديموقراطية وحقوق الإنسان

(مؤتمر حكومي بمشاركة منظمات غير حكومية عقد في صنعاء)

(١٢ يناير/كانون ثان ٢٠٠٤)

إن من أساسيات النظام الديموقراطى وجود هيئات تشريعية منتخبة دورياً تمثل المواطنين تمثيلاً عادلاً وتحقق المشاركة الشعبية، وهيئات تنفيذية مسئولة وملتزمة بقواعد الحكم الرشيد، وسلطات قضائية مستقلة تضمن عدالة المحاكمات وتحمى الحقوق والحريات وتردع المعتدين وهذه الأساسيات هى من ضمانات الأداء الديموقراطى الجيد والكفيل بحماية حقوق الإنسان.

أهمية دعم الحوار الديموقراطى وتحفيز المشاركة والتنمية السياسية والديموقراطية وتشجيع تبادل وجهات النظر والتجارب فى الدول المشاركة وفيما بينها.

إن تعزيز البناء والأداء الديموقراطى وحماية حقوق الإنسان وتطوير مضامينها يتطلب التغلب على التحديات الماثلة والتهديدات القائمة بما فى ذلك التخلص من الاحتلال الأجنبي، واختلال موازين العدالة الدولية وسوء إدارة السلطة واستغلالها، والفساد والفقر والبطالة والتمييز، وقصور نظم التعليم والجرائم المخالفة لأحكام القانون الدولى.

إن التطبيق الفعال لسيادة القانون أمر حيوى لحماية الديموقراطية وحقوق الإنسان، وهو يؤسس على وجود قضاء مستقل وعلى الالتزام بمبدأ الفصل بين السلطات.

الإعلام الحر المستقل ضرورة لتدعيم مبادئ الديموقراطية وحمايتها، وإن تعددية وسائل الإعلام فى اتجاهاتها وملكيتها أمر حيوى للمساهمة فى نشر المعرفة والمعلومات وتحقيق المشاركة والمساءلة والإسهام فى تنوير الرأى العام وتشكيله باتباع المعايير المهنية وبالتزام الحقيقة، وعلى الإعلام أن يلعب دوراً بارزاً فى ترسيخ الديموقراطية وترسيخ الوعى والمعرفة بحقوق الإنسان وحمايتها.

من متطلبات الديموقراطية السليمة ومقتضيات احترام حقوق الإنسان ضمان الحق فى حرية تأسيس منظمات المجتمع المدنى والانضمام إليها وتوفير الإطار القانونى والبيئة المناسبة لعملها، وتعزيز مبدأ الشراكة والمشاركة وتنظيم الحراك الاجتماعى المؤثر على أن يؤدى المجتمع المدنى دوره بمسئولية فى إطار القانون ويلتزم بمبادئ الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أ. محمد فائق :

بداية أود الترحيب بكم جميعاً في المنظمة العربية لحقوق الإنسان لتفضلكم قبول المشاركة في هذه الندوة المهمة بعنوان "الطريق إلى الديمقراطية"، فنحن في حاجة إلى فترة تأمل حقيقية وعميقة في هذه اللحظة الحرجة.

وحقيقة لقد تم إقرار موضوع هذه الندوة وموعدها قبل إعلان بدء الحرب الأمريكية على العراق، ومن ثم فلا علاقة لها بالحرب، حيث جاء التفكير في موضوع الندوة بعد أن كثُر الحديث فى أجهزة الإعلام الغربية عامة، والأمريكية خاصة، عن أن هناك خبراء أمريكيين يعكفون على دراسة ما يجب أن تكون عليه الأوضاع فى الشرق الأوسط، وأنه لا بُد من إحداث تغييرات فى الأنظمة الحاكمة فى هذه المنطقة، حتى قيل إن هناك ثمة خارطة جديدة يجرى رسمها للمنطقة. وكانت السلطة الفلسطينية أول الأنظمة المطلوب تغييرها ، كما كان مطلوباً أيضاً تغيير النظام فى العراق ، وجرى الحديث عن التغيير فى السعودية ومصر ، وإن كان اعتقادى أن هذا الحديث لم يكن بالجدية بقدر ما كان هدفه الأساسى تطويع هذه الأنظمة تحديداً ، وأن تعيش فى حالة من الضغط والخوف باستمرار.

وقيل أيضاً إن الهدف الأساسي من التغيير هو نشر الديمقراطية في المنطقة، وتم الحديث عن النموذج التركى، وإنه سيتم إقامة نموذج فى العراق قابل للتطبيق في الوطن العربي. وبعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول بدأ الحديث عن تغيير مناهج التعليم، ومراجعة الخطاب الديني في دول المنطقة .

وقد ذكر فوكوياما بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي تنتج بانتظام أشخاصاً من نوع بن لادن وجماعات من نوع طالبان، ومن هنا بدأت الحملة التي ركزت في موضوع تغيير الخطاب الديني على ثقافة الاستشهاد والجهاد، وأن الجهاد هو جهاد النفس وليس الجهاد بالسلاح، وكان الهدف من وراء كل هذا وقف المقاومة الفلسطينية التي تم وصمها بالإرهاب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى بداية ديسمبر/كانون أول ٢٠٠٢ تغير الحديث شيئاً ما، كما فى القــول إن الإسلام ليس ضد الديمقراطية، وإنه من الممكن إقامة الديمقراطية فى ظل الإسلام ، وبدأت بعض المحاضرات والمقالات تسير فى هذا الاتجاه، لاســيما مــن بعــض الرسميين الأمريكيين مثل ريتشارد هاس وغيره، ويُلاحــظ الآن أن الحــديث عــن حقوق الإنسان قد تراجع بشكل كبير جداً، حيث تركز الحديث علــى الديمقراطيــة، ولعل هذا يذكرنى بما حدث فى فترة الخمسينيات والستينيات عندما لم يكــن هنــاك أى حديث عن حقوق الإنــسان، وإنمــا عــن الديمقراطيــة والأنظمــة الــشمولية والديكتاتورية، لأنه فى ذلك الوقت كان معظم انتهاكات حقوق الإنسان يــأتى مــن الدول الاستعمارية فى المستعمرات، وكان النظام العنصرى فــى جنــوب إفريقيــا جزءا من المنظومة الغربية، ومن هنا كان الحديث عن حقوق الإنسان مستحيلاً من جانب الدول الاستعمارية، بينما كنا نحن الذين نتحدث باستمرار عن حقوق الإنسان بمعنى إنهاء الاستعمار والعنصرية.

والآن ونحن أمام هذه الحملة من أجل الديمقراطية كان لابُد من التفكير فى عقد هذه الندوة لمناقشة هذا الموضوع بالغ الأهمية، فنحن مــع الديمقراطيــة ومــع التغيير سواء كان فى مناهج التعليم أو فى الخطاب الدينى، ولكن الإشكالية هنا هــى كيف يتم هذا التغيير؟ هل يتم بالقوة؟ بمعنى هل يمكن إقامة ديمقراطية عن طريــق الغزو المسلح؟ وأي نموذج هذا الذي يمكن أن تقيمه الولايات المتحدة بالقوة، ســواء من الخارج، أو بواسطة عملاء، أو ما يسمى بالمعارضــة العراقيــة التــي فقــدت مصداقيتها فى الداخل بعد أن تجاوزت الخطوط الحمراء فى اتصالها بأعداء الوطن العربى؟

وفى هذا السياق لا بُد من الإشارة إلى أن رد الفعل المتمثل فى المقاومــة العراقية قد فاق كل تصور أمام هذه القوة الهائلة للولايات المتحدة وبريطانيا، وربما أظهر بوضوح أن قضية الدفاع عن الوطن تتقدم على قضية الديمقراطية، وأنه مــن الصعب إقامة ديمقراطية مع فرض أى نظام حكم من الخارج، إذ لكى يبقــى هــذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النظام المفروض من الخارج فهو يحتاج إلى القهر والقمع، وهنا السؤال، كيف يصل هذا النظام المفروض من الخارج إلى الوضع الديمقراطي الذى ينشده وهو يقوم على القهر والقمع كي يحافظ على بقائه؟ ولعل هذا يذكرنى بأسباب فشل الديمقراطية فى المنطقة العربية، حيث قُدمت لنا الديمقراطية فى فترة الاستعمار، ومن هنا أصبحت ديمقراطية شكلية، وكانت مجرد واجهة تضم بعض النخب المحدودة التى تتداول السلطة بين أعضائها ولا تتيح إلا نادراً توسيع قاعدة الممارسة السياسية الشعبية، ولهذا فقد انهارت هذه الديمقراطية بسرعة أمام الانقلابات العسكرية التى كان يتم الترحيب بها بشكل واسع جداً.

وها نحن مرة أخرى، تُقدم لنا الديمقراطية عن طريق الغزو المسلح، من هنا أتصور أن إقامة الديمقراطية لن تكون بالسهولة التى تم الحديث عنها.

وفيما يتعلق بقضية تغيير مناهج التعليم وتغيير الخطاب الدينى، فنحن مع تغيير التعليم، لأن التعليم بوضعه الحالى لا يمكن أن يضعنا أبداً على خريطة هذا العصر الذى نعيشه، وبالتالى فنحن بالفعل فى حاجة إلى هذا التغيير، ولكن من منطلق الإصلاح وليس من منطلق فساد الثقافة، وهذه قضية مطروحة حالياً، إذ يتردد دائماً الحديث عن "فساد الثقافة"، وهو بدون شك حديث عنصرى لأنه تعزى ذلك إلى أنماط الثقافة الأولى التى تُعيد إنتاج نفسها، ومن ثم فإن كل ما تنتجه فاسد، وهذا – فى تقديرى - تفسير عنصرى للثقافة.

أيضاً نحن ندرك أن أى حلول تفتقد إلى الشرعية الثقافية الإسلامية لا يمكن أن تلقى الصدى المناسب والفعال داخل التيار العريض للثقافة الإسلامية، وإذا تخلت هذه الحلول عن الكياسة وإظهار الاحترام للدين وللثقافة الإسلامية فإنها ستُثير روح المقاومة الثقافية الشديدة نتيجة الإحساس بفرضها من الخارج.

وهنا يثور السؤال، أين ذلك كله من إسرائيل؟ هل يتم عمل كل هذه الترتيبات من أجل حماية إسرائيل؟ وهل المطلوب استسلام المنطقة بالكامل للواقع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحالى، ونبذ كل أنواع المقاومة - التى أصبحت توصف بالإرهاب– ضد الاحتلال الإسرائيلي؟

وثمة نقطة أخرى أود الإشارة إليها ، وهى خاصة بما قرأته فى مقدمة تقرير Country Report "أن الدول التى تستخدم العنف ضد شعوبها عادة ما تهدد جيرانها"، ومن هنا يتم الترويج للديمقراطية لحماية الدول المجاورة ، فهل سيكون مقياس الدولة الديمقراطية فى المنطقة هو موقفها من إسرائيل؟ بمعنى هل الدولة التى ترفض إسرائيل وتقاومها ستكون دولة غير ديمقراطية؟ وأن الدولة التى تقبل التعامل معها ستكون دولة ديمقراطية؟ وفى هذا السياق تشير مقدمة التقرير إلى ثلاثة نماذج فى المنطقة العربية هى؛ قطر والبحرين والمغرب، ومن الغريب أنه لم ترد فى المقدمة أى إشارة إلى مصر إلا فى الجزء الذى تحدث عن تقديم جائزة لإحدى المنظمات الأمريكية التى قامت بعمل عن "مقاومة الفقر فى مصر".

من هنا، لا بُد من معرفة الخطوط الحمراء التى لا يجب تجاوزها بالنسبة لقضية الديمقراطية، لقد كنا نتحدث من قبل عن أن حقوق الإنسان هى المدخل الطبيعى والصحيح لتعزيز الديمقراطية باعتبار أن تطبيق ما ورد فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والعهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية هو فى حد ذاته تطبيق للديمقراطية .

ومن ثم فنحن مطالبون فى هذه الندوة بالحديث عن الأولويات والشروط الضرورية لإقامة ديمقراطية سليمة .

د. بهجت قرنى :

سوف أبدأ حديثى بمقولة أساسية مفادها أن أى توجه سياسى أو وثيقة شراكة هو فى الواقع تعبير عن المصلحة القومية للحكومة التى تتبنى هذا التوجه السياسى، أو التى تصدر عنها هذه الوثيقة، فالسياسة ليس فيها إحسان أو صدقة، وبالتالى فإن أى وثيقة لابّد أن تعبر عن مصالح معينة. وفى تفصيل هذه المقولة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أُشير إلى أننا نواجه فى واشنطن العاصمة مجموعة حاكمة ذات جـذور مـسيحية أصولية وتوجهات تبشيرية، ولها نظرة للسياسة العالمية تقوم على ثنائية قوى الخير والشر، وفى يد هذه المجموعة قوة عسكرية لم يشهدها التاريخ من قبل، وذات قدرة تدميرية هائلة. وهذه المجموعة جزء من توجه يمينى عالمى، وبالذات مع جماعات مثل جماعات الليكود، ولها أجندة محددة قائمة على النظرة للنظام العالمى باعتبـاره ثنائية ليست بين الشيوعية والرأسمالية، ولكن بين الدول والجماعات التى تمثل قيماً مدنية وحضارية من ناحية، وبين جماعات إرهابية ودول مارقة أو خارجـة عـن القانون تأويها من ناحية أخرى. وقد وظفت هذه المجموعـة مـا حـدث فـى ١١ سبتمبر/أيلول لتنفيذ هذه الأجندة ، وطالبت المجتمع الأمريكى بتعبئة الغـالى قبـل الرخيص للذود عن الوطن المهدد انطلاقا من مقولة إن الولايات المتحدة فى حالـة حرب، وإن هذه الحرب ليست على الولايات المتحدة فقط، وإنما هى حـرب علـى القيم الحضارية والمدنية ككل. من هنا أعتقد أن نظرتنا لوثيقة الشراكة لا يجـب أن تكون فى إطار أنها وسيلة للسيطرة على موارد البترول، أو إقامة حكومات موالية أو عميلة، أو إقامة قواعد عسكرية... الخ، فهذا - فى رأيى- تبسيط للأمـور، لأن الوثيقة تُعبر عما هو أخطر، تُعبر عن نظرة معينة للعالم يجب أن تسود فى وقـت تعتقد فيه هذه المجموعة الحاكمة فى واشنطن أن لها رسالة عالمية. هذا هو الإطار الذى يجب أن ننطلق فيه فى حكمنا على أى وثيقة تصدر عن واشنطن حالياً.

ولتفصيل ما ذكرته سأركز حديثى فى **<u>خمس نقاط</u>** على النحو التالى :

١- ملاحظتان عن الواقع.

٢- إطلالة سريعة على الأدب السياسى الأمريكى فى إطار التعريـف بمـا هـى المصلحة القومية، على اعتبار أن كل ما يدور فى السياسة الدولية يكون باسـم المصلحة القومية، فما هى المصلحة القومية الأمريكية التـى تعكـسها وثيقـة الشراكة ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- تحليل مضمون وثيقة الشراكة، ولكن داخل إطار وثيقتين أخريين، إحداهما عن الأمن القومى الأمريكى، والأخرى عن حال الاتحاد، وهما– فى رأيى - أهم من وثيقة الشراكة.

٤- تناول النموذج التركى، وما إذا كان هو النموذج المطلوب تعميمه فى منطقة الشرق الأوسط.

٥- إثارة بعض التساؤلات فى إطار الحديث عن الموقف الذى يتعين علينا اتخاذه أو ما العمل.

بالنسبة للملاحظتين عن الواقع، تتعلق **الملاحظة الأولى** بمحورية الولايات المتحدة، ليس فقط بالنسبة للمنطقة العربية، ولكن أيضاً بالنسبة للعالم، إذ لا يمكن تجاهل الولايات المتحدة، وتقوم هذه المحورية على ثلاثة مؤشرات **على النحو التالى**؛

أ- إن ما تنفقه الولايات المتحدة فى المجال العسكرى يفوق النفقات العسكرية الأوروبية والروسية والصينية مجتمعة ، فهى فى هذا المجال تحتل القمة وبمسافات كبيرة .

ب- لا تزال الولايات المتحدة أهم قطب تكنولوجى وتجارى فى العالم.

ج- مازال الدولار الأمريكى- حتى بعد إصدار اليورو ودعمه- هو العملة الرئيسية فى العالم.

وتتعلق **الملاحظة الثانية** بالعلاقات العربية- الأمريكية، وهى علاقات كثيفة، ولدينا مؤشرات عن كثافة هذه العلاقات منها؛ المساعدات الأمريكية بالنسبة لمصر والأردن، ومنها ما رأيناه فى الحرب على العراق من أن مركز تجمع القوات الأمريكية ومركز الهجوم على العراق انطلق من دولتين عربيتين؛ الكويت وقطر، أيضاً هناك تعاون مخابراتى كثيف بين معظم الدول العربية والولايات المتحدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من هنا، وفى إطار هاتين الملاحظتين؛ محورية الولايات المتحدة، وكثافة العلاقات العربية-الأمريكية، أصل إلى نتيجة مفادها أننا أمام نوع من "الهيمنة" الأمريكية وليس "القيادة" الأمريكية، وهذه النتيجة قائمة على التفرقة بين "القوة" و"النفوذ" فالولايات المتحدة لديها حالياً "فائض قوة" و"عجز فى النفوذ" ومن هذا التناقض أصبح لديها "هيمنة" دون "قيادة" فهى هيمنة قائمة على حماقة القوة والغطرسة.

وأذكر مثالاً فى هذا الصدد ، أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول كان عنوان جريدة لوموند الفرنسية - وهى من الجرائد المحافظة والمتزنة Nous somme tous des Amricans ، وإذا قارنا هذا العنوان بالمظاهرات التى حدثت فى أوروبا، وحتى داخل الولايات المتحدة ضد قرارات السياسة الخارجية الأمريكية يتبين لنا الفارق الكبير بين "القيادة" و"الهيمنة".

على صعيد آخر، فإنه رغم كثافة العلاقات العربية-الأمريكية فهى تتسم بمستوى عالٍ من الصراع ، ومن هنا السؤال هل من الضرورى أن تكون العلاقة بين الولايات المتحدة والعرب على هذا المستوى الحاد من الصراع؟ فى إعتقادى أنه طالما ظلت هذه المجموعة فى الحكم فسوف يستمر الصراع على مستوى عال جداً، لأن هناك تعارضاً فى القيم وفى الرؤى بالنسبة للنظام العالمى، فهذه المجموعة لها تخطيط وتعريف محدد لمفهوم المصلحة القومية الأمريكية، وما لم يتغير هذا التعريف فإن الصراع سيستمر - وبقوة– ليس فقط مع المجموعة العربية، ولكن ربما أيضاً مع الدول الأوروبية وبقية دول العالم.

وهنا أنتقل **<u>للنقطة الثانية</u>**، والخاصة بمفهوم "المصلحة القومية الأمريكية" فى الأدب السياسى الأمريكى. وأود الإشارة إلى أن أساس السياسة الخارجية فى مجال العلاقات الدولية أن كل دولة تدافع عن مصلحتها القومية، وقد أصبحت هذه المقولة مقبولة بشكل يكاد يرتقى بها إلى مرتبة القانون، فلا أحد يشكك فيها. وأذكر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنه فى فترة الخمسينيات حدث جدال حول ما هى "المصلحة القومية"، وكانت **المحاولة الأولى** لتعريف "المصلحة القومية" فى جامعة برنستون Princeton فى بداية الخمسينيات، حيث تم تعريفها بأنها "عملية إدراكية تعتمد على كيفية رؤية المجموعة الحاكمة للمصلحة القومية"، أى أنه لا يوجد أساس موضوعى فى هذا الإطار، فقد تكون هناك بعض الثوابت ولكن يتم توظيفها لخدمة إدراك المجموعة الحاكمة.

وجاءت **المحاولة الثانية** فى عام ١٩٦٩ من خلال الحديث عن "سيكولوجية الطبقات الحاكمة" وإنه ليس هناك إدراك موحد للسياسة الخارجية أو للمصلحة القومية، ولكن هناك إدراكات متعددة بين جماعات مختلفة داخل الحكومة الواحدة. وأشير فى هذا الصدد إلى المقال الذى كتبه ALISON - أحد طلاب جامعة هارفارد – والذى تناول فيه "القرار الأمريكى أثناء الأزمة الكوبية عام ١٩٦٢" على أساس ما قيل عن قوة العامل النفسى أثناء الأزمات بسبب عنصرى ضيق الوقت والمفاجأة، وانتهى Alison إلى أن تعريف "المصلحة القومية" يعتمد على قوة كل مجموعة فى الدفاع عن آرائها، ومن هنا فالصراع بين الجماعات المختلفة ليس فقط - كما يقول الماركسيون– داخل المجتمع بالذات، ولكن أيضاً داخل الحكومة الواحدة. ومما يذكر أن Alison نشر هذا المقال وهو طالب فى الجامعة فى المجلة الأمريكية للعلوم السياسية، وقد بلغ من تأثيره أنه عُين بعد نشره أستاذاً فى قسم العلوم السياسية بجامعة هارفارد، وفى سن ٣٨ عاماً أصبح عميداً لمدرسة كيندى للدراسات السياسية، وقد صدر المقال بعد ذلك فى كتاب له بعنوان Essence of Decision.

وجاءت **المحاولة الثالثة** لتعريف مفهوم "المصلحة القومية" فى الأدب السياسى الأمريكى بعد نهاية الحرب الباردة، والحديث عن مدى تأثير الولايات المتحدة ونفوذها، وهل ستكون قطباً دولياً بعد نهاية الحرب الباردة كما كانت قبلها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أم لا؟ وتناولت مناقشات كثيرة فى هذا الإطار أوروبا واليابان بالذات، وفى هذه الفترة كتب "جوزيف ناى" أحد علماء السياسة الأمريكيين كتاباً مهماً بعنوان "حتمية الزعامة الأمريكية" Bound to Lead ، وترجع أهمية هذا الكتاب لما ورد فيه من أن السياسة لا تقوم فقط على الناحية العسكرية فهناك أيضاً الناحية الثقافية، بمعنى كم شخص يتعلم اليابانية؟ وفى المقابل كم شخص يتناول ماكدونالدز؟ أو يرتدى الجينز؟ هذا – فى رأيى– هو التأثير الأمريكى، من هنا قام جوزيف ناى بتطوير مفهوم "القوة اللينة "Soft Power" مشيراً إلى أنه هو أساس الزعامة الأمريكية.

أيضاً هناك مقال صمويل هانتنجتون الذى تناول فيه الموضوع الثقافى وقام بتطويعه فى إطار من الواقعية السياسية، وعن طريق تحليل الحضارة والمدنية ونظام القيم توصل هانتنجتون إلى حتمية الصراع، فهو - فى رأيه- صراع ضرورى بسبب اختلاف القيم والحضارة.

إن ما سبق يمثل الإطار العام الذى يجرى فيه تخطيط السياسة الخارجية الأمريكية، ولا يمكن فصل كل ما يصدر عن واشنطن من وثائق أو مبادرات بما فيها وثيقة الشراكة عن هذا النقاش العام الدائر فى المجتمع الأمريكى وداخل الدوائر السياسية الأمريكية .

وهنا أنتقل الى **<u>النقطة الثالثة</u>** الخاصة بتحليل مضمون وثيقة الشراكة، وقبل ذلك أود الإشارة إلى أننا فى المنطقة العربية نعتقد أن الحكومات هى أهم شئ، بينما ما يحدث فى الولايات المتحدة هو العكس، إذ تُعتبر الـThink Tanks فى معظم الأحيان أهم من الحكومات، وكثير ممن هم فى الـ Think Tanks يصل للعمل بالإدارة الأمريكية بعد ذلك، وهناك أيضاً من يخرج من الإدارة ويذهب إلى الـ Think Tanks ، ومن هنا أهمية معرفة الجدال والنقاش السياسى الموجود داخل هذه الـ Think Tanks باعتباره مجتمعاً قائماً على العلم والمعرفة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيما يتعلق بالوثائق التى أنتجتها بعض هذه الـــ Think Tanks ســأتناول بإيجاز ثلاث وثائق أساسية من زاويتين، هما تشخيص الداء، ووصف الدواء.

بالنسبة **للوثيقة الأولى، وثيقة الأمن القومى الأمريكى،** فقد أشــارت فــى **مجال التشخيص** إلى حدوث تغير كبير فى مفهوم التهديد ومصدره، وقد جاء فــى الوثيقة "إن الأعداء فى السابق كانوا يحتاجون، لتهديــد الولايــات المتحــدة، إلــى ترسانات حربية هائلة وقاعدة صناعية ضخمة، ولكننا الآن فى مواجهــة جماعــات وشبكات فى الظل تستطيع أن تجلب لنا الدمار والفوضى فى عقر دارنا وبتكــاليف تقل عن ثمن دبابة واحدة "، وجاء أيضاً "إن الإرهــابيين يــستغلون مزايــا ونقــاط ضعف المجتمع المفتوح لكى يوجهوا ضدنا كل ما تــستطيع التكنولوجيــا الحديثــة وضعه تحت أيديهم"، "إن هذه الجماعات الإرهابية ليست عدواً لنا فقط، ولكنها ضد الحضارة والمدنية، وبالتالى نحن فى حاجة إلى بناء ميزان للقوة لصالح الحرية".

ومن هذه العبارات السابقة التى تضمنتها وثيقة الأمن القــومى الأمريكــى يتضح كيف تغير مفهوم التهديد، إذ لم يعد مصدره دول عظمــى تهــدد الولايــات المتحدة ، ولكنها جماعات صغيرة قادرة على التهديد.

وفى **مجال وصف الدواء** ، أشــارت الوثيقــة إلــى أساســين للــسياسة الخارجية، **أولهما،** أن تكون سياسة استباقية تأخذ زمام المبادرة، وفــى مناقــشات لبعض المحللين الأمريكيين حول ما إذا كان يجب على الولايات المتحدة أن تهــرع لمهاجمة الجماعات المختلفة خارج الولايات المتحدة، أشار بعــضهم إلــى التــشبيه الخاص بالثعبان السام الموجود فى حديقة المنزل، وتساءل :هل يتم الانتظار حتــى يدخل هذا الثعبان المنزل ويقوم بقتل سكانه، أم يجب مطاردته وقتله خارج المنزل؟ **والأساس الثانى** فى السياسة الخارجية كما ورد فى وثيقة الأمن القومى، هــو مــا أسميه بـــ "عسكرة السياسة الخارجية".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما بالنسبة **لوثيقة الشراكة** Partnership ، فقد تمت صياغتها بطريقة قد لا يمكن الاعتراض عليها كثيراً، والشراكة تعنى وجود نوع من التعاون والتنسيق مع الدول والجماعات المستهدفة من هذه المبادرة، فهى إذن ليست مبادرة أُحادية، وتشير إلى أن هدفها هو بناء الأمل فى الشرق الأوسط لسنوات قادمة، وتبدأ الوثيقة بتأكيد أهمية المنطقة من خلال الإشارة إلى بعض المؤشرات **منها**؛

١- أن منطقة الشرق الأوسط هى مهد الأديان، وهنا يذكر كولن باول وزير الخارجية الأمريكى أن الأمريكيين، سواء فى الكنيسة أو المسجد أو المعبد اليهودى، يعرفون جيداً أن الأديان بدأت فى منطقة الشرق الأوسط.

٢- أن كثيرين من سكان الشرق الأوسط مواطنون أمريكيون حالياً، وأن فحص دليل الهاتف يبين الأصول العرقية لمواطنين أمريكيين قدموا من منطقة الشرق الأوسط.

٣- أن مزارعى القمح الأمريكيين وعمال مصانع الكومبيوتر يدينون بوظائفهم إلى حصيلة صادراتهم لمنطقة الشرق الأوسط.

٤- أن كثيرين من المواطنين الأمريكين الذين ماتوا فى ١١ سبتمبر/أيلول ماتوا بسبب إرهابيين تعودوا على الراديكالية فى نظمهم السياسية فى الشرق الأوسط.

وثمة نقطة فى غاية الأهمية أود الإشارة إليها، وهى أن هناك اقتباساً فى أكثر من موضع فى وثيقة الشراكة من تقرير "التنمية الإنسانية" الصادر عن الأمم المتحدة، ويؤكد باول أن ما جاء فى وثيقة الشراكة يذكره محللون عرب توصلوا إلى النتيجة نفسها التى توصلت إليها الوثيقة وهى أن المنطقة فى أشد الحاجة إلى إصلاح سريع. ويذكر باول أن الشرق الأوسط حالياً يواجه اختياراً رئيسياً بين الكسل والجمود وبين نهضة عربية تبنى مستقبلاً زاهراً للعرب، وفى هذا السياق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستشهد بإحصائيات عن الاقتصادات العربية والبطالة والصادرات والتنظيمات البيروقراطية، والمحسوبية، وتهميش المرأة، ونقص الحرية...الخ.

وفى النهاية تصل الوثيقة الى مُسلَمة أساسية مفادها أنه إذا أُعطيت الشعوب حرية الاختيار بين الطغيان والحرية فإنها ستختار الحرية، إذ تكفى النظرة إلى شوارع كابول المزدحمة بأشخاص يحتفلون بانتهاء حكم طالبان فى أفغانستان. وربما تفسر لنا هذه المُسلَمة ما حدث فى العراق، وكيف أن إمبراطورية فى قمة التكنولوجيا، ولديها معلومات خطيرة وهائلة قبل بداية الحرب، ورغم ذلك تقوم بأخطاء كبيرة فى التقدير، إذ لا يمكن تفسير هذا وفهمه دون الأخذ فى الحسبان هذه المُسلَمة التى أشارت إليها وثيقة الشراكة، ففى أثناء التخطيط لغزو العراق قيل إنه مع وصول القوات الأنجلو الأمريكية إلى شوارع البصرة أو بغداد ستكون هناك الورود للاحتفال بها، وهو ما لم يحدث.

وفى مجال **وصف الدواء** كما جاء فى الوثيقة ، يقول باول "إنه قد حان الوقت لوضع أساس متين من الأمل، إننى أُعلن اليوم مبادرة تضع الولايات المتحدة فى جانب التغيير والإصلاح ومستقبل حديث للشرق الأوسط، وكما كان قرارنا العودة إلى اليونسكو بمثابة رمز على التزامنا بتعزيز حقوق الإنسان والتسامح والتعليم، فإن هذه المبادرة هى أيضاً دليل قوى على التزامنا بكرامة الإنسان فى الشرق الأوسط". وأعلن باول أنه سوف يتقدم للكونجرس بطلب معونات مالية كبيرة تُضاف لمبلغ البليون دولار التى تنفقها الولايات المتحدة سنوياً على المنطقة العربية لمواجهة البطالة وتطوير التعليم والتحول الديمقراطى فى المنطقة، وأشار إلى إيداع مبلغ ٢٩ مليون دولار كخطوة أولى فى هذا الاتجاه .

وفى اعتقادى أن وثيقة الشراكة، وهى محصورة بين وثيقتين تؤكدان أهمية القوة العسكرية، تعبر عن اتجاه داخل المجموعة الحاكمة يؤكد أهمية الـ Soft

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Power ، والاهتمام بما يسمى السياسات الدنيا Low Politics، وهى الخاصة بالنواحى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

أما بالنسبة **للوثيقة الثالثة** وهى الخاصة بـ"حال الاتحاد"، فهى أكثر صراحة من وثيقة الأمن القومى، لأنها تبين ليس فقط عسكرة السياسة الخارجية، ولكنها أيضاً تبين الرؤية الأساسية للمجموعة الحاكمة حالياً فى واشنطن، وهو ما أسميه بالناحية الأصولية التبشيرية. وفى **مجال التشخيص**– كما جاء فى هذه الوثيقة – فإن التهديد ليس فقط للولايات المتحدة، ولكنه للمدنية والحضارة ككل، وإن هناك هجمة بربرية فى العالم الآن تتطلب التكاتف من كل دول العالم لإنقاذ هذه الحضارة والمدنية. ويذكر الرئيس بوش فى هذه الوثيقة "إن الولايات المتحدة ليست فقط مهددة، ولكنها فى حالة حرب فعلية مع عدو لا يمكن الإمساك به بسهولة، فهو عدو شيطانى تأكله الكراهية والشر تجاهنا وتجاه العالم المتحضر"، ومن هنا يصل بوش إلى أهمية "الحرب العادلة" "Just War" ، وثمة مناقشات مستفيضة فى مجال العلاقات الدولية حول مشروعية الحرب فى السياسة الدولية، وربما كانت "الحرب العادلة" هى الحالة الوحيدة التى يحدث عليها شبه إجماع، وهى تقابل مفهوم "الجهاد" فى المنطقة العربية والثقافة الإسلامية.

ويؤكد بوش أن المواجهة فى هذه الحالة ليست محدودة، فميدان القتال هو العالم بأسره، ومن هنا – وانطلاقاً من هذه الوثيقة– فنحن إزاء عولمة للحرب، وليس فقط عسكرة للسياسة الخارجية. ويشير بوش – صراحة– إلى أن أفغانستان ليست النهاية، ولكنها فقط البداية، فهناك الجماعات التى يصفها بأنها إرهابية، ويذكر منها؛ حماس، حزب الله، الجهاد الاسلامى، وهناك الدول التى يصفها بأنها خارجة على القانون وتأوى هذه الجماعات، ويذكر منها؛ العراق، إيران، كوريا الشمالية، ويصف بوش هذه الجماعات وتلك الدول بأنها قنابل موقوتة ليس فقط ضد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولايات المتحدة، ولكن أيضاً ضد المدنية، مما يستدعى القيام بحرب مبادرة إزاءها.

"I will not wait on events, while dangers gather, I will not stand by as barrel does, closer and closer" .

وبعد هذا التشخيص يصل بوش إلى **وصف الدواء**، فيشير إلى أن تكلفة هذه الحروب باهظة جداً It costs a lot to fight this war ، ومما يذكر أن الولايات المتحدة كانت تنفق قبل بداية هذه الحرب حوالى بليون دولار شهرياً، أو أكثر من ٣٠مليون دولار يومياً، ونتيجة لهذه الحرب فإن الميزانية العسكرية المرفوعة للكونجرس هذا العام (أى عام ٢٠٠٣) تحتوى على أكبر زيادة خلال عقدين من الزمن، وهى أكبر ميزانية عسكرية فى تاريخ الولايات المتحدة، ويذكر بوش؛

"evil is real, and it must be opposed, God is near, and we have been called to unique role in human events"

وربما تشير هذه الكلمات بوضوح إلى تجذُر الناحية المسيحية الأصولية والتبشيرية فى المجموعة الحاكمة فى واشنطن حالياً، وهو الأمر الذى تبدو فيه وثيقة الشراكة فى وضع غير قادرة فيه على عمل توازن فى التوجه العام القائم على عسكرة السياسة الخارجية الأمريكية كما جاء فى وثيقة الأمن القومى، والقائم أيضاً على عولمة الحرب كما جاء فى وثيقة حالة الاتحاد.

وفيما يتعلق **بالنقطة الرابعة** الخاصة بالنموذج التركى، أود الإشارة إلى أن ثمة نوعاً من الأزمة أو المعضلة فى الإدارة الأمريكية، فهى تحت وطأة التجربة المريرة فى ١١سبتمبر/أيلول لم تعرف كيف تتعامل مع العالم الإسلامى، ومن ثم فهى تحاول إيجاد الوسيلة لإنقاذ هذا العالم وإنقاذ نفسها فى الوقت ذاته.

وفى رأيى أن التوجه الأمريكى للنموذج التركى غير مبنى على اقتناع، ولكن على ما أُسميه "الاستبعاد"، فالولايات المتحدة لا تستطيع قبول النموذج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الايرانى أو السعودى، ومن ثم ليس أمامها إلا النموذج التركى، وهذا– فى رأيى– أحد أسباب اهتمام الولايات المتحدة بالنموذج التركى.

وربما يعود السبب الثانى فى هذا الاهتمام إلى أن النخبة السياسية التركية غير قائمة فقط على الإسلاميين، صحيح أنهم فازوا فى الانتخابات التشريعية الأخيرة فى نوفمبر/تشرين ثان ٢٠٠٢ وحصل حزب العدالة والتنمية على حوالى ٣٤ % من جملة الأصوات، وعلى حوالى ٣٦٠ مقعد من مجموع ٥٥٠ مقعد فى البرلمان، ولأول مرة – منذ خمسة عشر عاماً – يستطيع حزب تكوين حكومة بمفرده، حيث كانت معظم الحكومات التركية خلال الخمسة عشر عاماً الماضية حكومات ائتلافية، وكثير من الأحزاب السياسية الأخرى، ومنها حزب رئيس الحكومة الائتلافية حتى نوفمبر ٢٠٠٢ لم يحصل على الأصوات اللازمة لتمثيله بمفرده فى البرلمان، الأمر الذى يولد لدينا إحساساً بأن الإسلام فى الصدارة فى السياسة التركية، إلا أنه لا بُد من أخذ هذا الإحساس بنوع من التحفظ، ففى الحياة السياسية التركية ربما يمارس الإسلاميون دوراً فى البرلمان، وقد يشكلون الحكومة، ولكن تبقى القوة الحقيقية التى لها حق الفيتو على السياسة التركية ممثلة فى الجيش التركى، والذى يعتبر نفسه صاحب رسالة منذ إنشاء جمهورية أتاتورك، وهو جيش علمانى وموالٍ للغرب، وخلال العشرين عاماً الماضية حدثت ثلاثة انقلابات عسكرية فى تركيا، وعندما لا تسمع الحكومة لرأى الجيش، يتدخل الأخير إما مباشرة وإما بطريقة غير مباشرة لإسقاط الحكومة. ومن هنا لا يجب أخذ النموذج التركى على أساس أنه نموذج للمصالحة بين الإسلام والديمقراطية. ففى الوقت الذى أعلن فيه حزب العدالة والتنمية إبان وصوله للسلطة عن تأييده لحرية الرأى الشخصى ودخول الاتحاد الأوروبى، نجده أعلن أيضاً استغرابه من عدم قدرة كثير من الفتيات التركيات على الذهاب للجامعة أو للمؤسسات الحكومية وهن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرتدين الحجاب بينما يحدث هذا فى ألمانيا وبريطانيا وفرنسا*، والحزب يذكر هذا لأن منع الحجاب كان بقرار من الجيش التركى.

وفيما يتعلق **بالنقطة الخامسة والأخيرة** ؛ أود إثارة بعض التساؤلات الخاصة بموقفنا، وما الذى نستطيع فعله، وكيف نواجه هذا الموقف الذى أتصور أنه يمثل أزمة طاحنة لا أعتقد أنها حدثت فى العلاقات العربية– الأمريكية من قبل باعتبارها أزمة تعبر عن تصادم ليس فقط فى المصالح، لأن هناك حلاً وسطاً فى تصادم المصالح يسمى فى العلاقات الدولية win-win، بمعنى أن كلاً من طرفى الصدام يكسب شيئاً، أما التصادم الحالى فهو تصادم فى الرؤى والأيديولوجيات والفلسفات.

وأنا أتصور أن المجموعة الحاكمة فى واشنطن قد وضعت نفسها فى موقف صعب نتيجة **للأسباب الآتية**؛

أولاً: إنها تدير سياسة خارجية قائمة أساساً على الناحية العسكرية، والدبلوماسية القائمة على السياسة العسكرية فقط هى دبلوماسية فاشلة. ونستشهد هنا بما ذكره كلاوس فيتز فى القرن التاسع عشر عندما أشار إلى أن الحرب هى الوسيلة لتكملة العمل السياسى، ومن ثم عندما تكون الناحية العسكرية بحد ذاتها هى الهدف فإن ذلك يعتبر قصوراً فى الناحية الدبلوماسية.

ثانياً: إن الولايات المتحدة يمكن أن تستهلك مقدراتها بإفراط، وهو ما نسميه فى الاستراتيجية over– stretch .

ثالثاً: إن الولايات المتحدة يمكن أن تقع فى فخ العزلة داخل دائرة غطرسة القوة أو حماقتها.

---

* جاءت هذه المداخلة قبل المشروع الذى وافق عليه الرئيس جاك شيراك ويقضى بحظر ارتداء الرموز الدينية أو حملها فى المدارس الحكومية الفرنسية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رابعاً: بسبب هذا الانعزال، وهذه الثقة الملفتة فى القوة ستصبح السياسة الأمريكية سياسة استفزازية تؤدى إلى فقدان الشرعية، وتولد المقاومة من جانب الآخرين.

وفى تقديرى، أن الموقف الفرنسى فى هذا الإطار موقف ذو مؤشر وله دلالة، ففى الوقت الذى يخرج فيه عنوان اللوموند بعد أحداث ١١سبتمبر/أيلول "كلنا أمريكيون" نُلاحظ وجود نوع من الصراع والخلاف بين فرنسا والولايات المتحدة فيما يُعد مؤشراً مهماً فى هذا الصدد.

والسؤال المطروح الآن، أنه مع نهاية المعركة العسكرية فى العراق، ونتيجتها محسومة رغم المقاومة والتكاليف الباهظة لقوات الحلفاء، ففى النهاية سوف تنتصر قوات الغزو، ولكن اعتقادى أن العسكريين لن ينسحبوا، والسؤال المطروح؛ ما هو النموذج الذى سيُطبق فى العراق بعد صدام حسين؟ هل هو النموذج اليابانى؟ أم النموذج الأفغانى؟ وهما نموذجان مختلفان أحدهما عن الآخر.

وفيما يتعلق بالمنطقة العربية، أتصور أنه خلال الخمسين عاماً الماضية حدثت هزيمتان عسكريتان كبيرتان، **الأولى**، عام ١٩٥٦ وانتهت بنصر سياسى كبير للعرب، **والثانية** عام ١٩٦٧ وانتهت بهزيمة سياسية إضافة إلى تلك العسكرية، وهنا السؤال، إذا حدثت الهزيمة العسكرية بالنسبة للمنطقة العربية بعد العراق، كيف نجعل الموقف متواصلاً مع ما حدث بعد حرب السويس عام ١٩٥٦ وليس مع ما حدث بعد عام ١٩٦٧؟

وفى النهاية، وفى إطار الحديث عن ما العمل، أعتقد أن علينا **ثلاثة** واجبات أساسية على النحو التالى؛

أولاً : إنهاك الغزاة، بمعنى أن لا نجعلهم يتمتعون بحصاد ما يستطيعون الحصول عليه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً : التقييم السليم للنظام العربى وآلياته، ونتساءل بكل صراحة عما إذا كانت آليات النظام العربى هى جزء من الحل؟ أم أنها جزء من المشكلة؟

ثالثاً : إذا كنا بالفعل نود مناقشة مبادرة الشراكة فلا يجب أن تكون بيننا فقط وبين المجموعة الحاكمة حالياً فى واشنطن، إذ لابُد أن تكون هذه المناقشة جزءا من عمل دولى متكامل تدخل فيه أوروبا والمنظمة الدولية أى الأمم المتحدة، وربما يكون هذا مؤشراً للحكم على مصداقيتها .

أ. أبو العلا ماضى :

سوف أركز فى حديثى على نقطتين فقط ؛

تتعلق **النقطة الأولى بمبادرة الشراكة**؛ حيث قرأت بحياد وموضوعية شديدة ما جاء فى هذه المبادرة، وهى- كما أشار د.بهجت قرنى– قد تمت صياغتها بشكل مقبول ، ولكن الحقيقة لدى شك تاريخى انطلاقاً أيضاً مما ذكره د.بهجت قرنى من أنه لا توجد مبادرات من باب الصدقة أو فعل الخير، وإنما هى تعبير عن مصالح محددة، ومن هنا فالنوايا الواردة فى هذه المبادرة واضحة لنا ونتائجها ملموسة، وبالتالى فإن ما يترتب عليها لا يتسق مع مضمونها. وحتى النماذج الديمقراطية التى تمت الإشارة إليها فى المبادرة (قطر والبحرين والمغرب) هى نماذج محل شك، فإذا كانت هناك درجة من الانفتاح فى البحرين والمغرب، فمن الصعب وضع قطر ضمن هذه النماذج حيث لا أرى فيها ما يتعلق بفكرة الديمقراطية بشكل أو بآخر.

لقد مست مبادرة الشراكة قضايا حقيقية متعلقة بالديمقراطية والإصلاح السياسى ، وهذا هدف مهم يستدعى منا أخذه بجدية وفق أجنده خاصة بنا لأننا فى حاجة بالفعل إلى الإصلاح والتغيير، سواء على المستوى الديمقراطى أو على مستوى حقوق الانسان، ولكن لابُد أن يتحقق هذا الإصلاح والتغيير بممارسة الشعوب ونضالها وكفاحها وليس نتيجة تدخل طرف خارجى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيما يتعلق بتطوير التعليم، نحن بالفعل نحتاج الى هذا التطـــوير، ولكـــن السؤال هو، التطوير فى أى اتجاه؟ نحن نريد التطوير الذى يسد الفجوة التقنية بيننـــا وبين الدول الأخرى، والذى يجعل الإنسان مثقفاً وواعياً ومدركاً لحقوقه وواجباتـــه، وأن يكون عنصراً فعالاً فى المجتمع، أى أننا لا نريـــد التطـــوير وفـــق الأجنـــدة الإسرائيلية التى ترى فى المساجد تحريضاً ضد الاحتلال والغزو، وتصف الـــدعوة إلى الجهاد والاستشهاد والمقاومة المشروعة بالإرهاب، فنحن مع تطـــوير التعلـــيم ولكن وفق الأجندة الحقيقية لنا والتى تحقق مصالحنا وليس وفق أى أجندة أخـــرى. والشيء نفسه ينطبق على الإصلاح الاقتصادي، فلابد أن يكـــون هـــذا الإصـــلاح مرتبطاً بالأجندة الخاصة بنا، ووفق احتياجاتنا وإمكانياتنا.

وفى هذا الإطار فإن لدينا ثقافتان؛ **الأولى**؛ ترفض الإصلاح مـــن الخـــارج ولكن دون الاستسلام للواقع الموجود، فلا يجب أن يكـــون العجـــز فـــى مقاومـــة الأوضاع غير الديمقراطية مبرراً للاستناد على طرف خارجى ســـواء ترغيبـــاً أو ترهيباً. **والثانية**؛ ترى أن النظم قد تغولت بما لا يعطى الفرصة لأى إصلاح، ومن ثم قد يكون الإصلاح من الخارج مفيداً فى الضغط على هذه النظم.

وانطلاقاً من قناعاتى الذاتية، فأنا لا أقبل التغيير إلا مـــن خلالنـــا نحـــن، وبإرادتنا ومجهودنا، وأن ندفع ثمن هذا التغيير فى نضال حقيقى، ولا يعنـــى هـــذا رفض فكرة الإصلاح والتغيير، ولكن أن نمارس نحن هذا الإصلاح وهذا التغييـــر وأن نكون أدواته ووقوده.

وتتعلق **نقطتى الثانية بالنموذج التركى**، وهنا أود الإشارة إلى أن تركيـــا- منذ كمال أتاتورك- يتنازعها توجهان أساسيان؛ توجه نحو الـــشرق، وآخـــر نحـــو الغرب، وقد ظلت المؤسسة العسكرية التركية هى المتحكمة فى زمام الأمور.

وقد بدأت التجربة الإسلامية الحديثة، والتى يمثلهـــا سياســـياً نجـــم الـــدين أربكان، منذ فترة طويلة، وكان أربكان طوال تاريخه مرناً ومتطوراً فـــى أســـاليبه،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقدم تجارب كثيرة منها؛ حزب السلام، حزب النهضة، حزب الرفاه، حزب الفضيلة، وقد انتهت هذه التجارب بحزب "السعادة والعدالة والتنمية"، وكان لابُد من حصول الحزب على نسبة معينة من الأصوات لكى يتم تمثيله فى البرلمان، وكان فى فترات كثيرة لا يحصل على هذه النسبة، وكانت حكومات تركية كثيرة تقوم على ائتلاف من طرفين أو أكثر، ومن هنا كانت أهمية دور العسكر فى فك هذه التحالفات، حيث لم يستطع حزب واحد تشكيل الحكومة بمفرده.

ولعل اندفاع أربكان نحو الشرق من خلال إنشاء مجموعة الثمانية والصفقة الضخمة التى عقدها مع إيران قد عجل بخروجه من حكومة عام ١٩٩٧. وهنا بدأ يدرك شباب الحزب مثل أردوغان وعبد الله جول أنه لابُد من إعادة ترتيب الأولويات داخل الحزب، وعلى العكس مما كان يرى أربكان لم يمانع هذا الفريق من الاتجاه نحو الغرب مع المحافظة على الهوية والثقافة التركية، ومن هنا بدأ الحديث عن الدخول فى الاتحاد الأوروبى، وكان هذا الطرح مبعث ترحيب من أطراف أوروبية كثيرة، وقد تزامنت مع هذا مجموعة عوامل أفرزت فى النهاية وضعاً غير قابل للتكرار، وهو أن النخبة السياسية التى حكمت تركيا خلال العقدين الماضيين تُعد من أسوأ النخب السياسية فساداً من الناحية المالية (صفقات، مافيا ... الخ)، هذا فى الوقت الذى أدت فيه هذه المجموعة التى يمثلها أردوغان أداء باهراً فى إدارة المحليات، ومن المفيد هنا استحضار تجربة أردوغان فى استانبول عندما كان رئيس بلديتها حيث كانت التجربة مذهلة، وقد منحه الرئيس التركى آنذاك سليمان ديميريل وساماً خاصاً لأدائه المتميز.

من هنا، وفى ظل فساد عناصر النخبة السياسية فى تركيا ظهرت هذه المجموعة الجديدة التى يمثلها أردوغان وحصلت على قوة تصويتية هائلة أظهرتها فى شكل قوة جديدة تُحد من هيمنة العسكر وانفرادهم بالقرار، لاسيما أن حرصها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على عدم التصادم مع العسكر ساعدها على ذلك، وفى هذا السياق جاء عدم وضعها قضية الحجاب ضمن أولوياتها.

وفى هذا الإطار أتصور أن الولايات المتحدة لا يمكنها رفض كل ما هو إسلامى، فهى تحتاج إلى نموذج ما، حتى إن كانت لا تريده، وربما يتفق هذا مع ما ذكرته بعض الدراسات الأمريكية من وجود إشكالية حقيقية فى الديمقراطية، فقد تفرز هذه الديمقراطية أحزاباً إسلامية، فما هو الحل عندئذ؟ من هنا لا بُد من وجود نموذج إسلامى يتم قبوله، إذ من غير الموضوعية رفض كل النماذج الإسلامية، وربما يذكرنى هذا بما رواه لى أحد الدبلوماسيين الأمريكيين عام ١٩٨٩ من أن أحد الدروس المستفادة من التجربة الإيرانية عندما منع شاه إيران الولايات المتحدة من الاتصال بأى من قوى المعارضة فى إيران حتى إذا ما قامت الثورة هناك لم تجد الولايات المتحدة من تتعامل معه أو تتحدث إليه، إن الولايات المتحدة يجب أن تسعى لمد الجسور وقنوات الاتصال مع كل قوى المعارضة فى العالم .

ما أريد الإشارة إليه أن الإدارة الأمريكية لا تريد أى مجموعة إسلامية مهما كانت، ولكنها فى النهاية لا تستطيع رفضها، ومن هنا فالسؤال المطروح، ما هو النموذج الذى يمكن قبوله؟ واعتقادى أن النماذج غير قابلة للتصدير، فعلى سبيل المثال تختلف تركيبة المجتمع التركى وخلفياته عن غيره من المجتمعات الأخرى.

د. منار الشوربجى :

بداية، أود الحديث عن تشخيص الإدارة الأمريكية الحالية، ثم أنتقل بعد ذلك إلى مبادرة باول تحديداً ، وأنا اتفق مع د.بهجت قرنى فيما ذكره عن دور الأصولية فى الإدارة ، ولكنى أعتقد أن التركيز على اليمين الدينى فقط، أو القول بأن هذه الإدارة محكومة بمواقف اليمين الدينى ورؤاه يترك من ورائه أشياء كثيرة لا يمكن تفسيرها. من هنا أعتقد أن مواقف هذه الإدارة فى مجالى السياسة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخارجية والداخلية قائمة على نوع من التركيب المعقد بين مواقف المحافظين الجدد New Conservatives واليمين الدينى فى وقت واحد، بمعنى أن هذه الإدارة تتحرك فى إطار مربع فكرى تتدافع فيه أفكار هاتين المجموعتين، وبالتالى فإن السياسة الناتجة عن هذا التدافع، سواء على الصعيد الداخلى أو على الصعيد الخارجى، تكون تعبيراً عن إحدى هاتين المجموعتين، ولعل السبب فى طرح قضية المحافظين الجدد يعود إلى أن اليمين الدينى المسيحى فى الولايات المتحدة حديث العهد بالسياسة الخارجية، فقد بدأ دوره فى السياسة بصفة عامة فى السبعينيات، وفى السياسة الخارجية تحديداً فى نهاية التسعينيات، وبالتالى ليس لديه ثقل فكرى فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.

والإدارة الحالية على يمين الحزب الجمهورى، ولا يستطيع أى رئيس جمهورى تجاهل هذا اليمين الدينى الذى أصبح قوة ضاربة داخل الحزب، وتجاهل هذا التيار يُعتبر بمثابة انتحار سياسى لأى رئيس جمهورى، ومن هنا فالجانب المتعلق بأفكار اليمين الدينى له أسباب حزبية وانتخابية لدى الرئيس بوش شخصياً، كما أن معظم رموز هذه الإدارة من تيار المحافظين الجدد، ومن ثم فإن الارتكاز الفكرى الحقيقى لها مبنى على مجموعة المحافظين الجدد الذين نمت حركتهم فى بداية الستينيات مع موضوع فيتنام، حيث كان معظمهم من الليبراليين الذين تمردوا على الليبرالية الأمريكية وانقلبوا عليها وانضموا إلى اليمين .

والحقيقة أن تيار المحافظين الجدد تيار علمانى، والتيار اليمينى تيار دينى، ورغم المواجهات التى قد تصل فى بعض الأحيان بينهما إلى حد الاتهامات المتبادلة، إلا أن هناك نقاط تماس بينهما من أهمها؛ الوضوح الأخلاقى Moral Clarity، والثنائيات الخاصة بالخير والشر، معنا أو ضدنا، وعدم وجود ما يسمى بنسبية القيم، وربما كان سبب خروج المحافظين الجدد من الحزب الديمقراطى وتمردهم على الليبرالية الأمريكية أنها تقوم على نسبية القيم، ومن ثم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقد عجزت -فى رأيهم-عن فهم الخطر أو الشر الكامن فى الشيوعية، وبالتالى لم تستطع مواجهتها، كذلك فإن اليمين الدينى لديه موقف مناهض للحداثة والمدنية، ومن هنا جاء خطاب بوش خليطاً معقداً وغريباً من التيارين، فهو فى جزء منه يعبر عن اليمين الدينى، من قبيل؛ God blessed America ، وفى جزء آخر يعبر عن تيار المحافظين الجدد من خلال حديثه عن المدنية الغربية والحضارة...الخ.

ومن هنا أتصور أنه يمكننا التعامل مع مباردة باول من خلال هذا الإطار، وبالإضافة لما ذكره د. بهجت قرنى عن وضع هذه المبادرة بين وثيقتى الأمن القومى الأمريكى ووثيقة حال الاتحاد، فإننى أضيف خطابين آخرين لبوش مرتبطين بالوثيقتين الأخيرتين ارتباطاً وثيقاً، حيث أشار فى خطابه فى يونيو/حزيران ٢٠٠٢ إلى أن هناك دولاً لا تدعم الإرهاب ولكنها تخلق مناخاً يولد إرهاباً، وهذا أمر لا بد من تغييره، ورغم أنه لم يسم دولاً محددة إلا أنه كان يقصد فى هذه المرحلة السعودية تحديداً، ودولاً عربية أخرى لديها خطاب دينى يتبنى فكرة الجهاد ومواجهة إسرائيل.

وفى خطابه الآخر أمام American Interprise Institute نلمس بوضوح فكر المحافظين الجدد وراء الأسباب الحقيقية لغزو العراق، وهى فكرة الدومينو، وأن دخول العراق سيؤدى إلى نوع من التداعى فى المنطقة العربية فتتحول كلها إلى ديمقراطيات، كما نلمس أيضاً فكر المحافظين الجدد وراء تهديد إيران وسوريا تحديداً ثم مصر والسعودية بعد ذلك.

وفيما يتعلق بوثيقة باول فإن لى **ملاحظتان أساسيتان؛ الأولى**: أن هناك فقرة فى الوثيقة لم تأخذ - فى رأيى- كثيراً من الاهتمام فى الوطن العربى، وهى التى تحدثت عن منظمة التجارة العالمية WTO وما يعنيه ذلك من فرض العولمة الاقتصادية المتوحشة إلى جانب فرض الديمقراطية من الخارج، وأعتقد أن هذ فكرة مهمة لأنها تعبر عن منظومة واحدة يتم التعامل معها بأشكال مختلفة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والثانيـــة: عندما تحدثت الوثيقة عن بناء الأمل فقد انطلقت من فكرة لـــدى المحافظين الجدد مفادها أن المعارضة فـــى الـــوطن العربـــى للولايـــات المتحـــدة وإسرائيل ناتجة عن عجز العرب عن معارضة حكوماتهم، ومـــن ثـــم إذا تحققـــت الديمقراطية فى هذه المنطقة وأصبح بالإمكان معارضة هذه الحكومات فربما يؤدى هذا إلى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة.

وثمة نقطة أخيرة أشير فيها إلى أهمية المنهج المؤسسى فى التعامـــل مـــع هذه الوثيقة التى قدمها باول، والذى كنا نعتبره حتى فترة قريبة الـــشخص الوحيـــد الذى يمثل جناح الحمائم فى الإدارة الأمريكية، وخاض مجموعـــة مـــن المعـــارك الضخمة مع جناح رامسفيلد، لأنه فى الوقت الذى قُدمت فيه هذه الوثيقة كان بـــاول يتعرض – بسببها – إلى هجوم شرس من رموز المحافظين الجـــدد، ســـواء فـــى الصحافة أو على شاشات التليفزيون، لأنهم كانوا يرون استخدام سلاح الديمقراطيـــة ضد من يتراءى لهم من الدول العربية.

وأعتقد أنه بهزيمة باول فى معركة العراق أصبحت المسألة مفتوحة، فهذه الوثيقة التى صيغت بدرجة عالية من الأدب والكياسة لا أتصور أن يكون هذا حالها طالما بقى بوش فى السلطة، ففى حالة فوز بوش فى انتخابات ٢٠٠٤ سيعنى هـــذا حدوث اكتساح داخل الولايات المتحدة يؤدى إلـــى مزيـــد مـــن الانهيـــار للحـــزب الديمقراطى، وبالتالى لن تكون هناك معارضة حقيقية داخل الولايات المتحدة كمـــا هو الأمر حالياً.

أ. محمد فائق :

حقيقة، أود فى هذا الصدد إثارة بعض التساؤلات المهمة من قبيل؛ ما هـــى العلاقة بين ما يحدث فى قـــضية الديمقراطيـــة وموضـــوع الـــصراع العربـــى – الاسرائيلى؟ فهل هناك ثمة علاقة بين وثيقة الـــشراكة وخارطـــة الطريـــق؟ أم أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خارطة الطريق جاءت فقط – كما قيل – بضغط من المملكة المتحدة - وبلير تحديداً - كنوع من إيقاظ الأمل ؟

وثمة نقطة أخرى أتفق فيها مع ما ذكره د. بهجت قرنى من أهمية البعد الدولى، فإسرائيل – كما نعلم – لها العديد من التحفظات على خارطة الطريق، والخطة كلها تضع التزامات على الجانب الفلسطينى أكثر مما تفعل على الجانب الإسرائيلى، بل ويتبادر للذهن للوهلة الأولى أنه جرى تصميمها لوقف الانتفاضة أولاً، ومن هنا فإن إدخال البعد الدولى عملية بالغة الأهمية، وبدونها لا تصبح هناك قيمة إطلاقاً لهذه الالتزامات الأمريكية لأنه سيتم تعديلها أكثر من مرة.

أ. سمير مرقس :

أتفق تماماً مع العرض المطروح، ولى ملاحظة أساسية حول الوثائق التى طرحت والتى تعبر عن توافق فى منظومة الأدبيات الأمريكية، فهى وثائق مكملة لبعضها البعض، إذ يتم الحديث عن الديمقراطية والعسكرة فى غير تناقض، ومن هنا أتصور أن المؤسسة التى تفرز هذه الأدبيات فى النهاية لديها تصور كامل بالنسبة للعالم، ومن هنا صدرت أكثر من وثيقة وأكثر من رؤية عن المؤسسة والإدارة ذاتيهما، وللوهلة الأولى يبدو كما لو كانت متناقضة، ولكنها فى حقيقة الأمر متكاملة فيما بينها.

وثمة تساؤلات أود طرحها حول ما إذا كان هناك جديد فى السلوك الأمريكى فيما يتعلق بالسياسة الخارجية والعلاقات الدولية والنظرة إلى العالم؟ بمعنى آخر، فى إطار وجود هذا اليمين المتشدد بجناحيه السياسى والدينى هل هناك ثمة جديد فى السلوك الأمريكى فيما يتعلق بالعلاقات الدولية والسياسة الخارجية أم لا؟ وهل السلوك الأمريكى الحالى سلوك مستحدث أم أنه سلوك منفصل عن السياق الذى يفرزه؟ وهل تمثل أحداث ١١سبتمبر/أيلول عاملاً حاسماً فى رسم السياسات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمريكية الحالية؟ وهل ساهمت هذه الإدارة اليمينية الدينية فى تشكيل معالم ما يحدث أم لا ؟

وفى هذا السياق فإن لى أيضاً ثلاث نقاط أوجزها فيما يلى؛

أولاً : إن الولايات المتحدة قامت منذ تأسيسها على ثقافة الإبادة ، وهذه نقطة بالغة الأهمية ولا يجب استبعادها، لأنها جزء من العقل الأمريكى المستمر عبر سنوات وقرون .

ثانياً: إنه تصادف مع إقامة هذا المجتمع الجديد القائم على إبادة الآخرين ميلاد المجتمع والدين فى آن واحد، بمعنى أن المستوطنين الجدد كان لهم توجه دينى محدد، وهنا تبدو الحالة الأمريكية مختلفة عن أى حالة أخرى، حيث لا توجد تلك المسافة بين المجتمع والدين، أى بين البشر واعتناقهم الدين، إذ شهدت الحالة الأمريكية اعتناق الدين فى لحظة تأسيس المجتمع نفسها.

ثالثاً :إن هناك حالة من حالات الاستعلاء على الآخرين انطلاقا من النظرة الرسالية للعالم، وقد استمرت هذه النظرة فى المكون والوجدان والفكر الأمريكى على مدى القرن التاسع عشر أثناء حركة التوسع والانتشار الأمريكى فى الداخل.

من هنا أتصور أنه لا يمكن فصل ما يحدث الآن عن هذا السياق، وبغض النظر عن وصول اليمين الأمريكى بجناحيه السياسى والدينى إلى الحكم من عدمه، فالمتتبع للحالة الأمريكية على مدى القرن العشرين لا يجد أى انفصال فى هذا الصدد، فما هو وجه الاختلاف الجوهرى بين حالة تدخل كلينتون فى كوسوفو وتدخل بوش فى العراق؟ أو ما هو الخلاف الجوهرى بين نظرة ريجان – غير المتدين – للاتحاد السوفيتى ونظرة بوش – المتدين بشكل عام – للعالم، واستعادته تعبير "محور الشر" الذى تم استخدامه للمرة الأولى فى عهد ريجان؟ قد يكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هناك اختلاف فى الخطاب والآليات والشعارات، ولكن فى النهاية لـيس هنـاك أى اختلاف جوهرى.

ما أريد قوله إن الحالة الأمريكية تتبنى نهجاً توسعياً مستمراً منـذ التأسـيس وإلى يومنا هذا، وهى تحمل فى داخلها فكرة النظرة الرسالية للعالم، ونكـاد نلمـس فى هذا الصدد استعادة نموذج التوسع الأوروبى بشكل أكثر تعقيداً لمفهـوم ثلاثيـة "التاجر والمبشر والعسكرى".

وثمة نقطة أخرى أتفق فيها بشكل عام مع ما ذكرته د.منـار، ولكنـى فقـط أختلف معها فيما ذكرته عن عدم خبرة اليمين الدينى بالـسياسة الخارجيـة، فلهـذا اليمين الدينى خبرة خمسين عاماً على الأقل فى هذا المجال، حيث بدأ تـشكل هـذا اليمين الدينى أثناء الحرب العالمية الثانية من خـلال تأسـيس الرابطـة الوطنيـة للإنجيليين عام ١٩٤٢، وبدأ يعمل فى السياسة كجماعة ضغط من خلال المجتمـع المدنى، وليس من قبيل المصادفة أن تكون المسودة الأولى لنص قانون الاضـطهاد الدينى– الذى تم إقراره فى الكونجرس– هى التـى طرحتهـا الرابطـة الوطنيـة للإنجيليين. كذلك تم وضع التقرير الخاص بالسودان من خلال جماعـات الـضغط اليمينى ثم تم إقراره بعد ذلك فى لجنة الحريات الدينية، فلهذا اليمين الـدينى خبـرة للتعامل فى مجال السياسة الخارجية لا ينبغى التقليل من أهميتها.

وفيما يتعلق بوثيقة الشراكة وقضية الديمقراطية فإنه لا يمكن فـصل طـرح موضوع الديمقراطية عن إطار ما سبق ، فالنموذج الديمقراطى عنـدما يُقـدم مـن الولايات المتحدة إنما يتم تقديمه فى إطار النموذج التوسعى، ولايمكن التعامل معـه إلا فى هذا السياق، ولا يعنى هذا أننى ضد الديمقراطية أو مفهوم حقوق الإنـسان، ولكن لا يمكن قبول هذا النموذج إلا فى هذا الإطار، لأننا أمـام نمـوذج يتحـرك بمنطق توسعى واحد أذرعته الثلاثة؛ الهيمنة الثقافية والحضارية والدينية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثمة نقطة أخرى أشارت إليها د.منار بشكل سريع، وهى خاصة بربط مفهوم الديمقراطية بضرورة الانضمام إلى عضوية منظمة التجارة العالمية WTO، فلكى تكون هناك ديمقراطية لابُد من وجود سوق حرة بالمعنى الواسع للكلمة، وهو ما يعبر عن فكرة ربط الديمقراطية بالسوق. وأود الإشارة فى هذا الصدد إلى دراسة فى غاية الأهمية قدمها فريد زكريا عن الـLiberal Democracy عام ١٩٩٧، وكانت الفكرة الأساسية فيها أن الديمقراطية– بالمعنى الكلاسيكى- الذى اختبر فى الغرب تاريخياً بنموذجيه البريطانى والفرنسى تحتاج إلى كثير من الضبط عند التطبيق فى دول العالم الثالث، ويشير فريد زكريا فى هذه الدراسة إلى خطورة المبالغة فى التركيز على الديمقراطية والانتخابات الحرة، فالانتخابات الحرة هى التى أتت بهتلر والنازية عام ١٩٣٧، ويرى زكريا أن ما يحتاجه العالم هو الديمقراطية الليبرالية الموجودة فى الولايات المتحدة، والتى تركز على التحرير الاقتصادى مثلما حدث فى سنغافورة وتشيلى والمكسيك.

وعندما يتحدث فريد زكريا عن تشيلى لا يفسر لنا ماذا حدث لـ "اللنبى" عام ١٩٧٣ وفى الوقت الذى يرى فيه ضرورة تشجيع الجنرال " مشرف " فى باكستان لتبنيه التحرير الاقتصادى ، فإنه يدعو إلى الحذر والتوجس من " شافيز " الرئيس الفنزويلى المنتخب من قبل الجماهير ، ويعتبر زكريا أن هذه كلها دروس ينبغى أن تأخذها الإدارة الأمريكية فى الاعتبار وهى تقوم بإعادة البناء فى كل من العراق وأفغانستان.

وفى معرض المقارنة بين ما حدث فى البوسنة، وما يجب أن يحدث فى العراق يذكر فريد زكريا أن الانتخابات الحرة قد تأتى بمشاكل سياسية كثيرة، فبعد عام من معاهدة دايتون للسلام جاءت الانتخابات البوسنية بالفورة العرقية، حيث دعمت الانتخابات القوى الإثنية وجعلت من بناء حكم ديمقراطى ليبرالى أمراً أكثر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صعوبة، ومن هنا يرى زكريا عدم العجلة فى إجراء الانتخابات فى العراق لإضفاء الشرعية.

ومن هنا أيضاً أتصور أن فكرة ربط السوق بالديمقراطية موجودة لدى فريد زكريا، ولدى ريتشارد هاس والذى يقلل بدوره من أهمية فكرة الانتخابات؛ لأنه يراها غير معبرة عن الديمقراطية، ومن ثم يركز على فكرة اقتصاد السوق وربطها بالديمقراطية، وهناك كتاب آخر لصمويل هانتنجتون يحاول فيه الربط بين مفهوم السوق والديمقراطية.

أنتقل الآن إلى نقطة أخرى تبدو فيها السوق أكثر أهمية من الديمقراطية، فالسلوك الأمريكى – لاسيما بعد انتهاء الحرب الباردة، وفى ظل غياب منافس حقيقى – غلب عليه فكرة الانتشار الإمبراطوري، والذى يفترض – نظرياً- سقوط الحدود بين الدول، فالإمبراطورية عندما تتمدد وتنتشر لا تتخيل وجود من يقاومها أو يعترض طريقها، ومن ثم تتحول الدول إلى مجرد أسواق فى حركة تجارة وتدفق مالى خاص بهذه الإمبراطورية.

من هنا أتصور أن الحديث عن الديمقراطية بالمنطق المطروح أمر لا يمكن قبوله كما هو، ولكن علينا النضال من أجل تحقيق ديمقراطيتنا فى واقعنا العربى، ووضع جدول أعمالنا بأنفسنا.

أ.محمد فائق :

أود الإشارة إلى نقطة هامة جداً لم يلتفت إليها الكثيرون فى خضم أحداث ١١ سبتمبر/أيلول وما أعقبها، وهى الخاصة بمؤتمر مناهضة العنصرية فى ديربن الذى اختتم أعماله قبل ثلاثة أيام من تلك الأحداث، وكما نعلم فقد كانت الولايات المتحدة تتحدث باستمرار عن بناء مجتمع عالمى global society مؤيد للديمقراطية والأفكار الأمريكية، وفى ديربن وقف هذا المجتمع العالمى بشكل معادٍ وصارخ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضد الولايات المتحدة، وخاصة فيما يتعلق بموضوع الربط بين الصهيونية والعنصرية، وكان التصرف الأمريكى آنذاك غير مفهوم إزاء هذا الرفض، من هنا أتصور أن فكرة عسكرة العولمة لم تكن بعيدة أبداً عما حدث فى ديربن.

د.محمد السيد سعيد :

حقيقة أنا لست مع فكرة "شيطنة" الولايات المتحدة، فالولايات المتحدة - باختصار شديد– ظاهرة سياسية كونية جبارة ومركب حضارى غاية فى التعقيد، فيه التقدمى والرجعى، فيه تقاليد بدائية تتعايش بشكل متكامل مع أعلى مستويات تطور الفكر والفلسفة.

وعلى مستوى الفكر السياسى نلاحظ ثمة تطورات جديدة وبارزة فيما يتصل بعلاقة الولايات المتحدة مع العالم، فهناك رؤى مختلفة، وأعتقد أن القضية تتمثل فى هيمنة الولايات المتحدة، وأن مشروع إدارة بوش يمثل انقلابا على العولمة الأمريكية التى تقوم على أساسيات معينة منها أنها قمة الإنجاز الحداثى والقانونى، ومن هنا لا نلحظ اليوم أياً من هذه المنطلقات الفلسفية الحقيقية لفكرة العولمة.

ما أريد التركيز عليه هو موقفنا نحن، وهنا أتصور أن الرد الجدلى العربى على المشروع المطروح من قبل الإدارة الأمريكية هو رد معاد للفكر، إذ لم ننتج –حتى الآن– رداً فكرياً حقيقياً على ما تطرحه هذه الإدارة.

وقبل تناول المنطلقات الفكرية أُضيف لما ذكرته د.منار أن ما حدث فى الولايات المتحدة بعد أحداث ١١سبتمبر/أيلول ليس فقط التحالف الشيطانى أو اللا مقدس بين المحافظين الجدد والأصولية المسيحية واليمين التقليدى، فهناك شئ ما يوسع إطار هذا التحالف مما أكسبه عمقاً جماهيرياً كبيراً نسبياً فى منطقة الشرق الأوسط تحديداً، وربما كان هذا واضحاً فى قرار الكونجرس غير المسبوق فى نهاية الصيف الماضى بمنح الرئيس بوش سلطات إعلان الحرب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى هذا الإطار أُشير إلى أنه كانت هناك ثلاث كتل فـــى الـــرأى العـــام الأمريكى إزاء موضوع الحرب على العراق، إحداها كانت ضد الحرب، وأخـــرى مع الحرب، والثالثة مع الحرب ولكن فى إطار قانونى دولـــى وبمـــشاركة حلفـــاء، وهذا الفريق هو ما يمكن أن نطلق عليه الوسط الأمريكى أو يـــسار الجمهـــوريين، بينما كان القطاع الأكبر من الوسط واليمين الديمقراطى هو الـــذى حـــسم الموقـــف لصالح الرئيس بوش.

ولا يجب فى هذا الصدد إغفال أن بعض الصحف الليبرالية قامت بالتبشير بموضوع الحرب ضد العراق، وهى التى حددت مصر والسعودية منذ البداية، كمـــا أن هذا القطاع ذاته كان له موقف حاسم جداً من شارون، الأمر الـــذى يكـــشف أن موقفه أكثر تعقيداً مما يُشاع عادة.

وأود أن أضيف لما ذكره د.بهجت قرنـــى عمـــا أســـماه التفاعـــل عبـــر البيروقراطيات أو الجماعات، وهو بالفعل هام جداً، أنه من الممكن على المـــستوى السياسى، وخارج نطاق الإدارة الأمريكيـــة، تكـــريس هيكليـــة مـــا للمـــصالحة أو المساومة السياسية، فالقرارات الكبيرة غالباً مـــا تقـــوم علـــى التوفيـــق أو علـــى COMPROMISE ، بحيث يتمتع الرئيس بتأييد قوى لما يتخذه من قرارات. من هنـــا أتصور أن جانباً أساسياً من التيار الليبرالى، الذى يضم يمين الوسط والوسط وهـــو كتلة رئيسية فى الحزب الديمقراطى، أيد هذا المشروع، بل إنه بادر بطرحه علـــى الرأى العام الأمريكى، وفى الأيام القليلة التالية لأحداث سبتمبر/أيلول كـــان هنـــاك طرح مفاده ضرورة تغيير الشرق الأوسط، والسعودية ومصر تحديداً.

وأعتقد أنه حتى فى حالة فشل الرئيس بوش فى كسب معركة الرئاسة عام ٢٠٠٤، فقد لا يختلف الرئيس الجديد، سواء كان ديمقراطياً أو جمهوريـــاً، اختلافـــاً جذرياً عن بوش، ربما يكون هناك اختلاف على المستوى الفكـــرى، ولكـــن علـــى مستوى النتائج السياسية، وتحديداً تغيير الشرق الأوسط، فليس هناك خلاف إطلاقـــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حولها فى الولايات المتحدة، قد يكون الخلاف حول كيفية إحداث هذا التغيير ، وليس على التغيير فى حد ذاته.

وربما يستند هذا على جملة من المعطيات **منها**؛ أن التركيبة الثقافية السائدة فى المنطقة تشكل تهديداً للولايات المتحدة، وقد سببت هذه التركيبة نوعاً من التحالف الصراعى، والذى لا يقوم فى النهاية على الاختلاف بقدر ما يقوم على الاتفاق، بين التوجهات الأصولية المتطرفة من ناحية، والثقافة البيرقراطية التسلطية العنيفة ضد المواطنين من ناحية ثانية.

بعبارة أخرى، لقد تطورنا ثقافياً ولكن على نحو بالغ الارتباك والاضطراب، بحيث إن الكتلة الأساسية من السياسة العربية كان لديها مشروع فكرى، وبدأ هناك مستوى عالٍ جداً من استخدام الشرعية، هذا فى الوقت الذى كانت تتحرك فيه هذه البيرقراطية بدون فكر، وفى إطار فراغ فكرى واضح، ولم يكن لديها أى بشارة من أى نوع، ومن هنا كان يعارض هذه البيروقراطية قطاع أصولى بالغ التطرف لم يكن مشروعه فقط الدفاع عن الحضارة العربية والإسلامية، إنما اقتصر مشروعه على الجهاد الإسلامى القائم على وجود دار الحرب ودار السلام.

من هنا لم تطرح هذه التركيبة الثقافية البيروقراطية مشروعاً نهضوياً مباشراً، وإنما كان المطروح فقط مشروع أمنى عسكرى بالغ الخشونة والعنصرية كما هو الحال فى النمط السعودى والخليجى، وقد تأخذ هذه التركيبة البيروقراطية شكلاً متحضراً بعض الشيء فى مصر والمغرب وسوريا، ولكنها– بصفة عامة – انحصرت فى شن حرب يومية على المواطنين وبما يمس كرامتهم آدمياً، وبالتالى تمت مصادرة كل الحريات، ومن هنا كانت الوسيلة الوحيدة للحفاظ على الدولة ليس عن طريق ارتياد آفاق جديدة، وإنما عن طريق إعمال القاعدة الأمنية فى صورتها التجريدية المطلقة، بحيث تصبح الدولة هى الأمن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهنا تبدو ثمة نقطة خلافية مع ما تطرحه الولايات المتحدة فى هذا الإطار، وهى المتعلقة بالسؤال المطروح هل هذه التركيبة الثقافية قادرة على تغيير نفسها بنفسها؟ وتكمن خطورة هذا السؤال فى أنه يستدعى تلقائياً فكرة أنه لابُد من الحرب لكى يحدث هذا التغيير المنشود. واعتقادي- رغم مشروعية السؤال - أن هناك ثمة تنوع فى الإجابات عليه، وقد يواجه بعضها الإجابة الأمريكية التى يعبر عنها اليمين المتطرف، إلا أن الفكرة الأساسية فى هذا السياق أننا منذ ثلاثين عاماً، وفى ظل هذه الأنظمة التى أخذت أشكالاً متفرقة من هذه التركيبة الثقافية البيروقراطية ، قمنا بنوع من التقويض المنظم للقوى القادرة على النهوض، وهنا تبرز عدة تساؤلات حول تلك الحالات التى حدث فيها تدمير منظم للمجتمع المدنى، وما إذا كانت هناك إمكانية لكى تغير هذه التركيبة الثقافية نفسها، وما هو المدى الزمنى الذى يستغرقه هذا التغيير؟ وما هو مدى المعاناة الإنسانية والسياسية اللازمة لإحداث هذا التغيير؟ وما هى الأشكال والأساليب التى يمكن أن يتم من خلالها هذا التغيير؟ وأستحضر فى هذا السياق النموذج السعودى والنموذج الجزائرى البشع، والذى لا نعرف فيه على وجه الدقة من القاتل ومن المقتول وكان ثمنه وفاة ١٣٠ ألف شخص.

حقيقة ليست لدى إجابة محددة على هذه التساؤلات المطروحة، ولكنى فى كل الأحوال – وأياً كان الثمن - أُفضل فكرة أن نطور أنفسنا بأنفسنا ذاتياً، وأياً كانت التكلفة.

وثمة سؤال آخر مطروح، هل سيتم تحدى هذه التركيبة العسكرية البوليسية الأمنية، التى ظلت تقوض المجتمع المدنى حتى أنه لم تعُد هناك أى مصابيح مضيئة كثيرة، هل سيتم تحديها بنفس التركيبة أو ربما بتركيبة أشد؟ بمعنى آخر، هل فى هذا التركيبة الثقافية البوليسية ما يُبشر فى مدى زمنى معقول بإمكانية تغييرها بشكل مقبول؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هناك نظريات خاطئة تنطوى على تزوير فلسفى وسياسى، منها ما ذُكر عن البحث الذى استغرق حوالى ٢٥عاماً – وهو فى غاية العبثية– عما إذا كانت الديمقراطيات تحارب بعضها البعض أم لا؟ وتضمن البحث كمية مذهلة من الأرقام والإحصاءات لمحاولة إثبات أن الديمقراطيات لا تحارب بعضها، مما يعنى أن السلام والديمقراطية متلازمان، بينما الاستبداد لابُد أن ينتهى إلى حرب.

هذا وتقوم الثغرة الفكرية فى مثل هذه النظريات على أنه فى حالة حدوث اشتباك بين الديمقراطيات والديكتاتوريات فإن الأخيرة - بالضرورة- هى التى تعتدى، بينما الواقع يؤكد أن الديمقراطيات هى التى تعتدى، وأُشير فى هذا الصدد إلى أن الحروب طوال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر كانت بين دول أسمت نفسها بالديمقراطية، ولدينا حالات شنت فيها الديمقراطيات الحروب على شعوب أخرى بائسة غير مطروح على أجندتها موضوع الديمقراطية، مثل ما حدث أثناء حرب الزولو.

وثمة نقطة أخرى أود الإشارة إليها، وهى أنه قد حدث تبدُل فى الأدوار بحيث إن المدافعين عن رفض فكرة الضغط الأمريكى والحرب يرون أن الديمقراطية غير مُجدية فى هذه المنطقة، وربما يقتضى هذا منا إعادة التفكير إزاء هذه الملابسات الحادثة بين يمين عسكرى مجرم يطرح فكرة تطوير المنطقة، وبين ليبرالية تقوم فى الحقيقة على مفهوم بطريركى أبوى.

وهنا السؤال، هل يستطيع أحد الدفاع عن أمر واقع Defendable or Undefendable ؟، والمشكلة هنا أن هذه التركيبة الثقافية لم تعُد تصدر عدوانها على مواطنيها كما كنا نرى من قبل، ولكن هناك توتر فى كل مكان؛ فى الشيشان وكشمير ونيجيريا...الخ، من هنا فإن موقف المحافظة على الوضع القائم STATUS Que، انطلاقاً من مقولة أنه Undefendable، موقف غير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مُجد أو مفيد، بل وسيؤدى فى النهاية إلى كارثة مذهلة، وهنا يبرز السؤال؛ ما هـو البديل؟ واعتقادى أنه لابُد من أن نقـوم بمبـادرات جديـدة لتغييـر واقـع الـ Undefendable انطلاقاً من أن الوضع الحالى Defendable، وإذا لم يكن كذلك فمـا هو العمل؟.

أعتقد بداية أنه لابُد من إيجاد نموذج يحقق لنا قدراً من الدفاع عن أنفـسنا عسكرياً ، وأن نكون قادرين على استلام زمام المبادرة التاريخية بـشكل مختلـف لإنتاج مشروع اجتماعي مختلف، بمعنى آخر، لابد من معرفة كيف نحارب ونقاتل الولايات المتحدة بكفاءة، وفى الوقت نفسه كيف نستطيع التفـاهم معهـا وغزوهـا غزواً مضاداً بحيث نكسب منها قطاعاً مهماً، بمعنى كيـف نمـزج بـين تقنيـات الاستعداد لأعلى مستويات الدفاع الفعال، وبين أعلى مستويات التفاهم والتحالف من داخل الولايات المتحدة ؟.

ولا يجب أن يكون النموذج الذى نبحث عنه قائماً على الحراسـة والأمـن والتعذيب والاعتقالات، وإنما ذلك النموذج الذى يفتح الباب لاسترداد كرامة الإنسان العربى، ونحن نحتاج فى هذا الإطار شيئاً ما يحمل معنى التحالف من أجل القانون والسلام والدفاع عن القانون الدولى وليس الدفاع عن البنية التى سـتدمرنا قبـل أن تدمر الآخرين. وحقيقة لا أدرى أين الحل إذا لم يكن هناك تحالف تقدمى ديمقراطى واسع يحمل مشروعاً تاريخياً فى هذا الإطار.

أ.محمد فائق :

حقيقة إن ما ذكره د.محمد السيد سعيد يُثير جدلاً كبيراً، من ذلك مثلاً أنـه لا يوجد من يدافع عن الواقع الراهن، وفى رأيى أن هناك ثمة تنـاقض فـى هـذا الصدد، فهناك طرف يفرض علينا واقعاً ما لقبوله، ذلك فى الوقت نفسه الذى يعتبر فيه هذا الطرف أحد أسباب هذا الواقع السيئ الذى نعيشه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د.أحمد يوسف أحمد :

حقيقة، لقد استفدت كثيراً من كل ما طـرح حتـى الآن، ومـن الـصعب الحديث بعد كل هذه المداخلات القيمة التى قيلت، وسأحاول أن أكون مباشراً ولـن أُكرر بعض ما قيل.

وسأبدأ - من باب تحفيز الفكر - بالقول بأننا لسنا مطـالبين بموقـف مـن مشروع ديمقراطى أمريكى مطروح علينا، لأنه لا يوجـد مثـل هـذا المـشروع المطروح علينا. وهناك سؤال مطروح من قبل كثيرين وهـو؛ إذا كانـت الأفكـار الأمريكية وغير الأمريكية يمكن أن تُفضى بنا إلى تجارب مثـل اليابـان وإيطاليـا وألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، ودول شرق أوروبا بعد خلاصـها مـن الهيمنة السوفيتية، فلماذا نرفض حلاً للمأزق الذى وصـفه د.محمـد الـسيد سـعيد باقتدار شديد؟

وعندما أذكر أنه لا يوجد مشروع ديمقراطى أمريكى مطروح علينـا فـى هذه اللحظة ، فأنا أنطلق مما ذكره د.محمد السيد سعيد من أن الظاهرة الأمريكيـة ظاهرة معقدة جداً، فيها الخير والشر، والطيب والقبـيح، فيهـا الموسـيقى والفـن الراقى، وفيها الإمبريالية والهيمنة، فنحن نتعامل مع طرح نخبة أمريكية محـددة أو إدارة أمريكية تجلس فى البيت الابيض فى لحظة زمنية معينة.

وعندما أقول إنه لا يوجد مشروع ديمقراطى أمريكى مطروح علينا، أو لا يوجد مشروع حقيقى للتطوير، فأنا أستند فى ذلك القول إلى **حُجتـين رئيـسيتين**؛ إحداهما تاريخية، والأخرى مضمونية.

بالنسبة للحُجة التاريخية: وأتصور أنها ليست موضوع خلاف بيننا، ففى رأيى أن التاريخ والسجل الأمريكى فى قضية نشر الديمرقراطية فى العـالم سـجل ملتبس للغاية، ويمكن أن نذكر فى هذا السجل التجربة الديمقراطية فى اليابان أو فى ألمانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، أو فى ايطاليا، أو فى دول شرق أوروبـا بعد انهيار المعسكر الاشتراكى، وإن كان هذا يمكن أن يدخلنى فـى نقـاش أكثـر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعقيداً أخلاقياً وسياسياً حول مضمون الديمقراطية، من هذا مثلاً طرح السؤال الفلسفى المتعلق بما إذا كانت بلغاريا فى ظل الديمقراطية الليبرالية أفضل مما كانت عليه من قبل، وبدون الدخول فى هذا الجدل، سأعتبر أن للأمريكيين سجلاً إيجابياً فى نشر الديمقراطية فى عدد من دول العالم، إلا أن لهم أيضاً سجلاً بالغ القتامة فى التحالف مع نظم استبدادية، وفى الإطاحة بنظم ديمقراطية، وفى التدخل فى نظم ديمقراطية كما كانت تفعل المخابرات المركزية الأمريكية CIA فى النظم الديمقراطية فى غرب أوروبا لكى تمنع وصول الأحزاب الشيوعية إلى الحكم، وفى اليابان كانت تتدخل لتقديم معونات ورشاوى لكى يصل حزب معين إلى السلطة، وكان هناك تعاون مع الثقافات الظلامية التى تحدث عنها د.محمد السيد سعيد مثل التحالف بين الإدارة الأمريكية وعناصر العنف والتطرف الإسلامى من أجل الإطاحة بالاتحاد السوفيتى تحت عنوان "نصرة المسلمين".

مُلخص حجتى التاريخية– وأعتقد أنها تستند إلى الواقع- أن السجل الأمريكى فى موضوع الديمقراطية شديد الالتباس، وأصل من هذا الالتباس إلى نقطة أعتقد أنها تتفق مع ما طرحه د.بهجت قرنى عندما أشار إلى أن القضية هى قضية مصلحة قومية كما تراها النخبة الحاكمة، فعندما تتفق هذه المصلحة مع نشر الديمقراطية يتم نشر الديمقراطية، وعندما تتعارض يتم الإطاحة بالديمقراطية.

أيضاً أتفق مع ما ذكره د.محمد السيد سعيد من أن التركيبة الثقافية شديدة التخلف التى تحدث عنها تمثل تهديداً لنا وللآخرين، ولكنى أتصور أن هذه التركيبة تقوم على عنصرين؛ أحدهما يتعلق بالنظم الحاكمة، والآخر يتعلق ببعض ثقافات فرعية متخلفة، إلا أن الصورة ليست كذلك فى كل الأحوال، إذ توجد أيضاً تركيبة ثقافية ناهضة هى التى سنعول عليها عندما نصل فى النهاية للقول بأنه لا مفر أمامنا من محاولة بناء أنفسنا ديمقراطياً وبمبادرات ذاتية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثمة نقطة أود الإشارة إليها فى هذا الصدد، وهى أن التركيبة الغربية مُهددة لنا فى كل الأبعاد، وكما أن تركيبتنا مُهددة لهم بحق، فإن تركيبتهم مُهددة لنا فى استقلالنا وفى أمننا، ولا أعتقد أننى فى حاجة للتدليل على ذلك، سواء بما يحدث فى العراق أو فلسطين أو بما حدث لمصر عام ١٩٥٦، بل إننى أتجاوز فأقول إن هذه التركيبة الغربية مُهددة لنا اقتصاديا، فمن قال إن موضوع السوق والخصخصة والعولمة الاقتصادية- الذى طُرح على العالم منذ فترة - يُلائمنا ، بالتأكيد قد لا تُلائمنا النظم المغلقة ولكنى أستطيع أن أعزو تخلف السير نحو الديمقراطية إلى التفكك الاجتماعي أو التآكل الاجتماعي الذى حدث فى ظل سياسات الخصخصة، وأنا أعتبر أن الخصخصة المقدمة لنا على الطريقة الأمريكية والالتحاق بمنظمة التجارة العالمية هى نوع من أنواع التهديد، بل أكثر من هذا فإننى أتهم الإدارات الأمريكية المتعاقبة- وليس المجتمع الأمريكى - بأنها قامت بعمليات تخريب ثقافى من خلال تعزيزها لهذه التركيبة الثقافية، أليست سياسات المعونة والرشاوى المقدمة إلى الموظفين وكبار الموظفين هنا وهناك نوعاً من أنواع التخريب الثقافى، ناهيك عن المردود الاقتصادى السلبى لهذا الأمر؟ وهنا الإشكالية الحقيقية، فإن كان لدينا شئ سلبى يهددنا ويهدد الآخرين، فإن الجانب المقابل لديه أيضاً ما يهددنا.

هذه هى الحجة التاريخية التى توضح أن السجل الأمريكى فى مسألة نشر الديمقراطية سجل ملتبس، ومن ثم نحن أمام مصلحة وطنية وليس أمامنا بالضرورة مشروع أمريكى للتطوير فى حد ذاته مطروح علينا.

<u>وبالنسبة للحجة المضمونية</u>، فقد أشار الجميع إليها، وخاصة أ.سمير عندما تحدث عن أفكار فريد زكريا، والتى أعتقد أنها موجودة بشكل منظم جداً فى كل تصريحات رجال الرأى العام، وأنا أتحدى أن نجد أى توصيف حقيقى لماهية النظام المنتظر سواء فى وثيقة باول أو خطابات بوش أو تصريحات كوندوليسا رايس أو ريتشارد هاس وغيرهم، وإنما هناك حديث عام عن مجتمعات أكثر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انفتاحا وأكثر ديمقراطية، بل إن وثيقة باول نفسها تتضمن سطراً واحداً عن الإصلاح السياسى وباقى الوثيقة تتحدث عن التنمية والمرأة والتعليم...الخ.

من هنا، ومن حيث المضمون، لا أتصور أنه مطروح علينا مشروع أمريكى للتطوير، وذلك لأن الطرف الأمريكى– وانطلاقاً من مفهوم المصلحة الوطنية – لا يريد إلزام نفسه بشئ، لأنه لا يستطيع الالتزام بعمل انتخابات..الخ، وقد بدا ثمة مبدأ أن يكون كل حسب قدرته ، فمثلاً عندما تحدث ريتشارد هاس عن الديمقراطية قال إنه لا توجد صورة واحدة للديمقراطية، وإنما هى لكل بحسب قدرته، إذن عندما يذهب أحد الحكام لمقابلة رجال العشائر أو يتجول فى الشوارع تكون هذه بمثابة خطوة ديمقراطية، من هنا أتصور أنه لا يوجد إنتاج محدد مطروح علينا وبأفكار محددة .

وهنا أصل إلى نقطتى الأخيرة حول ما هو موقفنا إزاء هذا، وقد بدأت الحديث بالقول إنه ليس مطروحاً علينا مشروع ديمقراطى لقبوله أو رفضه، ولكن مطروح علينا أفكار يُقال إنها للتطوير، وبداهة، لا يمكن القول برفض أى شئ تطرحه الولايات المتحدة، ولكن ما يشغلنى هو توقيت الطرح، لأنه جاء فى ظل ارتباط المسألة الديمقراطية بمسألة الاستقلال الوطنى، وهذه تمثل إشكالية حقيقية، فصدام حسين حكم العراق أكثر من ثلث قرن، وقد تعاونت معه الولايات المتحدة أكثر من مرة، وقدمت له الأسلحة الكيماوية التى اتهمته باستخدامها ضد شعبه وضد الآخرين، بعبارة أخرى، لقد كانت علاقة الولايات المتحدة بالنظام العراقى عادية باستثناء فترة معينة، أيضاً لماذا سكتت الدول التى طالبت النظام العراقى بالرحيل طيلة هذه السنوات؟ وهى بالمناسبة دول غير ديمقراطية، وأنا حقيقة لا أُنزه التوقيت الحالى للطرح عن أن يكون مرتبطاً بقضية مصادرة إرادة العراق، ومن هنا يحق لنا الحديث عن التعارض الحالى بين الديمقراطية وهدف التحرير الوطنى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما أريد قوله فى هذا السياق إنه إذا كان لا يوجد مشروع محـــدد مطـــروح علينا للتطوير، ولكن يوجد على الأرض عدوان حقيقى على العراق، فعندئذ لا أقول نؤجل الديمقراطية ، ولكن أقول تكون الأولوية لمواجهة العدوان.

وثمة نقطة أخرى، هى أن مالمسناه فى بعض ملامح التطبيق ظهـــر فـــى الحالة الفلسطينية، فمن الواضح أن المطلب المُـــسمى بالـــديمقراطى مـــن الـــسلطة الفلسطينية مرتبط أساساً بكسر إرادتها فى مجال التسوية، وفى اعتقادي أن خطـــاب بوش فى يونيه/حزيران ٢٠٠٢، والذى أشارت إليه د.منـــار، قـــد أحـــدث تغييـــراً جوهرياً فى تكييف الصراع الفلسطينى – الاســـرائيلى باعتبـــاره صـــراعاً ضـــد الإرهاب، حيث أشار بوش إلى أن السلام فى هذه الأرض مرتهن لصالح قلة مـــن الإرهابيين- وهو يقصد بالطبع المقاومة والقيادة الفلسطينية - ومن ثم فهو لا يـــرى إلا ضرورة تغيير هذه القيادة، من هنا فإن عملية التغيير الديمقراطى مرتبطة – فى رأيى– بكسر إرادة المقاومة الفلسطينية، بل ذهب بوش إلى أكثر من هـــذا عنـــدما كرر فى خطابه معنى أنه إذا أتى الفلسطينيون بياسر عرفات مرة أخرى، فلن تقبله الولايات المتحدة، وكرر المعنى نفسه فى الحالة العراقية، أنه إذا اســـتبدل الـــشعب العراقى ديكتاتوراً بديكتاتور آخر، فلن تقبله الولايات المتحدة، وفى هذا تلميح إلـــى أنه إذا أفرزت آليات الديمقراطية من لا تقبله الولايات المتحدة فلن تعترف بها.

من هنا لدى شكوك عميقة فى أن هناك مشروعاً أمريكياً للتطوير مطروحاً علينا، ولا يعنى هذا الوقوف فى معسكر الدفاع عن الوضع الراهن، والذى أســـهب د.محمد السيد سعيد فى توصيف قبحه، فهو وضع لا يمكن قبوله أو الدفاع عنه بأى حال من الأحوال، وكل ما فى الأمر هو آليات تغيير هذا الواقع، وأنـــا صـــراحة لا أرى أمامى أى آليات مطروحة للتغيير من الخارج، فهذه الآليات مطروحة من أجل إدامة استتباع المنطقة، ومن هنا لم يعُد لدينا إلا البحث فـــى آليـــات التغييـــر مـــن الداخل، ولمَا كانت آليات التغيير الرسمية مـــستحيلة، فلـــيس أمامنـــا إلا التطـــوير والتغيير من الداخل اعتماداً على قوى المجتمع، وهذه معضلة كبيـــرة تُلقـــى علينـــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مهمة بالغة التعقيد لأننا أمام مجتمع لا توجد فيه قوى اجتماعية متبلورة أو لها رؤية محددة قادرة على قيادة نضال ديمقراطى حقيقى، فهو مجتمع– فى رأيى– تم تغييره مرة بفعل النظم الحاكمة، وأخرى بفعل القوى المهيمنة من الخارج.

وفى الوقت الذى نوجه فيه اللوم للخارج لأنه تغاضى عن النظم غير الديمقراطية إلى اللحظة التى أراد فيها استتباعها، فقد آن الآوان أيضاً لكى نلوم أنفسنا حيث إنه لم تعُد أمامنا رفاهية السكوت على أى نظام غير ديمقراطى إلى أن تقع الواقعة، وإنما علينا من الآن- ومن هذا المنظور– مهمة تغيير أوضاعنا بأنفسنا إلى الأفضل واعتماداً على رؤيتنا الذاتية.

د.نيفين مسعد :

لى فقط تساؤل يتعلق بمصداقية الطرح الأمريكى للديمقراطية، فقد بدأ هذا الطرح بشكل خاص بعد أحداث ١١سبتمبر/أيلول فى ضوء التجربة الأفغانية والتجربة العراقية.

وفى **التجربة الأولى**، تم استبعاد طائفة واسعة من القوى من التمثيل داخل النظام السياسى، مما أدى إلى تصارع هذه القوى فيما بينها، وقد ظهرت إحدى نتائجه فى خلخلة الاستقرار السياسى هناك، فلا تزال البنية التحتية لما يُسمى بنظام طالبان وتنظيم القاعدة موجودة، ولا يمكن القول بأنه قد تم القضاء عليها، وإنما هى فى حالة كمون، من هنا لم يفلح النموذج الذى طُرح من خلال استقدام أحد زعماء المعارضة المقيمين فى الخارج وتنصيبه رئيساً على أفغانستان، كما لا تستطيع الولايات المتحدة القول بأنها نجحت فى إقامة نظام ديمقراطى فى أفغانستان كبديل لنظام طالبان، بحيث يقوم على التعددية الحزبية وحرية التعبير وسيادة القانون وغيرها من المؤشرات المتعارف عليها فى إرساء نظام ديمقراطى حقيقى، وكل ما تم التهليل له هو خروج النساء للشوارع بوجوه مكشوفة وعودة حفلات السمر والغناء .. إلخ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفيما يتعلق **بالتجربة العراقية**، لدى شكوك فى أن ما تقوم بـــه الولايـــات المتحدة حالياً فى العراق يمكن أن يساعد مستقبلاً فى إرســـاء نظـــام ديمقراطـــى، وخاصة مع اصطفاء بعض قوى المعارضة وتنحية بعـــضها الآخـــر، فالولايـــات المتحدة تصطفى الأكراد ضد الشيعة، وفريقاً من الأكراد ضد فريـــق آخـــر، وفـــى الوقت الذى تطلب فيه من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية عـــدم المـــشاركة فـــى الحرب، فهى تفعل ذلك لأنها لا تريد أن تنعكس هـــذه المـــشاركة علـــى التمثيـــل السياسى للشيعة فى النظام المقبل فى العراق، أى أنها تريد شـــكلاً معينـــاً لتوزيـــع الصلاحيات والسلطة فى النظام المزمع إقامته فى العراق، وهى أيضاً تميـــز بـــين معارضة الداخل ومعارضة الخارج ، وتقوم بإذكاء الثأر بين الجماعات والعـــشائر والقبائل المختلفة.

ما أريد قوله إن الولايات المتحدة تضع بذور إفساد أى صيغة ديمقراطيـــة فى مستقبل العراق. والسؤال الذى أطرحه فى هذا السياق، هل مـــن الممكـــن بعـــد سيطرة الولايات المتحدة على الأوضاع فى العراق أن نكون إزاء وضع أشـــبه مـــا يكون بالوضع الذى كانت عليه الدول العربية فى مرحلة ما بعد الاستقلال؟ بمعنـــى أن هذه الدول فى معظمها جنحت إلى النموذج الاشـــتراكى، ورفـــضت النمـــوذج الليبرالى لارتباطه بالخبرة الاستعمارية؟ أى هل من الممكن أن يؤدى هذا الوضـــع إلى نوع من الكراهية لدى الشعب العراقى للنموذج الـــديمقراطى المزمـــع إقامتـــه لمجرد أنه جاء مفروضاً عليه مـــن الخـــارج، ولارتباطـــه بـــالخبرة الاســـتعمارية الأمريكية؟

أ.محسن عوض :

بداية، أتفق مع ما ذكره د.محمد السيد سعيد عن فساد الواقع الذى ينبغـــى مقاومته، وأتفق مع د.أحمد يوسف فيما ذكره عـــن أنـــه لـــيس هنـــاك مـــشروعاً للديمقراطية مطروحاً من جانب الولايات المتحدة، فهناك مصالح قومية أشار إليهـــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

د.بهجت قرنى، وهناك جماعات محددة تدير هذه المصالح علـــى نحـــو عـــدوانى، ونحن لدينا ثلاث تجارب على الساحة وليست تجربتان، فلا يجب أن ننسى التجربة السودانية، حيث يجرى حالياً تفكيك النظام السودانى وإعادة تركيبه على نحو يتلاءم مع المصالح الأمريكية تحت مقولة ربط الديمقراطية بالسلام، وفى واقع الأمر فقـــد نحت هذه التجربة كل القوى الرئيسية عدا الطرفين المشاركين فى المفاوضات على الجانب الشمالى والجنوبى، هذا وينطبق على الاتفاقية المزمع عقدها مقولـــة "ســـلام فاسد أحط من حرب صريحة" فقد استبعدت هذه الاتفاقية كل الأطراف المهمشة فى الجنوب والتى وصلت إلى حد التمرد فى دارفور، كما اســـتبعدت كـــل الأطـــراف الأخرى فى الشمال، وأعادت تفكيك النظام دون أن تربطـــه إلا بـــشئ واحـــد هـــو ضمان مدة رئاسة سداسية لنظام البشير.

أيضاً فإن ما يجرى فى فلسطين من إعادة تركيب السلطة الفلسطينية هـــو فى واقع الأمر لصناعة نظام "حداد" جديد مثل ذلك الذى كان قائماً فى جنوب لبنـــان لحماية القوات الإسرائيلية، وما هو قائم فى العـــراق حاليـــاً مـــن مـــشاريع وأدوار للجيش والأمن وشركات البترول..الخ كل هذا يبشر بنوع النظام المقبل فى العراق.

ما أود أن أشير إليه أن هذا المشروع الذى بدأ فعلاً بأضلاعه الثلاثـــة لـــه مُتممات على الساحة العربية، فهناك نظم أخرى مرشحة للتغيير منها؛ سوريا (كمـــا ورد صراحة فى الأدبيات الأمريكية وإن كان تم نفيه) ومصر، وفـــى اعتقـــادي أن السعودية هى الأخرى مرشحة لذلك، فهى وإن لم تكن مرشحة بالاســـتهداف فهـــى مرشحة بالتداعى، فالمشروع الذى طرحه الأمير عبـــد الله، والـــذى كـــان مقـــرراً مناقشته فى مؤتمر القمة العربية الأخير، وتم إرجاؤه فيما بعد، يـــربط بـــين فكـــرة السلام والمشاركة السياسية وإعادة هيكلة النظام العربى.

د.محمد السيد سعيد :

فى إطار الحديث عن ما العمل، أود الإشارة إلى ضرورة اضطلاع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنظمة العربية لحقوق الإنسان بدور فى هذا الإطـــار مـــن خـــلال قيـــادة فريـــق متخصص، وعلى أعلى مستوى مهنى، لتوثيق جرائم الحرب الأمريكية فى العراق، ووضع تقرير موثق بالشهادات الحية، وأن يذهب هذا الفريـــق للعـــراق ولا يكـــون عمله مكتبياً.

أيضاً هناك أهمية لتشكيل تحالف للدفاع عن السلام والقـــانون، أو الـــسلام الشرعى، فمن المهم كشف الإجراءات العنصرية والاستعمارية أمـــام الأمـــريكيين أنفسهم ، حيث يتوق الكثير منهم لسماع خطاب عربى لم يسمعوه حتى الآن، فهناك كثير من الأمريكيين لم يروا عربياً قط فى حياتهم، من هنا أهمية عمل شئ ما فـــى هذا الإطار مهما كانت التكلفة، ولو من خلال مؤتمر عالمى قبل نهاية هـــذا العـــام (أى عام ٢٠٠٣) يشارك فيه مثلا خمسة آلاف شخص، ونعرض عليهم شكوانا من هذه السياسة الأمريكية الإجرامية.

د.بهجت قرنى :

حقيقة إن ما طُرح حتى الآن من نقاش جد مفيد، وفى ظل الظروف التـــى نعيشها فهو يُثير عندى التفاؤل، ويُعتبر مؤشراً إيجابياً علـــى الانتمـــاء والاهتمـــام بقضايا هذه المنطقة.

<u>وأود فقط إثارة بعض النقاط علىالنحو التالى</u>؛

أننى عندما تحدثت عن اليمين المسيحى كان على أساس أنه أكثر من يمثل المحافظين الجدد، ومن هنا لم أتحدث عن كل الجماعات المختلفة فى هذا الإطـــار، ولعل د.منار أثارت النقطة الرئيسية التى شغلتنى، ليس فقط فيما يتعلـــق بمـــستقبل المنطقة، ولكن أيضاً فيما يتعلق بمستقبل النظام العـــالمى، فأنـــا أعتقـــد أن وجـــود المجموعة الحالية على رأس الإدارة الأمريكية كارثة عالمية، لأنها لا تقبل بنـــسبية القيم ولديها مطلقات وحقائق ثابتة لا تقبل النقاش فيها وتحاول فرضها على أســـاس أنها تمثل الخير المطلق، والإنسان الذى لا يقبل نسبية القيم لا يمكن التحـــاور معـــه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد أن أصبح عقله مغلقاً closed minded ، وهذا شئ يخيفنى جداً لا سيما عندما يكون فى يد قوة لديها من التكنولوجيا والأسلحة ما يمكنها من تدمير العالم. ومن هنا فإن احتكار الحقيقة مسألة خطيرة جداً بالنسبة لدولة تضطلع بدور القيادة والريادة فى العالم.

أيضاً ثمة نقطة أختلف فيها مع أ.سمير عندما تساءل عما إذا كان هناك خلاف جوهرى بين الإدارات الأمريكية المختلفة، وأن الموجود حالياً ما هو إلا استمرارية للسياسة الأمريكية من قبل، وأنا أعتقد أن فى هذا تجنى على النظام الأمريكى، ومن هنا أتفق مع د.محمد السيد سعيد فى أن النظام الأمريكى نظام متنوع ومعقد وفيه كل شئ، فهناك على سبيل المثال فارق كبير جداً بين إدارة بوش وإدارة جيمى كارتر، وبين إدارة بوش وإدارة كلينتون ...الخ.

وحول ما ذكره أيضاً د.محمد السيد سعيد لا أعتقد أننا نقوم بشيطنة الولايات المتحدة، وأشير هنا إلى احتفال الجامعة الأمريكية فى بيروت بخريجيها فى شهر فبراير/شباط الماضى عندما ألقى خطاب الافتتاح جون ووتربرى John Waterbery - وهو من أكبر المتخصصين فى منطقة الشرق الأوسط ويعمل حالياً مديراً للجامعة الأمريكية فى بيروت – حيث عبر فى خطابه عن نوع من الغموض أو الالتباس بالنسبة لكثير من العرب تجاه الولايات المتحدة، من خلال مقولة "أنا أكرهكم ولكن أحب مؤسساتكم"، وأنا أعتقد كما أشار د.أحمد يوسف ود.نيفين مسعد، أن هناك عدم ثقة فى الوثائق الأمريكية المقدمة لنا، وربما يؤيد التاريخ انعدام هذه الثقة والمصداقية، فالسياسة الأمريكية كانت دائماً فى صف الاستبداد والغش والنظم الديكتاتورية وسقوط نظم ديمقراطية، ومن هنا السؤال المهم الذى طرحته د.نيفين؛ هل بعد الانتهاء مما يحدث فى العراق يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن تكون للديمقراطية سمعة سيئة، وتكون عملية مشبوهة نتيجة ارتباطها بالاحتلال وبالغزو الثقافى الغربى والخضوع والهيمنة أكثر من ارتباطها بالديمقراطية التى نراها داخل المجتمع البريطانى أو الأمريكى؟ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إننى أتصور أن الديمقراطية سوف ترتبط بأشياء سلبية غير تلك القيم التى نراها فى المجتمعات الديمقراطية بالخارج.

وهنا أود الإشارة إلى **نقطتين رئيستين**؛

النقطة الأولى تتعلق بسؤال هل نحن فى حاجة إلى إصلاح أم لا؟ والإجابة – بالتأكيد– نعم، وقد قدم د.محمد السيد سعيد أكبر دفاع عن هذا الموضوع، ولا يعنى التشكك فى وثيقة باول أننا ندافع – بالضرورة – عن الوضع الراهن، فهذا – فى رأيى – استنتاج غير سليم، نحن فقط نشكك فيما يأتى من الخارج انطلاقاً من عدم صدق نواياه، والتاريخ يثبت أن هذه النوايا غير صادقة.

والنقطة الثانية، أعتقد أن كثيراً من المدافعين عن الديمقراطية الغربية ينطلقون فى دفاعهم من القياس على الأداء الديمقراطى داخل هذه الدول، فأنا مثلاً من الفخورين بالديمقراطية البريطانية، وبأشياء كثيرة فى المجتمع الأمريكى، ولكنى أعتقد أن هناك فى هذه الدول ثمة ازدواجية فى السياسات والمعايير بين الداخل والخارج، فليس كل ما تفعله هذه الدول فى الخارج هو امتداد لما تفعله فى الداخل، من هنا علينا التعامل مع الوثائق التى تأتينا من هذه الدول على أنها وسائل لإعلاء شأن سياسات محددة، وليست معدة بالضرورة لنشر القيم الموجودة داخل هذه الدول.

وأخيراً ثمة خلاف بسيط مع صديقى د.أحمد يوسف فى أنه حتى وإن لم يكن مطلوب منا رد فعل لمبادرة لم تُطرح علينا رسمياً، فأنا أعتقد أن الوضع الداخلى فى المنطقة العربية من الخطورة بحيث لا يمكن معه انتظار مبادرة من الخارج لكى نقوم نحن بمبادرة من الداخل، من هنا أخشى أن يكون لدينا نوع من "الكسل الثقافى والسياسى" إذ يُنظر إلينا من الخارج على أننا سلبيون، وأتمنى ألا يتحدث عنا التاريخ كما تحدث عن الإمبراطورية العثمانية منذ قرنين باعتبارها إمبراطورية "الرجل المريض"، فعلينا أن نقوم بمبادرة، ونأخذ من هذه الكارثة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحيطة بنا دفعة للنظر فى همومنا، ومن هنا أتفق مع ما ذكره د.محمد السيد سعيد فى أنه ليس هناك أى عيب فى التعامل والتحاور مع أى مبادرات من الخارج تتحدث عن مقاومة البطالة والقيام بالإصلاح الإقتصادى، وذلك بعد التأكد من صدق نواياها واختيار ما يناسبنا منها ورفض ما لا يناسبنا.

أ.محمد فائق :

لدى فقط بعض الإشارات السريعة أوجزها **فيما يلى**؛

بالنسبة لما اقترحه د.محمد السيد سعيد من قيام المنظمة العربية لحقوق الإنسان بتوثيق الانتهاكات الخطيرة التى تحدث فى العراق، فقد تم مناقشة هذا بالفعل فى إطار المنظمة، وهناك وفد من المنظمة مستعد للسفر للعراق لتوثيق هذه الأوضاع، أيضاً أتصور أن الأفكار التى طُرحت فى النقاش حتى الآن أجابت على معظم الأسئلة التى كنا نبحث عن إجابة لها. فكلنا يرفض الأوضاع الداخلية المقيدة للحريات المدنية والسياسية ويرى ضرورة التغيير ولكن شريطة أن يكون هذا التغيير لحساب الداخل وليس لحساب أحد من الخارج.

كذلك أود الإشارة فى هذا السياق إلى أن الولايات المتحدة ليس لديها أى اعتراض بالنسبة لحالة الطوارئ المفروضة فى عدد كبير من الأقطار العربية، ونحن فى المنظمة العربية لحقوق الإنسان نلتزم بقضية حقوق الإنسان، وسوف نستمر فى الدفاع عن هذه القضية على اعتبار أنها يمكن أن تصل بنا إلى الحل الديمقراطى. لقد كنا دائماً نربط بين قضية حقوق الإنسان وحق الشعوب فى تقرير مصيرها، وهذه نقطة كانت تتغاضى الولايات المتحدة دائماً عنها، وربما يجعلنا هذا ضد أى موقف لا يتمشى مع الشرعية الدولية كما حدث بالنسبة للعدوان على العراق وعدم اللجوء لمجلس الأمن، وسوف نستمر فى هذا الاتجاه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفى النهاية لا يسعنا إلا أن نتوجه لكم جميعاً بالشكر على مشاركتكم القيمة فى هذه الندوة، التى سوف تُنشر فى المجلة الفصلية التى تصدرها المنظمة العربيـــة لحقوق الإنسان.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وثائق المبادرة الأمريكية للشراكة
بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط

- مناصرة الطموحات إلى الكرامة الإنسانية.
- نحو مزيد من الديمقراطية فى العالم الإسلامى.
- الهدف هو الديمقراطية الإسلامية: تحول فى الأولويات فى واشنطن ريتشارد هاس.
- مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط:بناء الأمل للسنين القادمة.
- الولايات المتحدة ومبادرة شراكة الشرق الأوسط تمكن المرأة من الكفاية.
- الولايات المتحدة ومبادرة شراكة الشرق الأوسط :دفع عجلة النمو الاقتصادى.
- مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط :تحسين المعرفة.
- دور مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط فى توسيع آفاق الفرص السياسية.
- الحقوق القائمة والمسئوليات الناشئة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- **الرئيس بوش يقترح إقامة منطقة تجارة حرة مع الشرق الأوسط خـــلال عشر سنوات**
  - زولك يرى أن اتفاق التجارة الحـــرة بـــين الولايـــات المتحـــدة والبحرين هو "مرتكز إقليمى".
  - الولايات المتحدة تشرح رؤياها لتطور اقتصادى للشرق الأوسط.
  - مبادرة التجارة الحرة الأمريكية الشرق أوسطية تعنى فرصاً للعمل وتحصيل العلم.
- **مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذى ستقدمه الولايات المتحدة فى قمـــة الدول الثماني فى يونيو/حزيران ٢٠٠٤.**
- **المبادرة الألمانية : شراكة أمنية ودعم الإصلاح والديمقراطية فـــى دول المنطقة بعيداً عن الإملاءات الأبوية.**
- **رؤيـــة فرنسيـــة : دوفيلبان يقترح على المنطقة "شـــراكة" بعيـــدة عـــن الحلول الجاهزة.**
- **المشروع الفرنسى - الألمانى : "من أجل مستقبل مشترك مـــع الـــشرق الأوسط".**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأميركية
نص التقرير الذي وجهه الرئيس بوش إلى الكونغرس
(في ٢٠ أيلول/سبتمبر، ٢٠٠٢)

واشنطن، ١٥ تشرين الأول/أكتوبر – في ما يلي نص تقرير استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الذي كان الرئيس بوش قد بعث به إلى الكونغرس في ٢٠ أيلول/سبتمبر الماضي.

مناصرة الطموحات إلى الكرامة الإنسانية

"يقلق البعض من الكلام بلغة الحق والباطل لكونه، بشكل ما، كلاماً غير دبلوماسي أو غير مهذب. أنا لا أوافق. فالظروف المختلفة تتطلب أساليب مختلفة، لكنها لا تستدعي أخلاقيات مختلفة."

الرئيس بوش

ويست بوينت، نيويورك،

أول حزيران/يونيو، ٢٠٠٢

في سعينا لتحقيق أهدافنا، يتوجب أولاً توضيح موقفنا : على الولايات المتحدة أن تدافع عن الحرية والعدالة؛ لأن هذه المبادئ هي حق وصواب لجميع الشعوب أينما كانت. ولا تملك هذه الطموحات دولة واحدة، كما أنه ما من دولة مستثناة منها. الآباء والأمهات في جميع المجتمعات يتوقون لحصول أولادهم على التعليم والعيش أحرارا من الفقر أو العنف. ما من شعب من الشعوب على وجه البسيطة يتوق إلى الظلم، أو يطمح إلى العبودية، أو ينتظر بفارغ الصبر طرق البوليس السري على الباب في منتصف الليالي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى أميركا أن تؤيد بحزم متطلبات الكرامة الإنسانية غير القابلة للتفاوض: حكم القانون؛ تقييد السلطة المطلقة للدولة؛ حرية التعبير؛ حرية العبادة؛ العدالة المتساوية؛ احترام النساء، التسامح الديني والإثني؛ واحترام الملكية الخاصة.

يمكن تلبية هذه المتطلبات وفق أساليب عديدة. أدى لنا الدستور الأميركي خدمات جيدة. قامت دول عديدة أخرى، لها تاريخ وحضارة مختلفة، وواجهت ظروفا مختلفة، باعتماد هذه المبادئ الأساسية ضمن أنظمة حكمها بنجاح. ولم يرحم التاريخ البلدان التي تجاهلت أو ضربت عرض الحائط بحقوق وطموحات شعوبها.

إن الخبرة التي اكتسبتها الولايات المتحدة من كونها ديموقراطية عظمى متعددة الإثنيات تؤكد قناعتنا بأن الشعوب التي تنتمي إلى ثقافات ومعتقدات متعددة تستطيع العيش وتحقيق الازدهار في سلام.

إن تاريخنا هو بمثابة صراع طويل لنتمكن من العيش وفق مبادئنا. لكن حتى في أصعب لحظات حياتنا، كانت المبادئ المتجسدة في إعلان الاستقلال موجودة لإرشادنا. ونتيجة لذلك، لم تصبح الولايات المتحدة مجتمعاً أقوى فحسب، بل وتتمتع أيضاً بقسط أكبر من العدالة والحرية.

واليوم، تبقى هذه المُثل حبل الخلاص للمدافعين عن الحرية بمفردهم. وعندما تسنح الفرص، يمكننا تشجيع التغيير - كما فعلنا في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ما بين العامين ١٩٨٩ و١٩٩١، أو في بلغراد في العام ٢٠٠٠. عندما نرى كيف أصبحت الأنظمة الديموقراطية مستقرة لدى أصدقائنا في تايوان أو في جمهورية كوريا، ونرى القادة المنتخبين من الشعب يحلون محل الجنرالات في أميركا اللاتينية وأفريقيا، نرى أمثلة تشير إلى كيفية تمكّن الأنظمة المتسلطة أن تتطور، لتجمع التاريخ المحلي والتقاليد الوطنية مع المبادئ التي نعزّها جميعاً.

وتجسيداً لدروس من ماضينا مع الاستفادة من الفرصة المتاحة اليوم، ينبغي لاستراتيجيات الأمن القومي للولايات المتحدة أن تنطلق من هذه المعتقدات الأساسية وتتطلع حولها إلى إمكانات نشر الحرية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سوف ترشد هذه المبادئ قرارات حكومتنا في شأن التعاون الدولي، وطبيعة المساعدات الخارجية، وتوزيع الموارد المالية. كما أنها سترشد أفعالنا وأقوالنا في الهيئات الدولية.

سوف نقوم بما يلي:

١- سنتكلم عالياً وبصدق عن انتهاكات المتطلبات غير القابلة للتفاوض للكرامة الإنسانية مستخدمين صوتنا وتصويتنا في المؤسسات الدولية لمساندة الحرية.

٢- سنستخدم المساعدات الخارجية لتعزيز الحرية ودعم أولئك الذين يناضلون سلمياً في سبيلها، بينما نضمن مكافأة الدول السائرة نحو الديموقراطية على الخطوات التي تتخذها.

٣- سنجعل من الحرية وتطوير المؤسسات الديموقراطية مسائل أساسية في علاقاتنا الثنائية، ونسعى إلى الحصول على تعاون وتضامن ديموقراطيات أخرى معنا فيما نحث الحكومات التي تتنكر لحقوق الإنسان على التحرّك نحو مستقبل أفضل.

٤- سنبذل جهوداً خاصة لتعزيز حرية الدين والمعتقد وندافع عنها ضد انتهاكات الحكومات القمعية لها.

٥- سنناصر قضية الكرامة الإنسانية ونعارض الذين يقاومونها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نحو مزيد من الديموقراطية في العالم الإسلامي

نص خطاب السفير ريتشارد هاس

مدير قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأميركية

ألقي في مجلس العلاقات الخارجية

(واشنطن، ٤ ديسمبر/ كانون أول ، ٢٠٠٢)

يسرني ويشرّفني أن أكون هنا مساء هذا اليوم. وأن يكون فؤاد عجمي هو الذي قدمني لأمر جيد فعلاً. فؤاد إنسان حكيم وخبير في صناعة الكلام، إذ إنه يوضح في كتبه ومقالاته وتعليقاته ما يبدو غير شفّاف في كثير من الأحيان. إنني مدين له مرّتين لأنه نقل موقع حصته الدراسية مساء هذا اليوم ليكون معنا. الواقع أنه جاء بحصته إلى هنا. وعليه، فإني أتصوّر إذاً أنه مدين لي لأنه لم يعد بحاجة إلى إعداد أي محاضرة لإلقائها في حصته. فبإمكاني القول، والحال هذه، إننا متساوون.

ويسرني أيضاً أن أتكلم في مجلس العلاقات الخارجية. أنا أشعر أنني في بيتي لأني عملت مرة في هذا المجلس. فالمجلس لا يزال مؤسسة الفكر والرأي الرئيسية في هذا الحقل. أقول ذلك بكل إخلاص لأني، عندما عملت في مكان قريب لدى مؤسسة زميلة - وقد يقول البعض إنها منافسة - كنا نقيس النجاح بعدد البحّاثة لدينا الذين يظهرون على صفحات مجلة فورين أفيرز أو يشاركون في فرق الدراسة أو فرق العمل التابعة للمجلس.

ومن دواعي سروري مساء هذا اليوم أن تسنح لي فرصة التحدث معكم حول فرص تعزيز الديموقراطية في العالم الإسلامي. فمساندة وتوسيع رقعة الديموقراطية كانت دائماً مسألة مركزية بالنسبة للسياسة الخارجية الأميركية. فمنذ ظهور نقاط الرئيس وودرو ويلسون الأربع عشرة إلى مشروع مارشال، رأينا في توسع الحرية والديموقراطية مصلحة قومية أساسية. وقد شجعت الولايات المتحدة،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في عهد أحدث، بلداناً مختلفة مثل كوريا الجنوبية، والفيليبين، والسلفادور، وجنوب أفريقيا، وتشيلي في مراحل انتقالها إلى الديموقراطية. كما لعبنا دوراً قيادياً في تأييد انتشار الديموقراطية في بلدان أوروبا الشرقية الشيوعية سابقاً.

لا تزال الديموقراطية نقطة محورية في السياسة الأميركية اليوم. تؤكد استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة: "أن على أميركا أن تقف بحزم إلى جانب مطالب الكرامة الإنسانية غير القابلة للتفاوض: حكم القانون؛ الحدّ من السلطات المطلقة للدولة؛ حرية التعبير؛ حرية العبادة؛ المساواة في العدالة؛ احترام النساء؛ التسامح الديني والإثني؛ واحترام الملكية الخاصة." لماذا ركزّت الولايات المتحدة بهذه الكثرة على الديموقراطية؟

ففي الدرجة الأعمق أساساً، نحن نساند الديموقراطية كمسألة مبدئية. فهي في صميم ما نحن عليه كدولة وما نمثله نحن كشعب. عند استلامه ميدالية فيلادلفيا للحرية في ٤ أيار/مايو ٢٠٠٢، تحدث وزير الخارجية باول "عن مسئوليتنا كمواطني أعظم ديموقراطية في العالم، في أن نضمن أن بلدنا هو قوة في خدمة الحرية حول العالم. والحقيقة أن الحقوق التي لا تنازل عنها في الحياة، أي الحرية ونشدان السعادة قد وهبها الله لكل الجنس البشري. فهي ملك كل رجل وامرأة وولد على وجه الأرض." وسوف تساعد الولايات المتحدة الدول الأخرى في تحقيق هذه الطموحات الأساسية لأنها كونية. فهذه القيم ليست مجرد نمط حياة تعتقد أميركا أن من واجبها تصديره.

وثمة أيضاً أسباب عملية تدعو الولايات المتحدة إلى تعزيز الديموقراطية في الخارج، للدلالة على أن الواقعية والمثالية يمكنهما التكامل. فبكل بساطة، سوف نزدهر أكثر كشعب وكدولة في عالم من الديموقراطيات بدلاً من عالم من الأنظمة الاستبدادية والفوضوية.

العالم الديموقراطي هو عالم مسالم أكثر. فنمط الديموقراطيات المتأصلة التي لا تتحارب مع بعضها البعض هو أحد أهم النتائج التي أمكن إثباتها في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دراسات العلاقات الدولية. هذا لا يعني أنه لا يمكن أن تكون لنا مصالح متشابكة وتعاون مثمر مع بلدان غير ديموقراطية، كما لا يعني أنه لن تكون هناك خلافات قوية في وجهات النظر مع الديموقراطيات الزميلة. لكن كلما ازداد عدد الديموقراطيات في العالم، كلما اتسعت المناطق في العالم التي من المحتمل أن تسعى دولها إلى حل خلافاتها بالطرق الدبلوماسية.

نحن نرى هذا بكل وضوح في أوروبا. اليوم، وعلى الرغم من تاريخ طويل من الحروب الوحشية التي بلغت ذروتها في حربين عالميتين ذات كلفة بشرية هائلة، لم تعد الديموقراطيات الأوروبية تفكر بمحاربة بعضها البعض. على العكس، يكرس الأوروبيون جهودهم لأجل تحقيق تكامل أكبر. لقد دخلت ألمانيا وفرنسا في حرب ثلاث مرات بين ١٨٧٠ و١٩٤٠. واليوم، عندما يقوم خلاف بين فرنسا الديموقراطية وألمانيا الديموقراطية، تتفاوضان بشأنه حول طاولة مؤتمر، وليس في ساحة القتال.

الانتشار السريع للديموقراطية في أميركا اللاتينية الذي طال المنطقة بكاملها تقريباً قد خفف أيضاً إلى درجة كبيرة من إمكانيات الحرب في نصف القارة الغربي عندنا. وفي حين كانت البرازيل والأرجنتين تعززان الديموقراطية لديهما، فإنهما قررتا التخلي عن السعي وراء السلاح الذري. وعندما تم في ليما، عاصمة البيرو، في نفس يوم هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، التوقيع على شرعة الديموقراطية التي أعدتها منظمة الدول الأميركية، تعهدت كل دولة في نصف القارة الغربية، باستثناء كوبا وحدها، تعزيز الديموقراطية في الداخل وتقديم المساعدة لجيرانها إذا ما تعرضت الديموقراطية فيها إلى تهديد أو تداعيات.

وللديموقراطية أيضاً صلة وثيقة بالازدهار. نحن في أعمال السياسة الخارجية نركز غالباً على الاتجاه نحو نمو اقتصاد السوق مع الوقت لإدخال الديموقراطية. ومن المؤكد أن النمو الاقتصادي في كوريا الجنوبية وتايوان وتشيلي قد ساعد على إقامة أسس أقوى للديموقراطية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما أنه، من جهة مقابلة، يساعد حكم القانون الشفاف، وتساوي الفرص الأكبر الذي توفره الديموقراطيات، بدوره في تحفيز النمو الاقتصادي والازدهار. لقد أدى انتقال السلطة سلمياً وبطريقة يمكن توقعها إلى المزيد من الانفتاح وتراجع الفساد في المكسيك مما أنشأ الظروف التي تمكن النمو الاقتصادي المستدام من أن يزدهر.

من المهم، قبل الذهاب إلى أبعد من هذا، تعريف الكلمات. فأنا، عندما أتكلم عن الديموقراطية، لا أتحدث عن أشكالها أو مؤسساتها أو انتخاباتها وحسب. فالديموقراطية تقوم في الأساس على توزيع السلطة - في الحكومة وفي المجتمع. ففي الحكومات الديموقراطية، توزّع السلطة بحيث لا يسيطر صوت واحد غير خاضع للمساءلة. الحكومات القومية في الأنظمة الديموقراطية، تتطلب وجود ضوابط وتوازنات، مثلاً، عن طريق المنافسة بين فروع الحكم التشريعية والتنفيذية، وكذلك عن طريق القضاء المستقل. فالحكومة القوية عليها أن تواجه تقييدات المعارضة المنتخبة.

ويمكن أيضاً إدخال الضوابط والتوازنات بين مختلف المستويات الحكومية - القومية والمناطقية، والمحلية. تلك هي الطريقة التي تستمر بها في حالات كثيرة الديموقراطيات المتعددة الإثنيات.

ومن الأمور المركزية لفكرة الديموقراطية أنه يتوجب على القادة إعادة تسليم سلطاتهم المؤقتة. كان جون آدامز رئيساً أميركياً عظيماً لعدة أسباب، لكن لم يكن هناك سبب أهم من قبوله التخلي عن السلطة بطريقة سلمية عندما خسر انتخابات كانت موضع جدل مرير أمام توماس جفرسون. بمعنى آخر، يستأجر القادة الديموقراطيون سلطاتهم بدلاً من امتلاكها، لأن السلطات الممنوحة لهم تأتي من الشعب. فالديموقراطية هي في الحقيقة "من الشعب، بالشعب، وللشعب". فهي تتوقف على الدور النشط للشعب (الأساس في الديموقراطية).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكما توجد حاجة إلى بعض الضوابط والتوازنات *داخل* الحكومة، هناك أيضاً حاجة إلى ضوابط وتوازنات بين الحكومة والمجتمع. وهذه أهم بالنسبة للديموقراطية منها للحكومات. فالسلطة يجب أن يشارك فيها مجتمع مدني حيوي وتعددي، مجتمع يمتلك "الحياة المجموعاتية" التي كتب عنها الكاتب الفرنسي دي توكفيل قبل ١٧٠ سنة، أي، تشكيلة واسعة من المجموعات الخاصة والمؤسسات الخاصة. وتضم هذه الأحزاب السياسية، والنقابات العمالية، وجمعيات رجال الأعمال، والمدارس، ووسائل الإعلام، المستقلة عن بعضها البعض، وعن سيطرة الدولة. يُزاد على ذلك، أنه لا يجوز استبعاد أي مجموعة إثنية، أو جنس، أو طبقة من الشعب عن المشاركة الكاملة في الحياة السياسية، كما يجب حماية الحقوق الفردية، بما فيها حرية التعبير والعبادة.

بهذا المعنى، حققت الديموقراطية بعض النجاحات الهامة خلال العقود الثلاثة الأخيرة. فقد بلغت موجة الانتقال إلى الديموقراطية، التي بدأت في البرتغال وأسبانيا في أواسط السبعينات من القرن الماضي إلى أميركا اللاتينية وشرق آسيا في الثمانينات من القرن الماضي، وبلغت ذروتها على أثر انهيار حلف وارسو والاتحاد السوفيتي. أطلق صامويل هنتنغتون ولاري داياموند على هذه الموجة اسم "الموجة الثالثة"، إذ إنها كانت القفزة الثالثة والأهم في عدد الديموقراطيات التي تلت تلك التي ظهرت إثر موجة التحرر من الاستعمار عقب الحربين العالميتين الأولى والثانية. ومن الجدير بالإشارة إليه هو أن ١١٨ ديموقراطية قد دعيت إلى مجتمع الديموقراطيات الوزاري الذي استضافته جمهورية كوريا بين العاشر والثاني عشر من تشرين الثاني/نوفمبر هذه السنة. كانت هذه ١١٨ ديموقراطية تظهر فيها أسس حقيقية للديموقراطية، إضافة إلى ٢١ دولة دعيت بصفة دول مراقبة. الحقيقة أن كوريا الجنوبية هي نفسها إحدى أوائل هذه الدول في حكاية نجاح الموجة الثالثة، ذلك أن رئيسها كان معارضاً خارجياً وهو الآن قائد انتخب بحرية ويستعد للتخلي عن منصبه بعد إجراء انتخابات حرة ونزيهة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تجارب العالم الإسلامي حضر عدد من الدول ذات الأكثرية الإسلامية اجتماع مجتمع الديموقراطيات في سيول، ضم أفغانستان، والجزائر، وبنجلادش، وإندونيسيا، والأردن، والكويت، ومالي، والمغرب، ونيجيريا، وقطر، وتركيا، واليمن. هذه البلدان إما ديمقراطيات أو في طريقها لأن تصبح أكثر ديموقراطية.

إن كون هذا العدد الكبير من البلدان الإسلامية قد دعي إلى سيول إما كديموقراطيات ناضجة أو مراقبة، يعكس الواقع القائل بأن تطورات واعدة تحصل حالياً عبر العالم الإسلامي. استعمل عبارة "العالم الإسلامي" مع بعض التخوّف لإدراكي للتنوع الكبير للبلدان التي يشملها هذا التعبير كما وباتساعها الجغرافي - من المغرب إلى إندونيسيا ومن كازاخستان إلى تشاد. لكن، ضمن هذا التنوع، ثمة بعض النقاط المشتركة: أي أن المسلمين، متى تتوفر لهم الفرص، يتبنّون القواعد الديموقراطية ويختارون الديموقراطية.

لقد أشار الرئيس بوش إلى هذه النقطة عندما خاطب خريجي كلية وست بوينت العسكرية في الأول من حزيران / يونيو ٢٠٠٢ إذ قال: "عندما تتعلق القضية بالحقوق والاحتياجات المشتركة للرجال والنساء، ليس هناك صدام حضارات. فمتطلبات الحرية تنطبق تماماً على أفريقيا وأميركا اللاتينية وكل العالم الإسلامي. فشعوب الدول الإسلامية تريد وتستحق الحريات ذاتها مثلها مثل الشعوب في كل بلد. ومن واجب حكوماتهم الإصغاء إلى آمالهم."

تدلّ تجاربُ الإصلاحات الديناميكية التي تجري حالياً في العديد من أجزاء العالم الإسلامي أن الديموقراطية والإسلام متلائمان. وأود أن ألقي الضوء على بعض هذه التجارب معترفاً بأن هذا البعض أبعد من أن يشكل لائحة كاملة.

ففي المغرب، أدلى المواطنون بأصواتهم في أيلول/سبتمبر الماضي في أكثر انتخابات حرية ونزاهة وشفافية في تاريخ البلاد، وكوّنوا مجلساً نيابياً منوعاً.

في تشرين الأول/أكتوبر، أدلى مواطنو البحرين بأصواتهم لأول مرة منذ ثلاثين سنة لانتخاب مجلس نيابي جديد. وكانت هذه المرة الأولى أيضاً التي تترشح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيها نساء لمراكز قومية. وفي الأسبوع الماضي، أعلن سلطان عمان قابوس عن منح حق التصويت في انتخابات مجلس الشورى إلى جميع البالغين من سكان البلاد. وفي مطلع هذا العام، أعلنت قطر عن دستور جديد استعداداً للانتخابات النيابية القادمة. ولا تفاخر اليمن اليوم بنظام متعدد الأحزاب وبمجلس نيابي منتخب فحسب، بل وأيضاً بالانتخاب المباشر للمسئولين في البلديات، وبدءاً من سنة ١٩٩٩، بالانتخاب المباشر لرئيس الجمهورية. بعد حرب الخليج، أعادت الكويت الانتخاب المباشر لمجلسها الوطني؛ ويستعد الكويتيون حالياً للجولة الثانية من الانتخابات البرلمانية المقرر إجراؤها في الصيف القادم.

وفي أماكن أخرى، نشاهد عدة عناصر للديموقراطية في بلدان ذات أكثرية إسلامية مثل ماليزيا وإندونيسيا. ونسمع أصواتاً إسلامية مشجعة تدعو إلى التعدّدية والديموقراطية، بدءاً من محمد طالبي في تونس إلى نورشوليش مجيد، على مسافة نصف العالم، في إندونيسيا، البلد الإسلامي الأكثر سكاناً. تلك هي فقط بعض الأمثلة عن التّخمرّ الديموقراطي الذي يحصل في أماكن أخرى من العالم الإسلامي، من ألبانيا إلى جيبوتي ومالي والنيجر والسنغال وسيراليون. هذا النقاش لا زال بعيدا عن الحل تماما كما لا زال أمام التجارب التي ناقشتها طريقاً طويلة قبل أن تتثبت فيها الديموقراطية. لكن لا يجوز إغفال التقدم الكبير الذي يحصل.

وعلينا أيضاً الاعتراف بأن المسلمين يشاركون بصورة كاملة وبنشاط في الحياة المدنية للبلدان الديموقراطية حيث لا يشكلّون أكثرية السكان. إن حوالي أربعين بالمئة من المسلمين يعيشون كأقليات بما في ذلك عدة ملايين هنا هم جزء هام ونشيط من الديموقراطية الأميركية. ففي بلدان مثل الهند وفرنسا وجنوب أفريقيا، يدحض المسلمون الإشاعات الكاذبة بأن طريقة الحياة الإسلامية لا تتلاءم مع المشاركة الديموقراطية.

كما أننا ندرك إمكانيات قيام ديمقراطيات أكثر في مناطق أخرى من العالم الإسلامي. دعوني أذكر ثلاثة أمثلة فقط. ففي أوساط الشعب الفلسطيني، نستمع إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مطالبة قوية بالمؤسسات الديموقراطية. وتعمل الولايات المتحدة إلى جانب الاتحاد الأوروبي والبلدان العربية لمساعدة الفلسطينيين في إيجاد إطار عمل دستوري جديد وديموقراطية فعّالة. لقد أشار الرئيس بوش إلى "إن نهاية الاحتلال وقيام دولة فلسطينية مسالمة وديموقراطية قد تبدو بعيدة، لكن أميركا وشركاءنا حول العالم على استعداد للمساعدة، لمساعدتكم على جعل ذلك ممكناً بأقرب وقت ممكن. فإذا كانت الحرية قادرة على أن تزدهر في الأراضي المضطربة للضفة الغربية وغزة، فإنها سوف تلهم ملايين الرجال والنساء حول العالم من المرهقين أيضاً بالفقر والقمع، والمؤهلين بدورهم للفوائد التي تؤمنها الحكومة الديموقراطية."

ونرى في إيران مطالبة شعبية بالإصلاحات على نطاق واسع سوف ينتج عنها، على ما نأمل، مزيداً من الديموقراطية ومزيداً من الانفتاح. فشعب إيران يطمح إلى نفس الحريات وحقوق الإنسان والفرص كما الشعوب الأخرى حول العالم. الشعب الإيراني يصارع مسائل صعبة تدور حول كيفية بناء مجتمع حديث للقرن الحادي والعشرين يكون في نفس الوقت مسلما، ومزدهرا وحراّ. ففي الانتخابيين الرئاسيين الإيرانيين الأخيرين، وفي حوالي ستة انتخابات برلمانية ومحلية، صوتت الأكثرية العريضة للشعب الإيراني لمصلحة الإصلاح السياسي والاقتصادي.

ويستحق العراق أيضاً أن نذكره في هذا السياق. أميركا صديق لشعب العراق الموهوب ولطموحاته. مطالبنا موجهة فقط إلى النظام الذي يستعبد هذا الشعب ويهدد باقي العالم. عندما سيتحرر العراقيون من ثقل القمع، سوف يصبحون قادرين على المشاركة في تقدم وازدهار عصرنا. الولايات المتحدة وحلفاؤنا على استعداد لمساعدة الشعب العراقي على إنشاء مؤسسات الحرية في عراق حر وموحّد.

نقص الحرية والديموقراطية في العالم الإسلامي على الرغم من هذه الإشارات المشجعة، ينبغي علينا الاعتراف، واقعياً، بوجود نقص في الحريات في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العديد من أجزاء العالم الإسلامي، وعلى الأخص في العالم العربي. يدعم آدريان كراتنتسكي، رئيس مؤسسة فريدوم هاوس بالوثائق في نشرة المؤسسة تحت عنوان "تقرير وضع الحرية ٢٠٠١-٢٠٠٢ " الفجوة الخطيرة بين مستويات الحرية والديموقراطية في البلدان الإسلامية - على الأخص في قلبها العربي - وفي باقي أنحاء العالم."

الفجوة الديموقراطية بين العالم الإسلامي وباقي أنحاء العالم هائلة. إن واحدة فقط من أصل كل أربع دول ذات أكثرية إسلامية لديها حكومات منتخبة بطريقة ديموقراطية. علاوة على ذلك، تزداد الفجوة اتساعاً بين البلدان الإسلامية وباقي العالم. خلال السنوات العشرين الأخيرة، تمدّدت الحرية والديموقراطية في بلدان في أميركا اللاتينية، وأفريقيا، وأوروبا، وآسيا. وعلى العكس من ذلك، لا يزال العالم الإسلامي يصارع. صحيح أن عدد البلدان "الحرّة"، حسب معايير فريدوم هاوس قد ازداد حول العالم بمعدل ستة وثلاثين بلداً تقريبا خلال السنوات العشرين الماضية، لكن لم يكن بين تلك البلدان أي بلد ذي أكثرية إسلامية.

قد يقول البعض إن هذه الأحكام أحكام غربية وهي بالتالي غير نزيهة. لهؤلاء، أشير إلى وثيقة صَدَرت في الصيف الماضي وأعدّها فريق من أكثر من ٣٠ باحثاً عربياً، أي إلى تقرير التنمية الإنسانية العربية الذي كتب برعاية برنامج الأمم المتحدة للتنمية والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والذي يصوّر عالما عربيا لا يساير الركب العالم بالنسبة إلى المناطق الأخرى في أمور أساسية تشمل الحريات الفردية، وتعزيز مكانة المرأة، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. إنه يصف شعوباً غير مزدهرة وغير حرة. ويشير إلى اتجاهات مقلقة، مثل ازدياد أعداد الشباب مضافة إليها البطالة بينهم التي تكاد تبلغ حوالي ٤٠ بالمائة في بعض الأماكن وتنذر بظروف اجتماعية قابلة للانفجار. يواجه العالم العربي مشاكل جدّية يمكن معالجتها فقط على أيدي أنظمة سياسية أكثر مرونة وديموقراطية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنهاء الاستثناء الديموقراطي لا يمكن للمسلمين لوم الولايات المتحدة على افتقار بلدانهم إلى الديموقراطية عندهم. لكن يبقى أن الولايات المتحدة تلعب دوراً كبيراً على المسرح الدولي كما أن جهودنا الرامية إلى تشجيع الديموقراطية في العالم الإسلامي قد كانت أحيانا عرجاء وغير كاملة. الحقيقة أن الحكومات الأميركية المتعاقبة، الجمهورية والديموقراطية على حد سواء، لم تجعل من الديموقراطية أولوية بشكل كاف في العديد من أجزاء العالم الإسلامي، وعلى الأخص، في العالم العربي.

في بعض الأحيان، تجنّبت الولايات المتحدة النظر بتعمّق في الأعمال الداخلية للبلدان لصالح تأمين دفق متواصل من النفط، ولكبح التوسع السوفيتي والعراقي والإيراني، وللتعامل مع القضايا المتصلة بالنزاع العربي - الإسرائيلي، ومقاومة الشيوعية في شرق آسيا، أو تأمين حق الحصول على القواعد لقواتنا العسكرية. وهكذا، ولإهمالنا تقديم المساعدة لتعزيز المسار التدريجي نحو الديموقراطية في العديد من علاقاتنا الهامة - بخلقنا ما يمكن تسميته "الاستثناء الديموقراطي" - فاتتنا فرصة مساعدة تلك البلدان لكي تصبح أكثر استقراراً، وأكثر ازدهاراً، وأكثر سلاماً، وأكثر تكيّفاً مع ضغوطات عالم في طور التعولم.

ليس من مصلحتنا - أو من مصلحة الشعوب التي تعيش في العالم الإسلامي - أن تواصل الولايات المتحدة هذا الاستثناء. سوف تتعامل السياسة الأميركية بنشاط أكبر لمساندة الاتجاهات الديموقراطية في العالم الإسلامي أكثر من أي وقت مضى. هذه هي رسالة الرئيس الواضحة في وثيقة استراتيجية الأمن القومي.

سوف نفعل ذلك مع علمنا التام أن الديموقراطيات غير كاملة. إنها معّقدة. والحقيقة، أن القادة في بعض الدول الإسلامية يقابلون بين الأنظمة الديموقراطية وبين أنظمتهم، وهي أنظمة أكثر نظاماً، ويشيرون بارتياح إلى الاستقرار الظاهري التي تؤمنه أنظمتهم. لكن الاستقرار القائم على السلطة وحدها استقرار وهمي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتستحيل استدامته في نهاية المطاف. لقد شاهدنا في إيران ورومانيا وفي ليبيريا ماذا حصل عندما تنفجر "طنجرة الضغط". فالأنظمة الاستبدادية الجامدة لا يمكنها الصمود بوجه صدمات التغيرات الاجتماعية والسياسية أو الاقتصادية، خصوصاً من النوع أو بالوتيرة التي يتميز بها العالم المعاصر.

الدور الذي تلعبه الديموقراطية في تأمين الاستقرار الداخلي بيّنته بوضوح محادثة أجريتها مع مجموعة إسلامية مؤخراً خلال زيارتي للهند. فقد شرحوا لي الأسباب التي تقف وراء غياب الإرهاب لدى المجتمعات الإسلامية الكبيرة في الهند. كان تفسيرهم أن الهند بلد ديمقراطي، وأن المسلمين يشاركون فيه بالكامل، وفي المناسبات التي لا يشاركون فيها، لهم الحق الكامل في اللجوء إلى النظام القضائي.

عندما نجعل من العملية الديموقراطية أولوية كبرى في تعاملنا مع العالم الإسلامي، علينا قبل أي شيء آخر، على غرار الأطباء، احترام حلف أبقراط وعدم التسبب بالإيذاء أولاً. فالحماس غير المنضبط لتحسين العالم قد يجعله أسوأ. علينا القيام بهذه المهمة بتواضع مُتفهمين أن رهان الآخرين أكبر من رهاننا. ففي الوقت الذي تتحرك فيه شعوب العالم الإسلامي نحو تطور أكثر انفتاحاً وديموقراطية، يتوجب علينا ليس فقط تشجيعهم ومساعدتهم، بل نحتاج أيضاً إلى الإصغاء إلى الشعوب المعنية مباشرة بشكل أكبر.

الدوافع الأميركية: قد يتساءل الناس عن التوقيت، وبالطبع عن الدوافع، لإثارة هذه القضية في هذا الوقت بالذات. وقد يشير البعض إلى أن حديثي هذا المساء يأتي وسط جهود دولية مضاعفة لجعل العراق ينصاع لقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وقد يرى آخرون في كلامي حول الديموقراطية إما محاولة لإخفاء مصلحتنا في تغيير النظام في العراق، أو كإشارة لعدائنا تجاه شعوب العالم الإسلامي. وبالطبع، سوف يذهب البعض إلى حد القول إن الحديث الأميركي حول الديموقراطية يهدف إلى قلب الأنظمة عبر الشرق الأوسط، أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سوف يستخدم كعملية تأديبية ضد الذين ينظر إليهم كأعداء لأميركا. اسمحوا لي أن أتناول بعض هذه المخاوف.

أولاً، ليس هناك برنامج عمل مخفي. إن الأساس المنطقي الأميركي في تشجيع الديموقراطية في العالم الإسلامي هو في *نفس الوقت* لمصلحتنا ولمصلحة الغير. فالمزيد من الديموقراطية في البلدان ذات الأكثرية الإسلامية هو أمر جيد بالنسبة للشعوب التي تعيش هناك. لكنه أيضاً جيد بالنسبة للولايات المتحدة. فالبلدان المبتلاة بالجمود الاقتصادي والافتقار إلى فرص العمل، وبالأنظمة السياسية المغلقة، وبالسكان المتكاثرين بسرعة، تغذي العداوة لدى مواطنيها. ويمكن أن تكون تلك المجتمعات، كما تعلمّنا من التجربة القاسية، أرضاً خصبة لتربية المتطرفين والإرهابيين الذين يستهدفون الولايات المتحدة بحجة دعمها للأنظمة التي يعيشون في ظلها. الأمر الآخر الذي له أهمية معادلة، هو أن الهوة المتزايدة بين العديد من الأنظمة الإسلامية ومواطنيها قد تعطّل قدرة تلك الحكومات في التعاون حول قضايا ذات أهمية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة. هذه الضغوطات الداخلية سوف تحدّ كثيراً من قدرة العديد من أنظمة العالم الإسلامي على توفير العون، أو حتى الموافقة على الجهود الأميركية الرامية إلى مكافحة الإرهاب أو التعامل مع انتشار أسلحة الدمار الشامل.

خلال الأشهر القليلة الماضية، قمت بزيارة لمصر وباكستان والعديد من دول الخليج، من بينها العربية السعودية، وسنحت لي الفرصة لمناقشة هذه القضايا مع أناس ينتمون إلى تشكيلة واسعة من الخلفيات والاتجاهات. كان أكثر ما صدمني عدد الذين يشعرون بالإحباط بالنسبة لتقصير الولايات المتحدة في التحدث جهاراً باسم الديموقراطية. فسكوتنا، في نظرهم، يعني الموافقة الضمنية على الحالة الراهنة. ليس هذا هو الواقع دون ريب، لكن محادثاتي أظهرت، عندما يتعلق الأمر بتنفيذ السياسة الخارجية، كيف يكون خطر الامتناع عن العمل مُساوٍ لخطر القيام بعمل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قد يقول البعض إن الولايات المتحدة على استعداد فقط لمساندة النتائج الانتخابية التي ترضيها. ليس الأمر كذلك. الولايات المتحدة سوف تساند العمليات الديموقراطية حتى إذا كان الذين منحوا السلطة لا يختارون سياسات نحبذها. لكن دعوني أوضح هذه النقطة. علاقات الولايات المتحدة مع الحكومات، حتى لو انتخبت بنزاهة، سوف تتوقف على كيفية معاملة هذه الحكومات لشعوبها وكيف تتصرف على المسرح الدولي بالنسبة لقضايا تبدأ من الإرهاب مروراً بالتجارة وعدم انتشار المخدرات.

نحن ندرك تماماً عندما نشجع الديموقراطية، أن التحرك المفاجئ نحو الانتخابات الحرة في البلدان ذات الأكثرية الإسلامية قد يأتي بالأحزاب الإسلامية إلى الحكم. لكن السبب لا يكمن في كون الأحزاب الإسلامية تتمتع بثقة السكان الساحقة بل لأنها في الغالب المعارضة المنظمة الوحيدة للحالة الراهنة التي تجدها أعداد متزايدة من الناس غير مقبولة. بعد الذي قلته، دعونا لا نترك مجالاً لسوء الفهم: الولايات المتحدة لا تعارض الأحزاب الإسلامية تماماً كما لا تعارض الأحزاب المسيحية أو اليهودية أو الهندوسية في الديموقراطيات ذات الأسس العريضة. إن طريقة استقبالنا لنتائج انتخابات الشهر الماضي في تركيا تبرهن بوضوح على هذه النقطة. لقد عبّر عن ذلك رئيس وزراء تركيا، عبد الله غول، على أحسن ما يرام، عندما قال بعد إدلاء القَسَم قبيل تسلمه منصبه: "نريد أن نثبت أن الهوية الإسلامية يمكن أن تكون ديموقرطية، ويمكن أن تكون شفافة، ويمكن أن تتماشى مع العالم المعاصر." والأميركيون على ثقة بأن الشعب التركي قادر على إثبات كل هذا ونريد أن نساعدهم في ذلك.

وهناك من سيقول إن الديموقراطية مستحيلة في العالم الإسلامي لأنه لديه القليل من التاريخ أو التقاليد الديموقراطية. وهذا قول أرفضه أيضاً؛ ذلك أنه، حتى زمن غير بعيد، كان عند القليل من أجزاء أخرى من العالم بعض التجارب الديموقراطية. هذا الادعاء يعكس ما وصفه الرئيس بوش بأنه "تعصب مقنع يقوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أدنى التوقعات الممكنة". فكما قال مرة سفير عُماني سابق لدى واشنطن: "إن خنق حرية التعبير في تجربتنا القومية، وحرمان شعبنا من الانتخابات الحرة، أو إدارة شئوننا دون تأمين الإجماع بشأنها، ومنع النشاط السياسي السلمي عن جماهيرنا، ليست هذه خصوصية عربية أو من شروط العقيدة الإسلامية."

دروس تعلّمناها سوف تعمل الولايات المتحدة بقوة أكثر من أي وقت مضى على تشجيع الديموقراطية بالشراكة مع شعوب وحكومات العالم الإسلامي.

إحدى آليات هذا الهدف سوف تكون شراكة جديدة سيعلن عنها في الأشهر القادمة الوزير باول. وسوف تركز هذه المبادرة على تشجيع التطور في ثلاثة مجالات حساسة بالنسبة للتقدم في العالم العربي: الإصلاحات الاقتصادية، والتعليمية، والسياسية. سوف نؤمن موارد جديدة لهذه الجهود علاوة على المليار دولار أميركي التي ننفقها سنوياً في المساعدة الاقتصادية في العالم العربي. وفي حين سنموّل مشاريع جديدة هادفة إلى توسيع المشاركة السياسية، ومساندة المجتمع المدني وحكم القانون، سوف تُوجّهنا ثمانية دروس تعلمناها في أنحاء أخرى من العالم.

أولاً، هناك عدة نماذج للديموقراطية. ليس على العملية الديموقراطية اتباع نموذج واحد؛ والحقيقة أنه لا يوجد نموذج ديمقراطي واحد لتقليده. فبدءاً من الملكيات الدستورية إلى الجمهوريات الفدرالية وإلى الأنظمة البرلمانية من كل الألوان، يظهر التاريخ تنوع الديموقراطية. فهناك فوارق هائلة عبر العالم الإسلامي ويجب تكييف الأنظمة السياسية لكي تتلاءم مع بيئتها المحلية.

ثانيا، الانتخابات لا تصنع الديموقراطية. فكما رأينا في انتخابات العراق، حيث نال صدام حسين مئة بالمئة من الأصوات، تحاول الأنظمة الأكثر وحشية غالباً إضفاء الصفة الشرعية على حكمها من خلال انتخابات صورية. من هنا، وجب على الانتخابات لكي تعبر بصدق عن رغبات الشعب، أن تكون مندمجة مع مجتمعات توجد فيها مؤسسات مدنية قوية وناضجة وتوزيع للسلطة. تجربة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البحرين تصوّر هذه النقطة: فقد جرت الانتخابات هناك بعد أن اتخذت خطوات لإطلاق سراح السجناء السياسيين، وألغيت السلطات الاعتباطية من الدستور، وتم إصلاح القضاء والسماح لوسائل الإعلام بالعمل بصورة مستقلة. وبالمقابل، ألقت تجربة الجزائر، سنة ١٩٩١، الضوء على خطورة إجراء الانتخابات في غياب مجتمع تعدّدي.

ثالثاً، الديموقراطية تحتاج إلى وقت. إن زرع الأفكار وتطوير العملية السياسية والمؤسسات والتقاليد يحتاج إلى الوقت. فقياس العملية الديموقراطية لا يقاس بالأسابيع أو الأشهر بل بالسنين والعقود والأجيال. فكما لاحظت مؤخراً كونداليزا رايس، مستشارة الأمن القومي: "استناداً إلى تاريخنا نحن، نعرف في الولايات المتحدة أن علينا أن نكون صبورين ومتواضعين. فالتغيير، حتى عندما يكون المقصود منه الأحسن - كثيراً ما يكون صعباً. والتقدم كثيراً ما يكون بطيئاً".إن ديموقراطيتنا أبعد من أن تكون مثالية، وهي منفتحة دائماً للتحسين، كما دلت على ذلك التعديلات التي أدخلت على دستورنا وكذلك الخطوات التي اتخذت لمنح الأميركيين من أصول إفريقية والنساء كامل حقوق المواطنة.

رابعاً، الديموقراطية تعتمد على شعب مطّلع ومتعلم. التعليم يمكّن الشعب من التعرف إلى حقوقه وإلى كيفية ممارستها. فالشعوب المتعلمة القادرة على اتخاذ قرارات تستند إلى معلومات تساعد الديموقراطية على التجذّر. لقد حققت البلدان في العالم الإسلامي تقدماً بارزاً في تعزيزها القراءة والكتابة، لكنها قامت بجهود أقل في إيجاد شعوب واسعة الاطلاع والقراءة. يلاحظ المعلقون المسلمون أن الأنظمة التعليمية لا تُعِدّ الطلاب للنجاح في القرن الواحد والعشرين. يُحدد عبد الحميد الأنصاري، عميد كلية الشريعة في جامعة قطر، المشكلة بصورة مباشرة تماماً: "إن قسماً هاماً من خطابنا التعليمي منقطع عن العلوم الحديثة وهو قائم على نظرة ذات بعد أحادي، مما يخلق عقلية مقفلة ومنحى سهلاً باتجاه التعصّب. فهي تزرع مفاهيم خاطئة تتعلق بالنساء وبالأقليات الدينية أو الإثنية؛ وتسيطر عليها أساليب الحفظ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غيباً والتكرارية." التعليم يعني أكثر بكثير من مجرّد الذهاب إلى المدرسة. فالديموقراطيات المزدهرة تتطلب تقاليد المساءلة وليس الحفظ عن ظهر قلب.

خامساً، الوسائل الإعلامية المستقلة والمساءلة أمور ضرورية. للوسائل الإعلامية دور حسّاس تلعبه كعنصر أساسي في المجتمع المدني. تكون هذه الوسائل، في الديموقراطيات، حرة ولا تسيطر عليها الدولة. وهذا يسمح بظهور آراء وأفكار ووجهات نظر متعددة يجري نشرها في ساحة سوق الأفكار. إن أفضل حماية ضد الأفكار التي تنشرها وسائل الإعلام ولا يوافق عليها الناس هو نشر أكبر عدد من وجهات النظر بدلاً من إسكات الأصوات الإعلامية. على وسائل الإعلام المستقلة، في الوقت نفسه، مسئوليات كما على الحكومات والمواطنين مسئوليات. فعليها دعم المعايير المهنية والتشديد على تقارير تكون مستندة إلى حقائق. وعليها التثقيف وليس فقط الدعوة للقضايا.

سادساً، النساء عنصر حيوي في الديموقراطية. لا يمكن أن تنجح البلدان إذا حُرم نصف سكّانها من الحقوق الديموقراطية الأساسية. فالحقوق التي تتمتع بها النساء هي عامل حاسم أساسي في الحياة النابضة لأي مجتمع. فالمجتمعات التي يحكمها الرجال والتي تلعب فيها النساء دوراً تابعاً لدور الرجال هي أيضاً مجتمعات يلعب فيها الرجال دوراً تابعاً لدور رجال آخرين، حيث يُحال مبدأ الجدارة إلى المقاعد الخلفية وتسبقه العلاقات الشخصية والمحسوبية ومحاباة الأقرباء.

سابعاً، الإصلاحات السياسية والاقتصادية تقوي بعضها البعض. يساعد تحديث الاقتصاد القائم على قوى السوق في إدخال عناصر الديموقراطية: حكم القانون، وصنع القرار بشفافية، وحرية تبادل الأفكار. ويصح قول الشيء نفسه عن عناصر الديموقراطية التي بدورها تدعم وتُسرّع النمو الاقتصادي. ولا يحتاج ذلك لأن يكون مساراً متتابعاً كمثل تنمية الاقتصاد التي يتبعها التحرير السياسي. فعندما تسير الحرية السياسية والحرية الاقتصادية يداً بيد، تقوم بتقوية بعضها البعض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتوفر الديموقراطية للشباب طريقاً للتعبير عن طموحاتهم. فالديموقراطية هامة بنفس الدرجة إذ إنها تعزز النمو الاقتصادي بحيث يمكنه توفير الأمل للشباب حين يقدم لهم قطعة من الكعكة الاقتصادية المتنامية.

ثامناً، في حين يمكن تشجيع الديموقراطية من الخارج، لكن الأفضل بناؤها من الداخل. فالديموقراطية عملية يدفعها بالأساس أعضاء المجتمع، أو مواطنوها. وهم فقط يمكنهم تعزيز روح وممارسة التسامح بحيث يتأمن الاحترام لحقوق الأقليات والأفراد. وإذا حاولت الولايات المتحدة أو أي فريق آخر فرض المظاهر الخارجية الديموقراطية على بلد ما، فإن النتيجة سوف تكون غير ديموقراطية وغير قابلة للاستدامة. إن الطريقة الوحيدة لتجذّر الديموقراطية هو تركها تنبت في الداخل.

برنامج العمل الديموقراطي وما بعده ملاحظاتي هذا المساء مُكَرسّة بكل وضوح لمسألة الديموقراطية. غير أن الديموقراطية يمكن أن تكون مظهراً واحداً فقط لسياسة الولايات المتحدة الخارجية. ففي الوقت الذي تقوم فيه قوى الديموقراطية بعمل سحرها على المدى البعيد، نبقى بحاجة إلى التعامل مع قضايا هامة أخرى تصل إلى مكاتبنا كل يوم.

نحتاج إلى مواصلة العمل لأجل وضع حدّ للنزاعات الملتهبة بين إسرائيل والعالم العربي عن طريق تحقيق الرؤيا البعيدة للرئيس بوش حول دولتين ديمقراطيتين، إسرائيل وفلسطين، تعيشان جنباً إلى جنب بسلام وأمن خلال أقل من ثلاث سنوات. كذلك، سوف تواصل الولايات المتحدة العمل للتأكد من أن العراق قد تم تجريده من سلاحه، وأن نزاهة الأمم المتحدة لم تمس. وسوف نواصل أيضاً مساعدة أفغانستان والشعب الأفغاني بعد أن تم تحرير بلدهم. ونحن على استعداد لمساعدة الهند وباكستان - يعيش ضمن حدودهما ٣٠٠ مليون مسلم- على إقامة علاقات طبيعية أكثر بينهما بما في ذلك إيجاد حل مقبول من الطرفين لقضية كشمير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تقع مهمة تعزيز الديموقراطية في العالم الإسلامي على عاتق الولايات المتحدة وحدها. سوف نعمل سوياً مع حلفاء ديموقراطيين كأوروبا واليابان. وزيادة على ما نفعله كحكومات، هناك دور حاسم قد تلعبه المنظمات غير الحكومية، والمؤسسات والأفراد. وهناك دور هام مساوٍ سوف تلعبه مجتمعات الأعمال الأميركية التي يمكن أن يكون لها أثر إيجابي هائل من خلال استثماراتها، وممارساتها في التوظيف، ودعمها للتعليم والتدريب.

كما أننا لا ننطلق من العدم. فحكومة الولايات المتحدة تتعامل بعمق وبعدة طرق في مساعدة العديد من البلدان ذات الأكثرية المسلمة في تطوير مؤسساتها الديموقراطية وبنيتها الاجتماعية التحتية الضرورية لكي تتمكن الديموقراطية من التجذر. لقد شجعنا طيلة سنوات، المبادلات التعليمية والثقافية مع شعوب ومؤسسات في العالم الإسلامي لأجل تعزيز مكوّنات المجتمع المدني والحكومات التي تشارك شعوبها. ونساعد الطلاب على تطوير أدوار جديدة لهم كمواطنين من خلال برامج تدريب المدرسّين وكذلك عبر عملنا الخاص بتعليم اللغة الإنجليزية. وتعمل الولايات المتحدة أيضاً بقوة لتشجيع الازدهار الاقتصادي كمحّرك للتغيير الديموقراطي. فالعضوية في منظمة التجارة العالمية تشجع التحرر الاقتصادي والسياسي. والولايات المتحدة مستعدة لتشجيع عملية الاندماج في هذا المجال وهي تدرس إمكانيات عقد اتفاقات للتجارة الحرة كتلك التي أنجزتها مع الأردن والتي تبحثها مع المغرب.

وتعمل الولايات المتحدة أيضاً عبر تشكيلة واسعة من البرامج - بدءاً من برنامج الزوار الدوليين، وصولاً إلى تقديم المنح لمؤسسات التعليم المحلية - بهدف تشجيع التطوير إنتاج الأسس لبناء ديموقراطية تشمل صحافة محترفة متوازنة ومتحررة من رقابة الدولة، ومؤسسات غير حكومية نشطة، وقضاء مستقل. وتعمل المؤسسات الأميركية الممولة من الحكومة مثل المعهد الديموقراطي القومي والمعهد الجمهوري الدولي في العديد من البلدان ذات الأكثرية المسلمة للمساعدة في تعزيز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤسسات الديموقراطية. لقد خدم الأميركيون كمراقبين في العالم المتحّول نحو الديموقراطية - بما في ذلك العالم الإسلامي - للمساعدة في تأمين انتخابات حرة ونزيهة. وتمول الولايات المتحدة أيضاً قسماً هاماً من نشاطات منظمة الأمن والتعاون لأوروبا في بلدان آسيا الوسطى والقوقاز المسلمة. وتعمل منظمة الأمن والتعاون لأوروبا، بدءاً من تطوير قواعد انتخابية نموذجية إلى تعزيز دور مراقبي حقوق الإنسان وصولاً إلى التدريب الاحترافي للوسائل الإعلامية المستقلة، وذلك لدعم الديموقراطية في تلك البلدان التي استقلت حديثاً.

طريق الديموقراطية طويل، ويعود إلى الشعوب المعنية اجتيازه بأنفسهم. لقد مشينا في هذا الطريق لمدة ٢٢٠ سنة خلت ولم نصل بعد إلى هدفنا الأخير الذي هو الديموقراطية المثالية.

إلا أن كل خطوة نخطوها تأتي بفوائد - للمواطنين، وللبلدان، وللمناطق، وللعالم. غير أنه لا يزال العديد من المسلمين يسيرون في المؤخرة. يجب أن ينتهي هذا. نحن ندرك أن الولايات المتحدة قادرة ويتوجب عليها أن تفعل أكثر؛ إن تعزيز الديموقراطية، بما في ذلك داخل العالم الإسلامي، هو أولوية بالنسبة للرئيس بوش ولوزير الخارجية باول. نحن الآن بصدد دراسة ما نقوم بعمله حالياً لنتمكن من المساعدة في هذه العملية بطريقة أفضل وأكثر فعالية. وسوف نطلق خلال الأسابيع والأشهر القادمة برامج جديدة مثل المبادرة الأميركية - الشرق أوسطية الهادفة إلى التعاون مع الحكومات والشعوب في العالم الإسلامي.

يبقى أن قرار التحرك باتجاه مسار الديموقراطية يعود، في نهاية المطاف، إلى شعوب العالم الإسلامي. إن من مصلحتهم ومصلحتنا أن يقوموا بذلك. وهذه هي أيضاً الطريقة الوحيدة التي تستطيع فيها هذه المجتمعات، شأنها شأن المجتمعات الأخرى في العالم، الاستفادة على أحسن وجه وإلى أبعد حد من الطاقات الكامنة لدى شعوبها، وتحقيق مستقبل لها يتميز بمزيد من الحرية، ومزيد من السلام، ومزيد من الازدهار.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهدف هو الديموقراطية الإسلامية

بقلم ريتشارد هاس

تحول في الأولويات في واشنطن

(مقالة رأي نُشرت في صحيفة إنترناشنال هيرالد تربيون في ٢٠٠٢/١٢/١١)

واشنطن- رسم تقرير التنمية البشرية العربية، الذي وضع لصالح برنامج الأمم المتحدة للتنمية والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، صورة عالم عربي متخلف عن المناطق الأخرى في مجالات الحرية الفردية، وتمكين النساء، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وأشار التقرير إلى توجهات مقلقة، كتضخم في عدد الشباب يرافقه بطالة بين الشباب تصل إلى حوالى أربعين في المائة في بعض الأماكن، مما ينذر بظهور أوضاع اجتماعية تحمل في طياتها احتمال التفجر.

ويواجه العالم العربي مشاكل خطيرة لا يمكن معالجتها إلا من خلال أنظمة سياسية أكثر ديموقراطية ومرونة.

ولا يستطيع المسلمون الإنحاء باللائمة على الولايات المتحدة لافتقارهم إلى الديموقراطية.

ومع ذلك، فإن الولايات المتحدة تلعب دوراً كبيراً على المسرح الدولي، وقد اتصفت جهودها للتشجيع على الديموقراطية عبر العالم الإسلامي أحياناً بالتعثر وعدم الاكتمال. ولم تعط الحكومات الأميركية المتعاقبة، الديموقراطية والجمهورية على حد سواء، إقامة الديموقراطية أولوية كافية في (سياساتها في) الكثير من أنحاء العالم الإسلامي، وخاصة في العالم العربي.

وقد تجنبت الولايات المتحدة في بعض الأحيان تمحيص التشكيلة الداخلية وطريقة عملها في بعض البلدان بغية ضمان تدفق ثابت للبترول، أو احتواء التوسع السوفيتي والعراقي والإيراني، أو معالجة مشاكل متعلقة بالنزاع العربي-الإسرائيلي، أو مقاومة الشيوعية في منطقة شرق آسيا أو ضمان الحصول على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حقوق بإقامة قواعد للقوات المسلحة الأميركية.

وقد فاتتنا، نتيجة إخفاقنا في تعزيز سبل الديموقراطية تدريجاً في الكثير من علاقاتنا المهمة-عبر خلق ما يمكن وصفه بـ "الاستثناء الديموقراطي"-فرصة لمساعدة هذه الدول على أن تصبح أكثر استقراراً، وأكثر ازدهاراً، وأكثر هدوءا، وأكثر قدرة على التكيف مع ضغوط عالم يتجه نحو العولمة.

وليس من مصلحة الولايات المتحدة، أو المسلمين، أن تُواصل أميركا هذا الاستثناء. وستصبح السياسة الأميركية أكثر نشاطاً من أي وقت مضى في تعاطيها مع دعم التوجهات الديموقراطية في العالم الإسلامي.

وسوف نقوم بهذا ونحن مدركون تمام الإدراك لحقيقة كون الديموقراطيات غير كاملة بل تعاني من بعض العيوب والشوائب. وهي (أي الديموقراطيات) أنظمة معقدة. ويقارن زعماء بعض الدول الإسلامية بين الأنظمة الديموقراطية وأنظمتهم الأكثر نظامية، ويشيرون بارتياح إلى الاستقرار الظاهري الذي توفره تلك الأنظمة. إلا أن الاستقرار المرتكز إلى السلطة وحدها خادع ويستحيل في نهاية الأمر الإبقاء عليه. وقد شاهدنا في إيران ورومانيا وليبيريا، ما يحدث عند انفجار وعاء الضغط. ذلك أنه لا يمكن للأنظمة الفاشستية القاسية غير المرنة تحمل صدمات التغير الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي، وخاصة تلك التغيرات من النوع الذي يميز العالم الحديث أو التي تحدث بالسرعة التي تميز العالم الحديث.

ورغم ذلك، وأثناء إعطائنا إقامة الديموقراطية أولوية أكبر في تعاملنا مع العالم الإسلامي، علينا أن نمتثل كالأطباء أولاً وفوق أي شيء آخر ليمين أبقراط ولا نسبب أذى. فالحماسة المفرطة لتحسين العالم يمكن أن تجعله أسوأ.

وينبغي على الولايات المتحدة أن تقوم بهذه المهمة بتواضع، وإدراك بان المخاطر بالنسبة للآخرين تفوق المخاطر بالنسبة لنا. وينبغي علينا، أثناء تحرك الدول والشعوب المسلمة نحو مزيد من التنمية الديموقراطية المنفتحة، ألا نقوم بتشجيعها ومساعدتها فقط، بل سيكون علينا أن نصغي إلى أولئك الأكثر تأثراً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وليست هناك أي أجندة سرية. فسبب ترويج أميركا لإقامة الديموقراطية في العالم الإسلامي نابع من روح الإيثار عندها، كما أنه يخدم مصلحتها الخاصة في نفس الوقت. إن مزيداً من الديموقراطية في الدول التي يشكل المسلمون غالبية سكانها أمر حميد للشعب الذي يعيش فيها. ولكنه أمر حميد لأميركا أيضاً.

ذلك أن الدول التي تعاني من الركود الاقتصادي وعدم توفر الفرص ومن الأنظمة السياسية المنغلقة وعدد السكان المتزايد بسرعة تعزز من عزلة مواطنيها وشعورهم بالانسلاخ. وكما تعلمنا من درسنا القاسي، من الممكن أن تشكل مثل هذه المجتمعات مرتعا خصبا للمتطرفين والإرهابيين الذين يستهدفون أميركا لدعمها الأنظمة التي يعيشون في ظلها.

وبنفس الأهمية، إن اتساع الهوة بين الكثير من الأنظمة المسلمة وبين مواطنيها يحمل في طياته إمكانية تعريض قدرة تلك الحكومات على التعاون في قضايا ذات أهمية حيوية بالنسبة للولايات المتحدة للخطر. وسوف تؤدي هذه الضغوط الداخلية بشكل متزايد إلى الحد من قدرة الكثير من الأنظمة في العالم الإسلامي على تقديم المساعدة للجهود الأميركية لمحاربة الإرهاب أو وقف انتشار أسلحة الدمار الشامل، بل وحتى قبولها.

إن أميركا ستساند العمليات الديموقراطية حتى لو كان أولئك الذين يتمكنون (من السلطة نتيجة لذلك) لا يختارون سياسات تروق لنا.

ولكن علاقات الولايات المتحدة مع الحكومات، حتى لو تم انتخابها بشكل نزيه، ستتوقف على كيفية معاملتها لشعوبها وكيفية سلوكها على الساحة الدولية في ما يتعلق بقضايا تتراوح ما بين الإرهاب والتجارة وما بين حظر انتشار الأسلحة وحتى المخدرات.

وسوف تعمل الولايات المتحدة بنشاط أكثر من أي وقت مضى لتشجيع الديموقراطية ضمن شراكة مع الشعوب والحكومات المسلمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط
بناء الأمل للسنين القادمة"

خطاب وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية
كولن باول في مؤسسة التراث
(١٢ كانون الأول، ديسمبر ٢٠٠٢)

شكرا جزيلا، يا إيد لتلك المقدمة الحارة. شكرا لك ولمؤسسة التراث لدعوتي إلى هنا لكي أناقش الآمال والتطلعات التي نتقاسمها مع شعوب الشرق الأوسط.

وأود أيضا أن أرحب بضيوفنا الممتازين الآخرين من السلك الدبلوماسي، والعاملين في الكونغرس، والمنظمات غير الحكومية، والقطاع الخاص. شكرا لكم لتخصيصكم الوقت للمجيء اليوم.

وإنه لمن المناسب أن نجتمع في مؤسسة التراث. ذلك أن رؤيا المؤسسة، ببناء وطن تزدهر فيه الحرية، والفرص، والرخاء، والمجتمع المدني، هي نفس الرؤيا التي نتقاسمها مع شعوب الشرق الأوسط لبلدانها.

الشرق الأوسط هو منطقة شاسعة فائقة الأهمية للشعب الأميركي.

فالملايين منا يتعبدون في كنائس، ومساجد، ومعابد يهودية، مبشرين بالديانات العظيمة الثلاث التي ولدت في الأراضي الممتدة بين البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي.

ولغتنا وتقاليدنا حافلة بإشارات إلى بيت المقدس وبيت لحم ومكة المكرمة.

ودليل الهاتف لدينا يحمل تلك الأسماء أمثال موسافي، ليفي، وشاهين - التي تتحدث عن جذور عائلات عريقة في الشرق الأوسط.

ومزارعونا يزرعون القمح، وعمالنا يصنعون طائرات، وأجهزة كمبيوتر، ومنتجات أخرى عديدة نبيعها لدول المنطقة، بينما الأموال تتدفق من مستثمرين في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشرق الأوسط إلى بلدنا.

ومن المفجع أن آلافا من رجالنا ونسائنا ماتوا في ١١ أيلـول / سـبتمبر، ٢٠٠١، على أيدي إرهابيين ولدوا وأصبحوا راديكاليين هناك.

واعترافا منا بأهمية المنطقة، كرّسنا دمنا ومالنا لمساعدة شعوب وحكومات الـشرق الأوسط على مدى نصف قرن من الزمن وأكثر.

والحقيقة، أن سيرتي في الخدمة العامة صاغتها الأحداث هناك. فقد كـان لي امتياز أن أكون رئيس هيئة الأركان المشتركة عندما قادت الولايـات المتحـدة التحالف الدولي، بما فيه عدد كبير من الدول العربية، الذي أخرج الغزاة العـراقيين من الكويت. واليوم، كوزير للخارجية، يتطلب الشرق الأوسط قـدرا عظيمـا مـن اهتمامي.

وقد شددت سياستنا الشرق أوسطية كحكومة، على كـسب الحـرب ضـد الإرهاب، وتجريد العراق من الأسلحة، وإنهاء النزاع بين إسرائيل والفلسطينيين.

والحرب على الإرهاب لا تقتصر على الشرق الأوسط، طبعـا، غيـر أن أصدقاءنا هناك لهم مصلحة مهمة بها بوجه خاص. فقد عانى كثيـرون مـن بـلاء الإرهاب مباشرة. ويسرني أن أصدقاءنا سارعوا لمواجهة التحدي بأن منحوا حقوق إنشاء قواعد لعملية الحرية المـستديمة فـي أفغانـستان، ومبـادلتهم المعلومـات الاستخباراتية وتلك المتعلقة بتنفيذ القـانون، واعتقـالهم إرهـابيين مـشتبها بهـم، وفرضهم قيودا على التمويل الإرهابي.

وعلينا أيضا، مع دول الشرق الأوسط، ومع أصدقائنا وحلفائنـا، ومجتمـع الدول، أن نعالج أيضا الخطر الجسيم والمتنامي الذي يشكله نظـام صـدام حـسين العراقي. وقد أعطى مجلس الأمن الدولي، بموافقته الإجماعية على القـرار ١٤٤١، العراق فرصة أخيرة للوفاء بالتزاماته. فالنظام العراقي يمكنه إما أن ينزع أسـلحته، أو أنه سيجرّد منها. الخيار خيارهم-- لكنه لا يمكن أن يؤجل بعد الآن.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولدينا أيضا اهتمام قومي عميق وثابت بإنهاء النزاع الإسرائيلي-الفلسطيني. ونحن نعمل مع أصدقائنا في المنطقة ومع المجتمع الدولي، لتحقيق سلام دائم يرتكز على رؤيا الرئيس بوش لدولتين تعيشان جنبا إلى جنب، في سلام وأمن. وهذا السلام سيتطلب من الفلسطينيين قيادة جديدة ومختلفة، ومؤسسات جديدة، ونهاية للإرهاب والعنف. وإذ يحقق الفلسطينيون تقدما في هذا الاتجاه، سيكون مطلوبا من إسرائيل أيضا أن تجري خيارات صعبة، بما فيها إنهاء جميع أوجه النشاط المتعلق بالاستيطان، بصورة تتمشى مع تقرير ميتشل.

وكما قال الرئيس بوش، إنه بجهد مكثف من قبل الجميع، سيكون إيجاد دولة فلسطينية قابلة للحياة أمرا ممكنا في عام ٢٠٠٥.

إن هدفنا النهائي هو تسوية عادلة وشاملة عربية-إسرائيلية، تكون فيها جميع شعوب المنطقة مقبولة كجيران، تعيش في سلام وأمن.

وقد كانت هذه التحديات ولا تزال في مقدمة سياسة الولايات المتحدة الشرق أوسطية, ولسبب وجيه. فكل منها يؤثر تأثيرا عميقا على مصالحنا القومية، وعلى مصالح الشعوب التي تعتبر الشرق الأوسط وطنا لها. ونحن ما زلنا ملتزمين التزاما عميقا بمواجهة كل واحد من هذه التحديات بهمة وعزم وتصميم.

وفي الوقت نفسه أصبح واضحا بصورة متزايدة أنه يجب علينا أن نوسع تعاطينا مع المنطقة إذا كان لنا أن نحقق نجاحا. وعلينا خصوصا أن نوجه اهتماما متواصلا ونشيطا إلى الإصلاح الاقتصادي، والسياسي، والتعليمي. وعلينا أن نعمل مع شعوب وحكومات لسد الفجوة بين التوقع والواقع التي دعتها الملكة رانيا ملكة الأردن بصورة بليغة، فجوة الأمل.

وقد أوجد انتشار الديموقراطية والأسواق الحرة، التي ألهبتها عجائب الثورة التكنولوجية، قوة محركة تستطيع أن تولد ازدهارا ورفاها إنسانيا على نطاق لم يسبق له مثيل. إلا أن هذه الثورة خلفت الشرق الأوسط وراءها إلى حد كبير.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد قدمت دول الشرق الأوسط على مدى التاريخ، مساهمات لا تقدر بثمن للعلوم والفنون. لكن اليوم، توجد شعوب كثيرة هناك تفتقر إلى ذات الحرية السياسية والاقتصادية، وفاعلية المرأة، والتعليم الحديث التي تحتاج إليها لكي تزدهر في القرن الـ ٢١. وكما جاء في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢، الذي وضعه أساتذة عرب بارزون وأصدرته الأمم المتحدة، فإن سكان المنطقة يواجهون خيارا أساسيا -- بين "كسل وجمود... (و) نهضة عربية تبني مستقبلا زاهرا لجميع العرب.

هذه ليست كلماتي. إنها كلمات خبراء عرب نظروا بعمق إلى القضايا. وهي تستند إلى الحقائق الصارخة.

إن حوالي ١٤ مليون راشد عربي يفتقرون إلى وظائف هم بحاجة إليها لوضع طعام على موائدهم، وسقوف فوق رؤوسهم، وأمل في قلوبهم. وسيدخل زهاء ٥٠ مليون عربي آخر من الشبان والشابات سوق الوظائف المزدحم أصلا خلال الأعوام الثمانية القادمة.

إلا أن الاقتصاديات لا تولد ما يكفي من الوظائف. فالنمو ضعيف. والناتج المحلي الإجمالي ل ٢٦٠ مليون عربي هو أقل من ذاك الذي لأربعين مليون أسباني، كما أنه آخذ في التدهور حتى أكثر من ذلك. أضيفوا إلى ذلك إنتاج الـ ٦٧ مليون إيراني والنتيجة تبقى مجرد ثلثي الناتج الإيطالي.

داخليا، كثير من الاقتصاديات تخنقها التنظيمات والمحسوبيات، وتنغلق في وجه مغامرات في التجارة والأعمال، وفي وجه استثمار وتجارة.

ودول الشرق الأوسط غائبة أيضا إلى حد كبير عن الأسواق العالمية. إنها بالكاد تولّد ١ بالمئة من صادرات العالم غير النفطية. وهناك عشر دول شرق أوسطية فقط تنتمي إلى منظمة التجارة العالمية. وكما حذر الرئيس المصري حسني مبارك، "إعطاء دعم للصادرات هو قضية حياة أو موت".

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن العجز في الفرص الاقتصادية هو تذكرة إلى اليأس. وهو، إضافة إلى الأنظمة السياسية المتصلبة، خميرة خطرة حقا. وإلى جانب اقتصاديات أكثر تحررا، يحتاج كثير من شعوب الشرق الأوسط إلى صوت سياسي أقوى.

إننا نرفض الفكرة المتعالية القائلة إن الحرية لن تنمو في الشرق الأوسط، أو أن هناك أي منطقة في العالم لا تستطيع أن تحتمل الديموقراطية.

وقد جسد الرئيس بوش تطلعات الشعوب في كل مكان عندما قال، في خطابه في وست بوينت، إنه عندما يتعلق الأمر بالحقوق والحاجات المشتركة للرجال والنساء، ليس هناك تصادم حضارات. فمتطلبات الحرية تنطبق كليا على أفريقيا وأميركا اللاتينية، وكامل العالم الإسلامي.

وإذا أعطيت الشعوب خيارا بين الطغيان والحرية، فإنها تختار الحرية. علينا فقط أن ننظر إلى شوارع كابول، المزدحمة بأشخاص يحتفلون بانتهاء حكم طالبان في العام الماضي.

وهناك بصيص أمل في الشرق الأوسط أيضا. فدول أمثال البحرين، وقطر، والمغرب قامت بإصلاحات سياسية جريئة. والمنظمات المدنية ناشطة بصورة متزايدة في كثير من الدول العربية، تعمل في قضايا تتعلق بالخبز والزبدة مثل تأمين بطاقات هوية للنساء توجد حاجة ماسة إليها.

ونحن نرى أيضا ثورة عارمة في وسائل الإعلام، من محطات التلفزيون الفضائية إلى مجلات أسبوعية صغيرة الحجم. وعلى الرغم من أن البعض منها لم يرق بعد إلى مستوى مسئولياته للقيام بتغطية مسئولة وتقديم معلومات واقعية، فإنه يجعل المعلومات في متناول أعداد من السكان أكثر من أي وقت مضى.

ومع ذلك، ما زالت تحكم كثيرا من الشرق أوسطيين أنظمة سياسة مغلقة." وكثير من الحكومات يكافح مؤسسات المجتمع المدني باعتبارها تهديدا، بدلا من أن يرحب بها كأساس لمجتمع حر، ديناميكي، ومبشر بالأمل. ناهيك عن أن لغة الكراهية والاستبعاد والتحريض على العنف لا تزال هي اللغة السائدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكما قال الملك محمد عاهل المغرب لبرلمان بلده قبل سنتين، إنه "لتحقيق التنمية، والديموقراطية، والتحديث، من الضروري تحسين وتقوية الأحزاب السياسية، والنقابات العمالية، والجمعيات، ووسائل الإعلام وتوسيع مدى المشاركة."

وأخيرا، إن عددا كبيرا من أطفال المنطقة يفتقر إلى المعرفة ليستفيد من عالم من الحرية الاقتصادية والسياسية. فعشرة ملايين طالب في سن الدراسة هم إما في المنازل، أو يعملون، أو في الشوارع بدلا من أن يكونوا في صفوفهم المدرسية. وحوالي ٦٥ مليون من آبائهم لا يحسنون القراءة أو الكتابة، دع عنك مساعدتهم في دروسهم. وبالكاد يستطيع شخص واحد من كل مائة الوصول إلى كمبيوتر. ومن أولئك النصف فقط يستطيع الوصول إلى العالم الأوسع عبر الإنترنت.

وحتى عندما يذهب الأطفال فعلا إلى المدرسة، غالبا ما يتعذر عليهم تعلم المهارات التي يحتاجون إليها لكي ينجحوا في القرن الـ ٢١. "التعليم" غالبا ما يعني الاستظهار من غير فهم بدلا من التفكير الخلاق الحيوي الضروري للنجاح في عالمنا المتصف بالعولمة.

وقد وجد واضعو تقرير التنمية العربية أن "التعليم أخذ يفقد دوره الهام كوسيلة لتحقيق تنمية اجتماعية في الدول العربية، متحولا عوضا عن ذلك إلى وسيلة لاستدامة الفقر والطبقات الاجتماعية." وتلك إدانة دامغة ودعوة للعمل.

وهناك موضوع دائم يبرز من خلال هذه التحديات، ألا وهو تهميش المرأة في كثير من دول الشرق الأوسط. فأكثر من نصف نساء العالم العربي هن أميات. وهن يعانين أكثر من جراء البطالة والافتقار إلى فرص اقتصادية. وتشكل النساء أيضا نسبة من أعضاء البرلمانات في العالم العربي أصغر منها في أي منطقة أخرى في العالم.

وإلى أن تطلق دول الشرق الأوسط العنان لقدرات نسائهن، لن تبني مستقبلا من الأمل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن أي معالجة للشرق الأوسط تتجاهل تخلفه السياسي، والاقتصادي، والتعليمي، ستكون مبنية على رمال.

سيداتي، سادتي، حان الوقت لوضع أساس متين من الأمل. إنني أعلن اليوم مبادرة تضع الولايات المتحدة بثبات في جانب تغيير، وإصلاح، ومستقبل حديث للشرق الأوسط.

خلال زيارة الرئيس مبارك لواشنطن في آذار / مارس الماضي، طلب مني الرئيس بوش أن أتولى رئاسة جهد جديد للحكومة الأميركية لدعم شعوب وحكومات الشرق الأوسط في جهودها لمواجهة هذه التحديات الإنسانية الملحة.

ويسرني أن أعلن النتائج الأولية لعملنا مجموعة مبتكرة من البرامج وإطار لتعاون مستقبلي نسميها مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط.

إن مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط هي جسر بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، بين حكومتينا وشعبينا، يسد فجوة الأمل بالطاقة، والأفكار، والأموال.

ومبادرة شراكتنا هي استمرار، وتصعيد لالتزامنا القائم منذ زمن طويل بالعمل مع جميع شعوب الشرق الأوسط لتحسين حياتها اليومية، ومواجهة المستقبل بأمل.

وكما أن قرارنا إعادة الانتساب إلى اليونسكو هو رمز على التزامنا بتعزيز حقوق الإنسان والتسامح والتعلم، فإن هذه المبادرة هي دليل قوي على التزامنا بكرامة الإنسان في الشرق الأوسط.

إننا سنخصص بصورة أولية مبلغ ٢٩ مليون دولار لجعل هذه المبادرة تنطلق بقوة. وسنعمل مع الكونغرس للحصول على تمويل جوهري إضافي للعام القادم. وهذه الأموال ستكون زيادة على الأكثر من مبلغ الألف مليون دولار الذي نقدمه كمساعدة اقتصادية للعالم العربي كل عام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتستند مبادرتنا إلى ثلاث ركائز

إننا سنشترك مع مجموعات من القطاعين الخاص والعام لسد فجوات الوظائف بإصلاح اقتصادي، واستثمار للأعمال، وتنمية القطاع الخاص.

وسنشترك مع قادة المجتمع لسد فجوة الحرية بمشاريع لتقوية المجتمع المدني، وتوسيع المشاركة السياسية، ورفع أصوات النساء.

وسنعمل مع المربين لسد فجوة المعرفة بمدارس أفضل، ومزيد من الفرص للتعليم العالي.

سيداتي، سادتي، الأمل يبدأ براتب عمل. وذلك يتطلب اقتصادا مليئا بالحيوية والنشاط. وعن طريق مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، سنعمل مع حكومات لإنشاء أحكام وأنظمة اقتصادية ستجتذب الاستثمار الأجنبي، وتتيح للقطاع الخاص أن يزدهر.

وسنساعد شركات الأعمال الصغيرة والمتوسطة على تحقيق وصول إلى الرأسمال الذي هو قوام الحياة. وكخطوة أولى، يسرني أن أعلن أننا سننشيء صناديق أموال للمشاريع في الشرق الأوسط، على غرار المشاريع البولندية-الأميركية الناجحة، للبدء في الاستثمار فورا في أعمال جديدة واعدة.

وسنساعد أيضا مزيدا من الدول على المشاركة في سخاء الاقتصاد العالمي. وذلك يعني تقديم مساعدة فنية إلى الدول الأعضاء الطموحة في منظمة التجارة العالمية كالمملكة العربية السعودية، والجزائر، ولبنان، واليمن، لتلبية معايير منظمة التجارة العالمية.

وهو يعني البناء على اتفاقنا الناجح للتجارة الحرة مع الأردن بالبدء بمفاوضات اتفاق تجارة حرة مع المغرب. وهو يعني الاستمرار في العمل مع دول كمصر والبحرين لاستكشاف طرق لتعزيز علاقتنا الثنائية من التجارة الاقتصادية، بما في ذلك عبر اتفاقات تجارة حرة ممكنة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتتطلب الاقتصاديات المنفتحة أنظمة سياسية منفتحة. وعليه فإن الركيزة الثانية لمبادرتنا من الشراكة ستدعم المواطنين عبر المنطقة الذين يطالبون بأصواتهم السياسية.

وقد بدأنا المشروع الاختباري الأول في هذا المجال الشهر الماضي، عندما أحضرنا وفدا من ٥٥ زعيمة سياسية عربية إلى الولايات المتحدة لمشاهدة انتخاباتنا النصفية.

وقد عقدت اجتماعا عظيما جدا مع هذه المجموعة الرائعة، وكان التزامها وطاقتها مصدر إلهام لي. وقد وجهت إلى أسئلة صعبة، وناقشنا القضايا كما يفعل الناس في مجتمعات حرة.

وقد تحدثت أولئك النساء إلى ببلاغة عن قلقهن بالنسبة إلى المستقبل وأحلامهن بعالم حيث يمكن لأطفالهن أن يعيشوا في سلام. وحدثنني عن أملهن بأن يرين نهاية للنزاعات التي تشل منطقتهن. وتحدثن إلي كيف يردن أن يتحكمن بحياتهن ومصائرهن. وطلبن أن يعرفن المزيد عن الديموقراطية الأميركية، وكيف يجعلن أصواتهن أكثر فعالية.

وتتطلب زيادة المشاركة السياسية أيضا تقوية المؤسسات المدنية التي تحمي حقوق الأفراد وتوفر فرصا للمشاركة. وعن طريق مبادرتنا للمشاركة سندعم هذه الجهود.

ولكي تعمل الاقتصاديات الحرة والأنظمة السياسية بنجاح فإنها تحتاج إلى مواطنين متعلمين، وعليه ستركز الركيزة الثالثة لمبادرة التعاون بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط على إصلاح تعليمي.

وستشدد برامجنا على تعليم الفتيات. فعندما تتحسن نسبة التعليم بين الفتيات، تتحسن كذلك جميع مؤشرات التنمية المهمة الأخرى في أي بلد. ولقد أصاب شاعر النيل حافظ إبراهيم عندما قال: "الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسنوفر منحا دراسية لإبقاء الفتيات في المدارس، وتوسيع التعليم للفتيات والنساء. وبصورة أوسع، سنعمل مع الأبوين والمربين لتعزيز الإشراف المحلي وإشراف الأبوين على الأنظمة المدرسية.

وفي كل واحد من هذه المجالات الثلاثة، نحن ملتزمون بمشاركة أصيلة في اتجاهين. مشاركة مع المواطنين ودول المنطقة، ومع الكونغرس، وحتى مع جهات مانحة أخرى بينما ننفذ هذه الأجندة.

إن هذه المبادرة هي من المشاريع الأكثر تحديا التي درسناها نحن وشركاؤنا في المنطقة. وعلينا أن نكون واقعيين بشأن العقبات القائمة على الطريق أمامنا، وبشأن الوقت الذي ستستغرقه لرؤية تغير حقيقي يتجذر، وبشأن الدور المحدود الذي تستطيع جهات خارجية أن تقوم به. وعلينا أن ندرك بأن مصلحة الشرق الأوسط الحقيقية يجب أن تدفع بهذه المبادرة إلى الأمام، وأن المشاركة الشرق أوسطية هي وحدها التي ستحافظ عليها. لكن علينا أيضا ألا نقنع بتوقعات منخفضة. فكما يظهر الاختمار في المنطقة، فإن شعوب الشرق الأوسط نفسها تتملكها هذه القضايا.

ونحن لا نبدأ من لا شيء. فإننا نعمل الآن بنجاح فعلا مع مجموعة واسعة من الشركاء. مثلا، أعلنا في الشهر الماضي إنشاء "مؤسسة ليد" التي تشترك فيها الوكالة الأميركية للتنمية الدولية مع البنك الدولي، والقطاع الخاص المصري لدعم إقراض المشاريع الصغيرة في مصر.

إضافة إلى ذلك، نشترك فعلا، عن طريق شراكتنا من أجل التعلم، مع دول المنطقة في تدريب المعلمين، وتعليم اللغة الإنكليزية، وبرامج أخرى لتقوية أنظمتها التعليمية.

والحقيقة أن جزءا مهما من عملنا سيتناول مراجعة برامجنا القائمة للاستفادة منها والتأكد من أن برامجنا الحالية تلامس أكبر عدد ممكن من الأرواح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما أننا لا ندافع عن الأسلوب القائل إن "حجما واحـــدا يلائـــم الجميـــع." فالمنطقة كثيرة التنوع بالنسبة إلى ذلك الأمر. لكننا سنكون علـــى الأرض نـــصغي ونعمل للتأكد من أن برامجنا مفصلة لتلائم حاجات الشعوب حيثما كانت تعيش.

وإننا بمبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط نعترف بـــأن الأمل المبني على فرصة اقتصادية، وسياسية، وتعليمية هو حاســـم لنجـــاح جميـــع جهودنا، وأن نجاح هذه الجهود الأخرى هو، بدوره، ضروري لإيجاد أمل.

لقد شاهدت خلال جولاتي في الشرق الأوسط، في الحياة العامة والخاصة، عن كثب طاقة، وإبداع، وتفاني الأبوين وهمـــا يحـــاولان بنـــاء مـــستقبل أفـــضل لأطفالهما. لكنني شاهدت أيضا إحباطهما عندما كان التقدم بطيئـــا جـــدا. علينـــا أن نسير قدما بخطى أسرع. ولسوف نسير بخطى أسرع.

إننا عبر مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط، نـــضيف أملا إلى أجندة الولايات المتحدة والشرق الأوسط. وإننا سنستخدم طاقتنا، وقـــدراتنا، ومثاليتنا لجلب الأمل إلى جميع عباد الله الذين يعتبرون الشرق الأوسط وطنا لهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولايات المتحدة ومبادرة شراكة الشرق الأوسط:
تمكن المرأة من الكفاية

بيـــان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى

(واشنطن، ١٨ حزيران/يونيو، ٢٠٠٣)

أصدر مكتب شئون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركيـــة بيـــان الحقائق التالي حول مساهمة مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط في تمكين المرأة العربية من الكفاية:

تواجه النساء تحديات عديدة حول العالم وبخاصة فـــي الـــشرق الأوســـط وشمال أفريقيا. وفي العام الماضي حدد فريق من الأساتذة العرب بـــشكل صـــريح الفجوات الكائنة في الانفتاح الاقتصادي، والحريات السياسية، والفرص التعليميـــة، والمساواة الجنسية التي تعيق تحقيق القدرات الإنسانية الهائلـــة للـــشرق الأوســـط. والحقائق هي: أكثر من نصف النساء العربيات ما زلن أميات. النساء يفتقرن إلـــى مواطنية متساوية وحقوق قانونية، ومشاركتهن في أماكن العمل والحياة العامة هـــي في حدها الأدنى، كما يتضح من تمثيل محدود جدا في البرلمانـــات، والحكومـــات، وقوة العمل.

وخلال العام الماضي حدثت تحسينات متدرجة ولكن مهمة فـــي المنطقـــة: النساء ترشحن لمناصب حكومية في البحرين، وهو أول حدث بالنسبة إلى مجلـــس التعاون الخليجي. وعُمان أعلنت حق التصويت الشامل. وانتخب عـــدد كبيـــر مـــن النساء لعضوية البرلمان في المغرب.

إن مبادرة شراكة الشرق الأوسط ستستمر في تأييد هذه الجهود، وستشدد بشكل خاص على حاجات النساء كطالبات، وناشطات في الأعمـــال الحـــرة، ومطالبـــات بالتغيير السياسي. والولايات المتحدة تفعل هذا عبر المنطقة، بمشاريع تتراوح بـــين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إصلاحات تعليمية في المغرب، وتمويلات صغيرة في مصر، وتدريب على حملات سياسية في اليمن والبحرين.

- في الخريف الماضي، زارت ٥٠ امرأة من دول عربية الولايات المتحدة لكسب مهارات عملية في الحملات الانتخابية، واختبار ومراقبة انتخابات برلمانية ومحلية في الولايات المتحدة عن كثب. وستضيف المبادرة الى هذا النجاح بإنشاء مدارس حملات إقليمية لتوفير تدريب في القيادة ومهارات تنظيمية للنساء اللواتي يسعين إلى شغل مناصب انتخابية في المنطقة. وستجري أولى هذه الحملات التدريبية هذا الخريف في قطر.
- في حزيران/يونيو، ٢٠٠٣ اشتركت أول مجموعة من الناشطات في الأعمال، في برنامج تدريب المغامرين في الأعمال في الشرق الأوسط في الولايات المتحدة أو في برنامج "MEET US".
- تدعم المبادرة برامج تعليمية للنساء والفتيات. وسيوفر برنامج جديد في المغرب تمويلا لمساعدة الفتيات المغاربة على إكمال الصفوف المتوسطة، بتعليم، وإسكان، وتدريب على الكمبيوتر.
- ستدعم المبادرة مشروع حماية الأسرة في الأردن، وهو مشروع يستهدف تنفيذ ملاحقات قضائية ضد مرتكبي ما يسمى بجرائم الشرف.
- في أيار/مايو، اجتمعت نساء من جميع أنحاء المنطقة في القاهرة في "منتدى النساء العربيات" الذي جرى تنسيقه بالتعاون مع الوكالة الأميركية للتنمية الدولية والمركز المصري لحقوق المرأة. وقد استكشف المنتدى التحديات السياسية والاقتصادية التي تواجه المرأة في العالم العربي. وتوضع الآن خطط لمشاريع متابعة ومشاركة جوهرية.
- يعمل "فريدوم هاوس" (بيت الحرية) برعاية حكومة الولايات المتحدة على إعداد دراسة لحاجات النساء في المنطقة مما سيساعد على تنفيذ برامج إضافية في المنطقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولايات المتحدة ومبادرة شراكة الشرق الأوسط:
دفع عجلة النمو الاقتصادي

بيـــان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى

(واشنطن، ١٨ حزيران/يونيو، ٢٠٠٢)

أصدر مكتب شئون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية بيان الحقائق التالي حول مساهمة مبادرة الشراكة الأميركية الشرق أوسطية فـــي دفـــع عجلـــة النمـــو الاقتصادي:

تسعى الولايات المتحدة ومبادرة الشرق الأوسط إلى سد "فجوة الوظـــائف" بترويجها الإصلاح الاقتصادي وتنمية القطاع الخاص. وســـتعمل مبـــادرة شـــراكة الشرق الأوسط بالاشتراك مع حكومات في المنطقة على بناء برامج تعزز الحركـــة التنافسية في المنطقة وتشجع الاستثمار، وتسهل نمو مـــشاريع الأعمـــال الخاصـــة. وستركز المبادرة عن طريق تنفيذ البرامج المشدد عليها، بما فيها الشراكة من أجـــل الامتياز المالي، وتدريب المغامرين فـــي الأعمـــال الـــصغيرة، ومبـــادرة القـــانون التجاري، وشركة تمويل الشرق الأوسط، على إيجاد الإطار اللازم لاقتصاد مدفوع من قبل السوق ويقوده القطاع الخاص. وهذا بدوره ســـيوجد المـــشاريع والأعمـــال الضرورية للمحافظة على نمو وإنماء اقتصاديين.

ولتحسين النمو الاقتصادي، تسخر مبادرة شراكة الشرق الأوسط مبلغ ٧,٩ ملايين دولار من التمويل لمشاريع رائدة بدأ العمل بها بتمويل إكمالي طارئ للـــسنة المالية ٢٠٠٢ وتمويل إكمالي طارئ للسنة الماليـــة ٢٠٠٣ مقـــداره ٣٤,٥ مليـــون دولار. وقد طلب الرئيس مبلغ ٥٤,٥ مليون دولار لهذه البـــرامج للـــسنة الماليـــة ٢٠٠٤.

تحسين التنمية عن طريق التجارة

إن إنشاء منطقة تجارة حرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط سينشط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النمو الاقتصادي ويوجد وظائف بفتحه أسواقا جديدة للمنطقة وتوسيعه الأسواق الحالية. وستستخدم الحكومة الأميركية أموال مبادرة شراكة الشرق الأوسط لتوفير النصح والدعم لمساعدة الدول على إحداث التغييرات الضرورية للانتساب إلى منظمة التجارة العالمية، وهي خطوة أولى ضرورية نحو اتفاق تجارة حرة. وسنوفر مساعدة لبناء قدرة تجارية عن طريق برامج أمثال تطوير جمعيات أعمال، وتوسيع الروابط، وبناء أسواق للأعمال في الأردن، وكذلك في الولايات المتحدة.

توفير الوصول إلى رأس المال

إن شركة التمويل للشرق الأوسط ستعزز إنشاء وظائف بإجرائها استثمارات في مشاريع صغيرة ومتوسطة في القطاع الخاص. وسيكون الحجم الأولي المستهدف لشركة التمويل للشرق الأوسط ١٠٠ مليون دولار. وستقدم الولايات المتحدة ٥٠ مليون دولار وستحاول جمع ٥٠ مليون دولار أخرى من مستثمرين مشاركين في المنطقة.

ترويج التنافسية

ستسرّع الشراكة من أجل الامتياز المالي نمو الوظائف في الشرق الأوسط بترويجها المزيد من التنافسية، والاستقلال عن سيطرة الدولة، والفعالية، والتنافسية، وتكامل الأسواق المالية في المنطقة. وبعض أنواع البرامج التي سنمولها تشمل ما يلي:

- إن مبادرة القانون التجاري، التي تبني على عمل برنامج تطوير القانون التجاري التابع لوزارة التجارة سيحسن المناخ من أجل التجارة والاستثمار ويقوي إطار حقوق الملكية. وهذا الجهد الجديد الممول من قبل مبادرة شراكة الشرق الأوسط، سيوسع البرنامج بالتعاون مع مدارء وخبراء القانون في الولايات المتحدة والشرق الأوسط. وبالإضافة إلى ذلك،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ستمول المبادرة برامج لتحسين الشفافية وتساعد الدول على مكافحة الفساد.

- سيروج برنامج تدريب المدراء التنفيذيين في الشرق الأوسط تطوير الأعمال الصغيرة والمغامرة في الأعمال في العالم العربي. وقد أطلقت وزارة التجارة بالاشتراك مع إدارة التجارة الدولية التابعة لها برنامجا رائدا يتضمن مشاريع تدريبية جماعية. وقد وفر البرنامج التدريبي الجماعي الأول في حزيران/يونيو، ٢٠٠٣ تدريبا على المهارات الأساسية في الأعمال لنساء مغامرات في الأعمال ومدراء وأصحاب أعمال صغيرة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط :

تحسين المعرفة

بيـــان حقائق، مكتب شئون الشرق الأدنى

(واشنطن، ١٨ حزيران/يونيو، ٢٠٠٣)

أصدر مكتب شئون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركيـــة بيـــان الحقائق التالي حول مساهمات الولايات المتحدة في النهوض بمستوى التعلـــيم فـــي العالم العربي:

تسعى مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوســـط إلـــى ســـد "فجوة المعرفة" بتحسينها نوعية التعليم ومناســـبته للحاجـــة، وتحـــسينها الفـــرص التعليمية للفتيات. وستدعم مبادرة شراكة الشرق الأوســـط، عـــن طريـــق تنفيـــذها للبرامج المشدد عليها، بما فيها تلك التي تركز على تحـــسين الاســـتعداد الرقمـــي وزيادة الإلمام بالقراءة والكتابة، خصوصا بين النساء والفتيات، الجهـــود الإقليميـــة لتحسين المدارس وبرامج التدريب التي تعد الفتيات الصغار للمنافسة فـــي أســـواق اليوم العالمية.

وتتضمن المبادرة مبلغ ٧,٤ ملايين دولار لتمويل مشاريع تعليميـــة رائـــدة وهي بمثابة تمويل إكمالي طارىء للسنة المالية ٢٠٠٢، ومبلغ ٣١,٥ مليـــون دولار كتمويل إكمالي طارئ للسنة المالية ٢٠٠٣. وقد طلب الرئيس فـــي ميزانيـــة ســـنة ٢٠٠٤ المالية مبلغ ١٤٥ مليـــون دولار لمبـــادرة الـــشرق الأوســـط، ونتوقـــع أن يخصص من هذا المبلغ ٤٣,٥ مليون دولار لدعم البرامج التعليمية.

تعليم القراءة والكتابة

تسعى المبادرة إلى دعم جهود الحكومة والمنظمات غير الحكومية لتحسين معدلات تعلم القراءة والكتابة، خصوصا بين الفتيات والنساء عبر المنطقة حيث ٣٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمائة من مجموع السكان أميون، وأكثر من نصف النساء الراشدات يفتقرن إلى قراءة وكتابة أساسيتين.

وستشمل المشاريع التعليمية:

- برنامج منح صغيرة للمدارس والمنظمات غير الحكومية لتدريب المعلمين على طرق القراءة، وتطوير منهج دراسي يتضمن نشاطات تركز على العائلات وتدريبا على مهارات حياتية، وتعليم القراءة في الصفوف المبكرة، والمساعدة في تعليم اللغات.
- برامج كتب مطورة بالاشتراك مع القطاع الخاص الأميركي ووزارات التربية في المنطقة. وهذه البرامج ستوفر كتبا للأطفال، مترجمة إلى اللغة العربية للمدارس الابتدائية.
- مشاريع رائدة، كالمشروع الذي يجري تنفيذه حاليا في اليمن، حيث يجري دمج صفوف تعليم القراءة والكتابة مع تدريب مهارات ذات صلة بالمجتمع.
- وستحصل الفتيات في اليمن على تدريب على القراءة والكتابة في إطار مجالات أمثال صحة الأم والطفل، المشاركة السياسية للمرأة، الإنتاج الزراعي، وأندية الادخار والقروض للنساء.

تعليم الفتيات

أظهرت التجارب حول العالم أنه عندما يتحسن مستوى تعليم الفتيات، تتحسن أيضا مؤشرات تنمية مهمة أخرى، الأطفال يصبحون بصحة أفضل، ومعدلات الوفيات بين الأطفال تنخفض، ونرى تحسنا في نوعية الحياة بشكل عام. ولتحسين التحصيل التعليمي، خصوصا للفتيات في المناطق الريفية ستعمل المبادرة على:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- تكرار نماذج ناجحة لبرامج منح دراسية للفتيات في المغرب ومصر، وفي مناطق أخرى من الشرق الأوسط حيث تختلف معدلات الانتساب تبعا للجنس اختلافا كبيرا.
- تأييد جهود كتلك التي بدأتها هذا العام السيدة سوزان مبارك في مصر لدعم التعليم للفتيات.
- توفير مساعدة فنية ومالية لمنظمات أهلية غير حكومية تعمل على تحسين تعليم الفتيات الريفيات، وإدارة منح دراسية، ومساكن، ونصح وإرشاد، وبرامج أخرى حافزة للفتيات في الصفوف المتوسطة والعليا على البقاء في المدرسة.

الاستعداد الرقمي

لسد "فجوة التعليم" علينا أيضا أن نسد الفجوة الرقمية.

إن الحكومة، التي ستعمل مع حكومات عربية، وقطاعات خاصة، وشركاء في المجتمع المدني، تخطط لـ:

- إطلاق مبادرة استعداد رقمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
- زيادة التمويل والحوافز للقطاع الخاص لتزويد المدارس بأجهزة كمبيوتر، والربط بين شبكات الإنترنت، وتدريب على الحد من عزلة المعلم والحفز على ابتكاريه غرف التدريس.
- إنشاء ربط إقليمي بين شبكات الإنترنت لتوفير تدريب للمعلمين، ومواد تدريسية، والعمل ضمن شبكات، وأدوات للمساعدة على دمج مواد متعددة ذات قاعدة كمبيوتر، والتعليم من مسافة بعيدة في غرف التدريس.

إن توسيع الفرص الاقتصادية لشبيبة المنطقة هو عنصر أساسي من المبادرة

- لتحسين المهارة باللغة الإنكليزية، ستنشئ الحكومة برنامجا لتعليم اللغة الإنكليزية يصل إلى الطلاب الذين لديهم رغبة لكنهم يفتقرون إلى الموارد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لحضور صفوف ذات تدريس مكثف، والـذين سـيحتاجون إلـى اللغـة الإنكليزية لكي ينتقلوا بنجاح من المدرسة إلى العمل.

- ستبني المبادرة على برامج ناجحة في مصر وأماكن أخرى فـي المنطقـة تقيم شراكة بين الأعمال والمدرسة لمساعدة الطلاب على كسب مهـارات في مكان العمل، وضمان توفر فرص توظيف للطـلاب فـور تخـرجهم. وستعمل المبادرة أيضا مع قطاعات خاصة أميركية وإقليمية لإنشاء برامج تدريبية في مهارات حيث توجد حاجة إليها في السوق.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط

(دور المبادرة في توسيع آفاق الفرص السياسية)

(واشنطن، ١٥ تموز/يوليو٢٠٠٣)

أصدر مكتب الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية بيان الحقائق التالي حول دور مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط في تعزيز الفرص السياسية في العالم العربي:

إن مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط ستدعم توسع الفرص السياسية في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وقد صممت المبادرة بحيث تدعم الرجال، والنساء والشبيبة في الشرق الأوسط في سعيهم وراء الديموقراطية، والحريات المدنية وحكم القانون. وقد بدأ العمل فعلا ببرامج تدفع عجلة الإصلاح الديموقراطي، وحرية الصحافة وحرية التعبير، والحكم الرشيد، والقضاء الحر والعادل.

وقد خصصت المبادرة ١٣,٦ مليون دولار لبرامج الديموقراطية والمجتمع المدني في السنة المالية ٢٠٠٢. وسيجري إنفاق حوالي ٣٧ مليون دولار خلال السنة المالية ٢٠٠٣، و٤٧ مليون دولار خلال السنة المالية ٢٠٠٤. وتظهر الزيادة المستمرة في التمويل التزام هذه الحكومة بالحرية في جميع أنحاء العالم.

التدريب على خوض الحملات الانتخابية:

إن أموال المبادرة هي واحدة من مصادر التدريب والإعلام الوحيدة في الشرق الأوسط للمرشحين السياسيين. وتجري دول عديدة في المنطقة انتخابات لأول مرة وليس هناك ساسة يتمتعون بالخبرة. وستملأ المبادرة الفجوة بتوفيرها تدريبا وفرص شبكات تعليم، خصوصا للنساء، في سلسلة من مدارس حملات إقليمية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ستفتح مدارس الحملات أولا في الخليج العربي علـــى أن تتوســـع لاحقـــا لتشمل دول المشرق والمغرب العربي في سنين متعاقبة.
- وسيجري تعليم المرشحين المهارات اللازمة لإدارة حملات نشيطة وفعالة.
- وسيدرب المشترعون الحاليون على القيادة والتمثيل الفعالين.
- وستبنى القدرة المحلية على إدارة هذه المدارس لضمان اســـتمرارية هـــذه التدريبات وبناء المهارة للمدى الطويل في المنطقة.

إصلاح وسائل الإعلام

إن وسائل الإعلام الحرة، والاحترافية هي شرط أساسي لمجتمـــع منفـــتح، وديمقراطي. وتوفر وسائل الإعلام مصدر معلومـــات عـــن نـــشاطات الحكومـــة، وضمان المحاسبة والشفافية، كما توفر صوتا يستطيع الشعب من خلالـــه أن ينقـــل سلميا الاختلاف بالرأي إلى الحكومة.

- المبادرة في سياق البدء بمشروع عريض القاعدة لتدريب وسائل الإعـــلام وإصلاح قانون وسائل الإعلام في جميع أنحاء الشرق الأوســـط. وتـــشمل الدول المشاركة في هذا المشروع الجزائر، والمملكة العربيـــة الـــسعودية، وتونس، ولبنان، والبحرين والمغرب.
- سيجري أيضا إنشاء صندوق منح صغيرة مـــن أجـــل وســـائل الإعـــلام المنفتحة لتوفير دعم مادي وبناء طاقة لأقنية إعلامية جديـــدة بينمـــا تنـــشأ الفرص.

بناء المجتمع المدني

المجتمع المدني يوفر سبيلا أمام المحكومين لكي يطلبـــوا مـــن الحكومـــة التغيير ويتخذوا إجراء سلميا لإحداث تغيير لأنفسهم. وإن إنـــشاء منظمـــات غيـــر حكومية هو أمر أساسي لبناء مواطنين متعلمين مشاركين بنشاط في حكم أنفسهم.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- المبادرة في سبيل تدشين مبادرة إقليمية للتعليم المدني في الأردن، مصر، الضفة الغربية/غزة، البحرين، لبنان، المغرب، اليمن وتونس.
- إنها ستنفذ برامج "أفضل ممارسة" مختارة من التعليم المدني في جميع الدول الثماني من المستوى الابتدائي إلى الثانوي، وستزيد من قدرة المربين العرب على إيجاد وتنفيذ برامج تعليم مدني فعالة في مدارسهم وتوفر فرص الحصول على معلومات ضمن شبكات للمربين العرب في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

حكم القانون

ستدعم المبادرة أيضا برامج للتشجيع على إنشاء قضاء حر ومستقل، لتحسين الشفافية والحكم الجيد.

- بموجب المبادرة أنشأنا أيضا برامج تدريبية عديدة لبرلمانيين، وممثلين آخرين مختارين مع موظفيهم.
- إننا نعمل أيضا مع القاضية ساندرا داي أوكونر وحكومة البحرين لإطلاق منتدى إقليمي حول الإصلاح القضائي. وسيركز المنتدى على قضايا التدريب القضائي، والاختيار والأخلاقيات. وسندعم أيضا مراكز تدريب إقليمية توفر تدريبا مستمرا للقضاة، وسنكرر مشاريع ناجحة إضافية في مجالات أمثال إدارة المحاكم.

الشفافية والمحاسبة

تسعى مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط إلى إنشاء برامج تكافح الفساد، وتحسن الشفافية والمحاسبة، وتروج أشكالا أخرى من الحكم الرشيد. وهذه تشمل زيادة شفافية الأنظمة القانونية والتنظيمية، وتحسين العمليات القضائية، وتقوية المجتمعات والمجتمع المدني وتزويدها بصلاحيات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- في الحقل الاقتصادي، تؤيد مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والـــشرق الأوسط تحسين الشفافية وإجراءات مكافحة الفساد وإصلاح إدارة الشركات في الشرق الأوسط. وتعمل المبادرة جاهدة على إنـــشاء شـــبكات إقليميـــة وبنوك معلومات ذات خبرة في إدارة الشركات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وستبني وعيا أكبر لمجتمع الأعمال ودعما لمبادئ إدارة الشركات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"الحقوق القائمة والمسئوليات الناشئة"

السفير ريتشارد هاس*

في العادة تتعاطى السياسة الخارجية الأمريكية مع القضايا كل على حـدة. ويجري التركيز في وزارة الخارجية عند وقوع معظم الأزمات على القضايا بشكل إفرادي في العراق أو كوريا الشمالية وكولومبيا أو ساحل العاج، أو منظمة التجـارة العالمية أو حلف شمالي الأطلسي. ونادراً ما تتـاح الفرصـة أمـام الدبلوماسـيين الأمريكيين لإدراك كيف يمكن لهذه القضايا أن ترتبط ببعضها البعض أو أن تـشكل نموذجا ككل.

إن إحدى المزايا في عملي هو توفير الفرصة لدراسة الـصورة الأشـمل. وبوصفي مديرا للتخطيط السياسي للعامين الماضيين، فقـد اسـتطعت خلالهمـا أن أتفحص بعناية خارطة السياسة الخارجية الأمريكية بأكملها. لقد أنـشأ جـورج س. مارشال هيئة تخطيط السياسة قبل ٥٥ عاماً من أجل تـوفير منظـور اسـتراتيجي عريض باستطاعته توجيه وتكوين الدبلوماسية اليومية. وقد أعطى جـورج كنـان، أول مدير لهذه الهيئة، نصيحة من كلمتين: "ابتعد عن التوافه".

إن أي واحد منكم عمل في السلك الخارجي، يعلم جيداً أن لا أحد يعير هذه النصيحة الاهتمام الكافي في جميع الأحوال. نحـن نحـاول أن نـستبق التحـديات والفرص، واختبار الحكومة التقليدية، وتحديد التوجهات على المدى البعيد. ولم يكن هذا الأمر في أي وقت أقرب إلى الواقع منه اليـوم. واليـوم، كمـا فـي أواخـر الأربعينيات، تجد الولايات المتحدة نفسها في أوج قوتها على الصعيد العالمي. لكـن أخطاراً جديدة تهدد أمن أمريكا القومي بدأت تظهر. والسياسات القديمـة أضـحت

* نص منقح لمحاضرة للسفير "ريتشارد هاوس"، مدير هيئة تخطيط السياسة فى وزارة الخارجية الأمريكية ألقاها أمام طلاب معهد السلك الخارجى ومركز مورتارا للدراسات الدولية فى جامعة جورجتاون فى واشنطن فى ١٤ يناير/كانون ثان ٢٠٠٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهميتها جد محدودة اليوم. ومهمتنا الآن إدراك القوى الدولية تلك، والعمل على صياغة سياسة فعّالة للرد عليها. إننا نسعى من وراء ذلك التحقق من أن أمريكا تستغل كونها دولة عظمى بحكمة.

إن إنجاز ذلك لن يكون سهلاً. حيث إن العلاقات الدولية تتبدل بطرق متعددة. وبدلا من محاولتي الليلة، تغطية جميع المتغيرات ذات الصلة بالموضوع سأحاول أن أؤكده انتقائيا. أركز على أحد الأمور الأكثر عمقاً على حقيقة أن السيادة ليست مطلقة ولا غير مشروطة. سأحاول أن أشرح كيف تتطور الآراء حول السيادة، وكيف تقوم الولايات المتحدة بالتأقلم مع هذا العالم الجديد، وتأثير ذلك علينا جميعاً.

التاريخ والتطور

من البوسنة إلى بكين إلى مسقط رأسي في بروكلين: مجرد ذكر كلمة "السيادة" يثير عند الناس شعوراً بالغضب. إنها تأخذ مباشرة معنى الاستقلال. ولكن عندما يستشهد الناس بهذه العبارة، فإنهم غالبا ما يعنون أشياء أخرى؛ ولذلك سأبدأ بتعريف المصطلحات.

تاريخياً، ارتبطت السيادة بأربع خصائص رئيسية: الأولى، أن الدول ذات السيادة هي تلك التي تتمتع بسلطة سياسية عليا وهي السلطة الوحيدة المخولة باستخدام القوة بشكل شرعي داخل حدودها. ثانياً، هي الدولة القادرة على تنظيم حركة التنقل عبر حدودها. ثالثاً، هي التي تستطيع اختيار سياستها الخارجية بملء حريتها. وأخيراً، هي الدولة المعترف بها من قبل حكومات أخرى بوصفها كياناً مستقلاً مؤهلاً للحرية ومن تدخلات خارجية. إن هذه العناصر الرئيسية المكونة للسيادة لم تكن في يوم من الأيام مطلقة. إنما بمجموعها شكلت أساساً لنظام عالمي. غير أن الذي يسترعي الانتباه اليوم هو أن كل واحد من هذه العناصر... السلطة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الداخلية، ومراقبة الحدود، واستقلالية السياسة، وعـدم وجـود تـدخلات خارجيـة تتعرض اليوم لتحديات بطرق لم يسبق لها مثيل.

قد لا يبدو هذا للوهلة الأولى واضحاً. فالسيادة هي شيء أساسي، ومبطنـة في تصورنا للنظام السائد في العالم، لدرجة أننا نفترض وجودها كأمر مفروغ منه. يجب ألا نفعل ذلك. وأي شخص لديه شك حول هذه الفكرة الوجدانية، عليه دراسـة التاريخ ليرى كيف كان قبل أن تصبح هذه الدولة الإقليمية هي الحامل لمبدأ الحقوق والواجبات في المجتمع الدولي خلال القرنين السابع عشروالثامن عشر.

وفي أوروبا مـا قبـل الـسيادة، كانـت الـسلطة الـسياسية تتقاسـمها الإمبراطوريات، والممالك والإمارات والدول المدنية. ومما عقد الأمور أكثر، كـان عدم وجود حد واضح يفصل السلطة السياسية عن الـسلطة الدينيـة. حيـث كـان الملوك والباباوات يتصارعون حول الشعوب والأراضي ذاتها التي يدّعون تمثيلها. أي هذا الخليط من السلطات المتداخلة أثبتت قدرتها على تأجيج النار عندما اندلعت الحروب الدينية إثر حركة الإصلاح الدينية. هكذا كان العالم الـذي ألهـم تومـاس هوبس عندما تخيل الحياة بشكله المبسط الطبيعي. فقد كانت الحياة بالنسبة لمعظـم الناس "كريهة، ورديئة، ووحشية وقصيرة."

استجابة لذلك، بدأ حكام أوروبا باعتناق فكرة السيادة كوسيلة للحفاظ علـى الحد الأدنى من النظام داخل كل بلد، في علاقات البلاد مع بعضها. وإحدى الوقائع البالغة الأهمية في هذا السياق كانت معاهدة وست فاليا (West Phalia) للسلام فـي عام ١٦٤٨ التي أقرت بأن الدول تتمتع بحقوق مكتسبة وهي الحق الحصري للدولة في التشريع والحكم داخل حدودها. والاستقلال السياسي والمساواة الكامن تحت ظل القانون الدولي بما فيها حق إدارة السياسة الخارجية. ومع السيادة، جاء مبـدأ عـدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى. وداخل أوروبا، أصبح التدخل في شئون الدول الأخرى هو الاستثناء بدل أن يكون القاعدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد ساعدت السيادة على إرساء الاستقرار في أوروبا ومع مرور الـزمن، انتشر هذا المبدأ بالنسبة للصين واليابان أضحى الاعتراف بسيادتهما بالتساوي مـن قبل الدول الأخرى هو رمز الوصول إلى اتفاق. وفيما بعد أصبحت الرغبـة فـي السيادة هي القوة المحركة لحركة التحرر من الاستعمار التـي غيـرت العلاقـات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية.

مازالت السيادة مصدر استقرار لأكثر من قرنين من الزمن. فقـد عملـت على تعزيز النظام في العالم عن طريق إنشاء حماية شرعية ضد التدخل الخـارجي وبتوفيرها قاعدة دبلوماسية من أجل التفاوض حول المفاوضات الدوليـة، وإنـشاء المنظمات الدولية، وتطوير القانون الدولي. كما وفرت إطارا مـستقرا يمكـن مـن خلاله أن تنبثق حكومات تمثيلية وأنظمة اقتصادية حرة في العديد من الدول. ومـع بداية القرن الحادي والعشرين، تبقـى الـسيادة قاعـدة أساسـية لتـوفير الـسلام والديموقراطية والرخاء.

وتواجه السيادة في نفس الوقت، تحديات من الداخل والخارج حيث تجاهـد الدول الضعيفة من أجل ممارسة حقها الشرعي في بسط سلطتها داخـل حـدودها. وتقسيم الحدود يجعل عملية مراقبة وضبط الحدود أكثر صـعوبة بالنـسبة لجميـع الدول. وتتخلى الحكومات عن حريتها في العمل في مقابل المنفعة التي تجنيها مـن خلال التعاون الجماعي. في حين تفرض الدول الخارجة علـى القـانون سـيادتها للخطر عن طريق اتباع سياسات متهـورة محفوفـة بالمخـاطر تهـدد مواطنيهـا والمجتمع الدولي على السواء. وينبغي علينـا تعـديل أفكارنـا وإجراءاتنـا وفقـاً للخصائص المستجدة.

العمل على تقوية الدول الضعيفة.

إن أحد التحديات التي تواجهها السيادة تنشأ عندما لا تملك الدول إلا القليل منها. ونجد الكثير من الدول حول العالم تفتقر إلى الشرعية وإلى القدرة اللازمتـين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لترجمة سيادتها الاسمية إلى حكم فعال. وتجد بعض الدول الضعيفة نفسها تواجه بعض المتمردين على قلب نظام الحكم، أو أمراء حرب يسعون للسيطرة على مناطق غير خاضعة لسلطة الدولة. وتستغل بعض الدول المجاورة نقاط الضعف هذه لدعم حركات التمرد أو الحركات الانفصالية. وحتى عند وجود دول موحدة، تجد المؤسسات الحكومية نفسها مقيدة نتيجة الفساد المستشري أو أسيرة عصابات الإجرام. عندما تتمكن الدول من ممارسة سيادتها، فإنها تمهد الطريق لحالة من عدم الاستقرار أو حتى حدوث فوضى سياسية في البلاد. ويمكن أن تنهار هذه الدول كلياً وتدخل في خانة "الدول العاجزة".

وحتى عهد قريب، كنا ما نزال ننظر إلى الدول العاجزة عن ممارسة سيادتها قبل كل شيء من خلال منظور إنساني حيث كانت تنير ضميرنا الأخلاقي. إلا أن تأثير ذلك على أمننا القومي كان يبدو ضعيفاً. وخلال التسعينات شدت الصومال وأفغانستان قلوبنا كما شدتا جيوبنا في بعض الأحيان ، إلا أننا آثرنا صرف النظر عن ذلك بوصفهما لا تملكان إلا القليل أو حتى أي أهمية استراتيجية.

وجاءت هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ لتنبهنا إلى أن الدول الضعيفة كما القوية، يمكن أن تهدد أمتنا عن طريق توفير الأرضية لعصابات الإجرام، وتجار المخدرات والإرهابيين. إن مثل هذا الخروج على القانون في الخارج يمكن أن يحدث الدمار والخراب هنا في الوطن، وإحدى أهم المهمات الملحة التي ينبغي علينا القيام بها هي العمل على الحيلولة دون وقوع الدول التي تعاني من الاضطرابات اليوم في خانة الدول العاجزة غداً.

كيف يجب أن نرد عندما تفتقر الدول الضعيفة إلى القدرة على ممارسة السيادة؟ في الظروف الاستثنائية، عندما تنهار إحدى الدول أو تكون غير مهيأة للاستقلال الرسمي، على المجتمع الدولي أن يقوم بالعديد من المسئوليات التي تضطلع بها حكومة ذات سيادة. وهذا الدور لعبته الأمم المتحدة في تيمور الشرقية لمساعدتها على الانتقال من وضع الإقليم المتصارع عليه في إندونيسيا إلى دولة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مستقلة كلياً. وفي النصف الثاني من الكرة الأرضية، تستمر الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي بالعمل بوصفهما أوصياء على السيادة في كوسوفو، في انتظار تحديد وضعها النهائي.

وفيما يختص بالدول العاجزة، يبدو أن القول المأثور: "درهم وقاية خير من قنطار علاج"، أصدق ما ينطبق عليها. وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلا أن انهيار ثماني دول في التسعينات بلغت أعلى حد حيث كلّفت المجتمع الدولي ما يزيد عن ٢٥٠ بليون دولار (٢٥٠،٠٠٠) مليون ولو تمت مساعدة تلك الدول قبل انهيارها بدلا من محاولة البناء بعد ذلك، لوفر ذلك الكثير من الأموال. واضعة هذا الهدف أمامها تقدم الولايات المتحدة المساعدات العسكرية والفنية والاقتصادية للدول المعرضة للانهيار ما تحتاجه من أجل تنفيذ الواجبات التي تقتضيها السيادة.

وفي قمة مونتري في آذار/مارس الماضي، أعلن الرئيس بوش عن إنشاء صندوق الألفية الثانية (MCA) والغرض من إنشائه هو تقوية الدول المستعدة لمباشرة السير نحو الاستقرار والتطور. وسيعمد الصندوق إلى زيادة المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة بنسبة ٥٠ بالمائة خلال السنوات الثلاث القادمة. غير أن هذه المبادرة ذات مغزى يتعدى حجم المعونات. إنها تمثل منهجاً جديداً في المساعدات الخارجية مبنية على مبدأ المسئولية المشتركة. وعلى الحكومات الجديرة بنيل هذه المساعدات الجديدة عليها أن تلتزم بأن تحكم بالعدل بين الناس، وتعزز الحريات الاقتصادية وتمنح السلطة للشعب.

وحول العالم، تقوم الولايات المتحدة بتقديم العون للحكومات الشريكة من أجل التغلب على التحديات السافرة التي تهدد بسط سيادتهم على أرضهم. وفي أمريكا الجنوبية، نقوم بمساعدة الدولة الكولومبية في مكافحتها تجار المخدرات الذين يهددون بنية المجتمع. وهكذا من كاسوس إلى جنوب شرقي آسيا إلى القرن الأفريقي، نحن نعمل مع الدول الواقعة عند الخطوط الأمامية للإرهاب من أجل تحسين قدرات تلك الدول بحيث تستطيع مواجهة الأخطار التي تتعرض لها من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الداخل وفي كل من جورجيا والفيليبين، على سبيل المثال، بدأنا برنـــامج "تـــدريب وإعداد" من أجل تعزيز قدرات القوى العسكرية الوطنية.

وتساهم الولايات المتحدة بنصيبها من أجل إعادة بناء الدول الخارجة لتوها من الحروب والنزاعات. ففي أفغانستان وحدها، تعمل أكثر مـــن عـــشرين وكالـــة أمريكية على الأرض موزعة مساعدات بقيمة ٨٤٠ مليون دولار من أجل غايـــات إنسانية وعملية إعادة البناء. كما نعمل مع الأفغـــانيين والـــشركاء الـــدوليين علـــى مساعدة السلطات المحلية على تأمين المأوى للاجئين واستعادة الاســـتقرار، وبنـــاء المؤسسات الحكومية، وعلى تسريع عملية البدء بالنشاط الاقتصادي. ويمكنهم رؤية جهود مماثلة تُبذل في البلقان، حيث تعمل الولايات المتحدة بالتعاون مع حلف شمال الأطلسي، والاتحاد الأوروبي، وOSCE وعدد لا يُحـــصى مـــن المنظمـــات غيـــر الحكومية، من أجل إنجاز مهمة توحيد أوروبا حرة وفي حالة سلام.

ضبط مساوئ الحدود المفتوحة:

إن ثاني أكبر تحد للسيادة تطرحه قضية الحدود المفتوحـــة التـــي تعـــصر قدرات جميع الدول في سعيها لحراسة حدودها، وضـــبط التـــدفق عبـــر الحـــدود، وحماية المواطنين من الأخطار الخارجية.

إن عملية فتح الحدود بين الدول هي خلاصة لمجموعـــة مـــن العلاقـــات والتفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التـــي تختـــصر المـــسافات وتزيد من إمكانية المرور عبر الحدود التقليدية لتأخذ طابع التدفق السريع للبـــضائع، والرساميل، والناس والأفكار، والمعلومات. إنها تتعدى اتكال الواحد علـــى الآخـــر بشكله المبسط الذي ينطوي على فكرة تأثير كل بلد على الآخر. إنها تصور انفجاراً لتدفق والمعاملات التجارية عبر الحدود يقوم بها بشكل رئيسي ممثلون عن القطـــاع الخاص والتي غالباً ما تجري خارج نطاق مراقبة الحكومة الوطنية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن الحدود المفتوحة بين البلدان، بالإضافة إلى توفيرها بـــضائع حقيقيـــة، فإنها تسهل من تدفق "الممنوعات" المتعددة. إن الشبكات التي تسهل انتقـــال بلايـــين الدولارات (آلاف الملايين) من رساميل الاستثمارات حول العالم كل يوم يمكنهـــا، هي نفسها، أن تبث عدوى الانهيارات المالية.

إن فتح الحدود يتطلب عملية تنظيم. وينبغي على الحكومـــات أن تـــسخر الإدارة السياسية والموارد لاستعادة بسط سيادتها على الحدود لضبط التـــدفق الـــذي يهدد أمنها كما يهدد الصالح العام. وعلى الولايات المتحدة العمل بشكل إفرادي فـــي بعض الأحيان، مع الآخرين في أغلب الأحيان من أجل اقتفاء أثر شبكات الإرهـــاب والقضاء على تجارة المخدرات الدولية، وإنهاء تجارة نقل النـــاس عبـــر الحـــدود بصورة غير قانونية، ووقف تكاثر أسلحة الدمار الشامل، وضبط انتشار الأمـــراض المعدية، والتخفيف من التأثيرات السلبية لتدفق السيولة الماليـــة علـــى الاســـتقرار المالي.

إن الصراع الدولي ضد الإرهاب يظهر كيف أننـــا نُعـــدل مـــن مفاهيمنـــا للسيادة لمعالجة أخطار هذا العصر. وخلال السنة التي مضت، عملـــت الولايـــات المتحدة على أساس ثنائي، كما مع منتديات متعددة الجوانب مثـــل (G-8) مجموعـــة الدول الصناعية الثمانية، ومع (APEC) منتدى التعاون الاقتـــصادي لـــدول آســـيا – الباسيفيك على إنشاء مبادرة أمن الحاويات. والغرض من هذه المبـــادرة هـــو منـــع الإرهابيين من استغلال شبكات النقل التجاري العالمية، وفي نفس الوقـــت ضـــمان استمرار نقل البضائع القانونية بطريقة أكثر فعالية. نتيجـــة ذلـــك، يعمـــل موظفـــو الجمارك الأمريكيون على أرصفة موانئ هاليفاكس وناتويرب مع زملائهم في تلـــك البلاد. وقريبا سيتواجدون في هونغ كونغ وسنغافورة. وبـــشكل مـــوازٍ، سيرســـل شركاؤنا الأجانب مفتشين لمساعدتنا في تفتيش البضائع المـــشحونة مـــن المـــوانئ الأمريكية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونحن نتخذ خطوات مماثلة من أجل عملية ضبط تدفق الأشياء الخطرة عبر الحدود. وكجزء من عملية مراقبتنا للتسلح والجهود التي نبذلها لمنع تكاثر أسلحة الدمار الشامل، فقد عمدنا إلى تقوية أجهزة مراقبة الصادرات لمنع انتشار الأسلحة. وتضم مجموعة التجهيز النووي، ومجموعة أستراليا، وهي نحظر انتشار الأسلحة الكيمائية والبيولوجية بالإضافة إلى المواد اللازمة لتصنيعها ومعرفة أسرارها.

ونحن نواصل سعينا لوضع ترتيبات مماثلة من أجل تنظيم أجهزة إطلاق الصواريخ المحمولة، وهي أسلحة تشكل خطراً متزايداً على الطيران المدني. كما رأينا ذلك الشهر الماضي في كينيا.

وقد دعمنا مبادرات لمكافحة تبييض الأموال من قبل عصابات الإجرام والإرهابيين. على سبيل المثال، ساعدنا على إعادة تنشيط قوة الطوارئ الخاصة بالعمليات المالية، وهو نظام عالمي أنشئ لتحسين شفافية تدفق الأموال في العالم بالتشجيع على سلوك "أفضل ممارسة" و"تسمية وفضح" كل من لا يتبنى هذا النظام.

وأخيراً نحن نسعى إلى معالجة الأمراض المعدية التي تهدد حياة الملايين من الناس. لقد قمنا بأكبر مبادرة فردية في تبرعنا إلى الصندوق العالمي من أجل محاربة مرض نقص المناعة المكتسبة HIV/AIDS والسل والملاريا. وهذا الصندوق هو هيئة مشتركة خاصة، عامة تم إنشاؤها مؤخراً لمحاربة الأوبئة الأكثر خطورة في العالم.

ارتهان السيادة

إن التحدي الثالث الذي تواجهه السيادة هو هذه النزعة نحو ارتهان أو توكيل حقوق السيادة طوعياً من أجل كسب الفوائد الناتجة عن التعاون مع مجموعة من الدول. وفي حين يزول التمييز بين "الأجنبي والمحلي" وبينما يتكامل الاقتصاد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوطني مع الأسواق العالمية، تجد الحكومات والشعوب جميعها صعوبة أكبر في تحقيق الأمن والرخاء والخير العام من خلال الجهود التي تقوم بها بمفردها.

تزداد حدة النقاش حول موضوع التخلي عن السيادة طوعياً في الارتفاع عندما يبدأ المواطنون بتخيل المعاني المتضمنة المتعلقة بهويتهم الوطنية، ومؤسساتهم الديموقراطية. ونحن نرى ذلك يحدث اليوم في أوروبا، حيث تتخلى البلدان عن الاستقلال إلى درجة لم تعهد منذ أيام شارلمان. وفي خطوة لم يكن لأحد أن يتخيلها قبل جيلين من الآن. تم استبدال المارك والفرنك والليرة باليورو. وكما يخطط لجولة جديدة في التوسع. فإن الاتحاد الأوروبي يعمل بجهد لوضع دستور فدرالي، والذي يتطلب على الأرجح المزيد من التنازل عن السيادة من قبل الحكومات الوطنية لصالح برلمان أوروبي أقوى، ومفوضية، ومجلس أو ربما رئيس أوروبي أيضاً. وهذا التحول يحفل بالذكريات (ويملك أسباب القوة ذاتها) للتحول الذي جرى قبل قرنين في بلادنا، عندما انتقلنا من مجموعة ولايات مفككة وفي بنود الاتحاد الكونفدرالي لنصبح اتحادا فدراليا فاعلا وفقا للدستور.

وخارج أوروبا، لا يوجد إلا القليل من البلدان المستعدة للتنازل عن هذه السلطة إلى مؤسسات تتخطى حدودها السلطة "القومية" غير أن جميع الدول تواجه مأزقا أساسياً يتكرر باستمرار وذلك عندما يتعلق الأمر بمقايضة حريتها بالعمل مقابل تعزيز قدرتها على صياغة مستقبلها. وقد علمتنا التجارب أن من المنطق أن تفوض الدول، حتى الكبرى منها كالولايات المتحدة، السيادة لمؤسسات عالمية في مقابل فوائد ملموسة تحصل عليها وقد لا تكون في المتناول بغير ذلك.

في حياتنا اليومية نرى أن التنازل عن الحرية المطلقة من أجل المصلحة العامة هو أمر نفعله على الدوام. فعند قيادتنا السيارة نلتزم بالإشارات الضوئية وذلك من أجل سلامتنا وسلامة الآخرين ونعتمد على الآخرين في أن يفعلوا ذلك أيضاً. تصوروا الفوضى التي يمكن أن تحصل إذا ما حاول أحدنا قيادة السيارة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الجانب الأيسر من الطريق بدلاً من الجانب الأيمن. أو إذا ما قام البعض بقيادة سياراتهم خلال الليل دون استخدام الأضواء الكاشفة.

يعتمد النظام الدولي مثله مثل النظام الاجتماعي على "قوانين السير". إن التعاون بين الدول ذات السيادة لا يمكن أن يحصل إلا إذا وافقت تلك الدول على وضع قيود لسلوكها واعترفت بالتزاماتها المتبادلة. متى ينبغي أن تتنازل الولايات المتحدة عن بعض سيادتها لتنخرط في سلك مؤسسات تنتمي لدول عدة؟ والجواب الواقعي الوحيد هو: "ذلك يتوقف على". والسؤال المطروح عندما نأخذ بالاعتبار المؤسسة الدولية المقترحة، هو ما إذا كانت الترتيبات المقترحة والتي يمكن أن تشمل إمكانية تنبؤ أكبر، ومشاركة بالأعباء، وشرعية دولية تفوق في مجموعها التكلفة بما فيها فقدان استقلالية السياسة والمرونة.

وفي بعض الأحيان، يكون التنازل أو التخلي عن السيادة مبرراً. فلنأخذ وضع التجارة علي سبيل المثال، خلال الثلاثينات، حاولت الدول التخفيف من حجم البطالة وزيادة الناتج المحلي عن طريق زيادة الرسوم الجمركية ووضع القيود على المواد المستوردة. وعن طريق تخفيض قيمة عملاتها أيضاً من أجل تشجيع عملية التصدير والحد من الاستيراد وسرعان ما ردت دول أخرى بالمثل على هذه التدابير. وانهارت الأسواق العالمية وانحدر العالم بسرعة لولبية نحو الكساد الاقتصادي الكبير.

وإدراكاً منها خطورة اتباع سياسات من نوع "أفقِر جارك" حيث يخسر الجميع. وقامت الولايات المتحدة، بوصفها "رأس الحربة"، في وضع الاتفاقية العامة حول الرسوم والتجارة أو(GATI) وهو منتدى يسعى إلى إزالة العوائق أمام التجارة الحرة حيث ينفق على الإجراءات بشكل ثنائي. وقد أثبتت هذه الاتفاقية نجاحها على نحو مفرط. وعند نهاية القرن العشرين كان حجم التجارة العالمية قد وصل إلى اثنين وعشرين ضعفاً مما كان عليه في عام ١٩٥٠، ومع ذلك، برهن هذا النظام على عدم قدرته على إيجاد حلول للعديد من الخلافات التجارية الأكثر حدة وكانت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النتيجة أن افتقرت فوائد التجارة الحرة بشكل رئيسي على زيادة النمو، وتوفير فرص عمل أفضل، وتوفير السلع الاستهلاكية بسعر أدنى.

وجاء إنشاء منظمة التجارة العالمية (WTO) في العام ١٩٩٥ ليضع للمرة الأولى نظاماً جماعياً قوياً لحل الخلافات التجارية. وتقضي هذه الاتفاقية بأن على الأعضاء في منظمة التجارة العالمية أن يقدموا اعتراضاتهم من خلال نظام تسوية خلافات ملزم بدلاً من التصرف بشكل إفرادي. وإذا تمنّع الأعضاء من الانصياع للقرارات، عندها يتوجب عليهم إما أن يقدموا تعويضات يتفق الطرفان المختلفان عليها أو أن يتعرضا لعقوبات اقتصادية. وتساند الولايات المتحدة هذا النظام لحل الخلافات، ليس لأننا على يقين بأن المحكمة ستصدر حكمها لصالحنا على الدوام، بل لأن المستهلك الأمريكي، والمصدِّرين والمستثمرين لديهم مصلحة أساسية في وجود نظام تجاري حر يعمل وفقاً لحكم القانون.

وفي سياق مماثل، تخلت الولايات المتحدة طوعياً عن بعض حريتها في العمل بموافقتها على اتفاقية الأسلحة الكيمائية .(CWC) وهي أول اتفاقية دولية تحظر إنتاج ونقل واستخدام طائفة كاملة من أسلحة الغاز السام. ويقضي نظام التفتيش الذي يملك حرية التدخل، بأن يفتح جميع الفرقاء أبواب منشآتهم العسكرية، ومنشآت الصناعات الكيميائية أمام التفتيش الدولي. وفوائد الحد من حرية الحركة في هذا المجال تفوق بشكل كبير الثمن الذي ندفعه. وبما أننا سبق أن تخلصنا من الأسلحة الكيميائية، فلا شيء نخسره من إجراء عملية التفتيش. وإننا نكسب الكثير من تطبيق معاهدة الحد من الأسلحة الكيميائية التي تساعدنا على التثبت من انصياع الدول البالغ عددها ١٤٠ الموقِّعة على الاتفاقية، والحكومات التي تنفي وجود مثل تلك الأسلحة لديها، مثل حكومة صدام حسين التي تستمر في رفضها التخلص من تلك الأسلحة المروعة.

إلا أننا في بعض الأحيان نجد أنفسنا مرغمين على الامتناع عن المشاركة في مساعٍ تقوم بها مجموعة من الدول. وأحد الأمثال على ذلك هو قرارنا بعدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الانضمام إلى محكمة الجنايات الدولية (ICC). إن تعهدات الولايات المتحدة تجاه العدالة الدولية هو أمر راسخ. لقد كنا في الطليعة عند إنشاء المحاكم الخاصة في جرائم الحرب في كل من رواندا ويوغوسلافيا السابقة. وفي نفس الوقت، وصلنا إلى قرار بعدم مساندة محكمة الجنايات الدولية في شكلها الحالي، خوفاً من إمكانية تعريض مواطنين أمريكيين لخطر المحاكمة من أجل أغراض سياسية في نظام لا يملك الضوابط والموازين الأساسية، ولا يتوفر فيه حق الاستئناف.

والأمر الثاني هو قرارنا بالانسحاب من اتفاقية كيوتو. ففي حين أننا مطّلعون على مشكلة تغير المناخ في العالم وملتزمين بالعمل على التخفيف من آثارها إلا أننا نعتبر أن الاتفاقية هي وثيقة معيبة تُحمِّل الولايات المتحدة عبء إجراء تعديلات غير مناسبة في حين لا تتعرض أية التزامات على تعديلات غير مناسبة في حين لا تفرض أية التزامات على الدول الرئيسية من دول العالم الثالث، بما فيها الصين والهند. إن بروتوكول كيوتو لا يوفر إلا القليل من المكاسب البيئية في مقابل إحداث متاعب اقتصادية أكبر.

ليس شيكاً على بياض

إن آخر تحدٍ للسيادة أريد أن أسلط الأضواء عليه ينشأ عندما تُسلب السيادة وليس عندما تتنازل الدول عن سيادتها بملء إرادتها. وهذه هي نتيجة لإحدى أكثر التطورات أهمية خلال العقود الماضية: إنه الإجماع العالمي المستجد الذي يعتبر أن السيادة تتوقف على تنفيذ كل دولة لبعض الالتزامات الأساسية نحو مواطنيها من جهة ونحو المجتمع الدولي من جهة أخرى. وعندما يتخلى أي نظام عن الارتقاء لمستوى المسئوليات أو يسيء استخدام صلاحياته، فإنه يجازف في فقدان امتيازاته بالسيادة والتي تشمل ، في أقصى الحالات، حصانته ضد التدخل العسكري.

وأعتقد أن الاستثناءات لقاعدة عدم التدخل تُجاز في ثلاث حالات على الأقل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن الأهلية الأولى للسيادة تأتي عندما ترتكب أو تفشل ف يمنع أعمال الإبادة الجماعية أو ارتكاب جرائم ضد الإنسانية على أراضيها. عندها يملك المجتمع الدولي الحق، وفي الواقع، في بعض الحالات، ملزم بالعمل لحماية أرواح الأبرياء.

وكما قال الرئيس التشيكي فاكلاف هافيل في مؤتمر القمة الذي عقده حلف شمال الأطلسي في براغ في تشرين الثاني (نوفمبر) "إن حياة الناس، وحرية الناس، وكرامة الناس تمثل قيماً أسمى من سيادة الدولة". إن مجموعة من القوانين التي تتعلق بحقوق الإنسان وحقوق الإنسانية، المحفوظة في الاتفاقية الموقعة حول الإبادة الجماعية والحقوق المدنية والسياسية تقضي بأن الأفراد، كما الدول، تمتلك حقوقاً أساسية.

إن الحكومات التي ترتكب مثل هذه الجرائم، أو تسمح بحدوث هذه الجرائم نتيجة ضعفها أو رغم إرادتها يجب أن تتم محاسبتها. إن مبدأ عدم التدخل لم يعد مقدساً بعد الآن حتى داخل أروقة الأمم المتحدة، وهي هيئة أنشأتها الدول المستقلة وتعمل من أجل سيادة واستقلال الدول. وكما أعلن الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في أيلول ١٩٩٩، "أن الدول المصممة على انتهاج سلوك إجرامي، يجب أن تدرك أن الحدود لا تؤمن لها الحماية المطلقة. ويجب ألا نسمح بالاستمرار في انتهاك حقوق الإنسان بشكل نظامي وخطير في أي مكان من العالم.

وداخل العالم الثالث، أيضاً، هناك إدراك ناشئ بوجوب وجود حدود للسيادة. ونرى ذلك في مرسوم إنشاء الاتحاد الأفريقي الذي حل مكان منظمة الوحدة الأفريقية (OAU). وخلافاً لمنظمة الوحدة الأفريقية التي كانت تنظر إلى عدم التدخل على أنه مبدأ أساسي راسخ، فإن الاتحاد الأفريقي الجديد يلزم جميع الأعضاء باحترام حقوق الإنسان والحكم الجيد. وقد أنشئ من أجل ذلك نظام مراجعة لمراقبة حسن تطبيق هذه التعهدات. وقد شهدنا تطوراً مماثلاً في النصف الغربي من الكرة الأرضية، حيث تعهدت جميع البلدان الأعضاء في منظمة الدول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأمريكية، ما عدا كوبا بانتهاج شرعة الديموقراطية، متعهدين بمعارضة أي إعاقة للعملية الديموقراطية.

ونحن نرى تغيراً مشابهاً للآراء العالمية حول مسئولية الدول بمكافحة الإرهاب. وهذه هي النقطة الثانية الدالة على الإجماع العالمي المتنامي. بكل بساطة، إن الدول تملك الحق باتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية مواطنيها ضد تلك الدول التي تحرض وتساند وترعى الإرهابيين الدوليين، أو تلك غير القادرة على ضبط الإرهابيين الذين يعملون على أراضيها.

وكما أعلن الرئيس بوش عند عرضه لإستراتيجية الأمن الوطني "إن على جميع الأمم مسئوليات مهمة. يجب على الدول التي تتمتع بالحريات أن تحارب الإرهاب". وتقف الولايات المتحدة على أهبة الاستعداد لمساعدة الحكومات كي تواجه هذه المسئولية المقدسة. وعندما تتردد الدول أو تمتنع عن تأدية هذا الواجب الأساسي، سنعمل مع شركائنا وبمفردنا إذا ما دعت الحاجة على محاسبتهم.

وأخيراً، فإن الدول تعرض نفسها لفقدان سيادتها عندما تتخذ خطوات تمثل تهديداً واضحاً للأمن الدولي. عندما تسعى بعض الأنظمة التي يحفل تاريخها بالتعدي على حقوق الآخرين وبدعمها للإرهاب للحصول على أسلحة الدمار الشامل، مهددة بذلك المجتمع الدولي، فإنها بذلك تعرض سيادتها لخطر التدخل الخارجي وذا يشمل تدمير قدراتها المتنامية قبل استعمالها.

إن حق الدفاع عن النفس الذي يشمل الحق في القيام بعمل "إجهاضي" ضد خطر واضح وشيك الحدوث هو أمر معترف به منذ وقت طويل في القانون الدولي وفي الممارسة. إن التحدي اليوم هو في الأخذ بمبدأ الدفاع عن النفس ليتكيف مع الأخطار الاستثنائية التي يشكلها تكاثر أسلحة الدمار الشامل. وقد ميز المحامون الدوليون بين القيام بعمل إجهاض خطر وشيك والذي اعتبروه عملاً شرعياً، وبين القيام "بعمل وقائي" يُتخذ ضد قدرات قيد النمو، والذي اعتبروه قابلا للنقاش. ومع ذلك، فإن هذا التمييز التقليدي قد بدأ يزول. إن الخداع الذي مارسته الأنظمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الديكتاتورية قد جعل التمييز بين القدرة على الهجوم قرب حدوث الهجوم أكثر صعوبة. كما أنه من الصعب في أغلب الأحيان، معرفة نوايا بعض الدول، مما يدفعنا إلى الحكم عليها من خلال خلفية سلوكها العدواني في الماضي. والأمر الأكثر أهمية هو أن ازدياد الأسلحة المسببة للمآسي يعني أن كلفة الاستخفاف بالأخطار المحتملة الناجمة عنها ضخمة جداً. وفي مواجهة أخطار جديدة مجهولة كهذه، يجب أن نكون أكثر استعداداً مما مضى لنتأمل ما أوضحه قبل قرن ونصف من الآن وزير الخارجية آنذاك دانيال وبستر بعبارة "الدفاع عن النفس عن طريق استباق الحدث".

واجبات السيادة

في الحالات الثلاث التي أوجزتها لتوي وهي وقف الإبادة الجماعية، ومحاربة الإرهاب، والحيلولة دون انتشار أسلحة الدمار الشامل، يبقى المبدأ كما هو. مع الحقوق تأتي الواجبات. السيادة ليست مطلقة. إنها مشروطة. عندما تنتهك الدول أبسط القواعد بارتكاب أو السماح أو التهديد بالقيام بأعمال ضد أبناء شعبها أو ضد بلدان أخرى، فإنها بذلك تعرِّض بعضاً من امتيازات السيادة للخسران.

وما زال العالم يتلمس طريقة للوصول إلى إجماع حول التزامات السيادة والخطوات الواجب اتخاذها عند رفض الدول القيام بذلك. وفي مطلق الأحوال، يجب أن ترفع الحواجز أما التدخل المسلح. ولا يمكن أن تكون السيادة غطاءاً لكل طاغية بغيض. إن إدارة الرئيس بوش تعي ضرورة التعقل وضبط النفس قبل القيام بعمل يمس سيادة دولة أخرى. وكما قال وزير الخارجية باول في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٢ إن أي عمل مماثل يجب أن تقوم به بعناية كبيرة وحكمة وبتفهم واضح للواجبات الملقاة على عاتقنا كعضو مسئول في المجتمع الدولي.

إن الغرض من التعقل واضح المعالم. فبالرغم من أن السيادة أصبحت تعتبر مطلقة بشكل أقل ومشروطة بشكل أكثر مما كانت عليه في الماضي فإنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبقى كما كانت منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف القرن الدعامة الأساسية... وبشكل قابل للجدل الدعامة المركزية... للنظام العالمي. ولا نريد أن نعود إلى عالم تتــدخل فيه الحكومات على الدوام في شئون الدول الأخرى. ففي عصر الأسلحة التقليديــة المتطورة والمعدات الجديدة للدمار الشامل، فإن هذا يبدو كوصفة للانتحار. وهكــذا يجب أن يكون هناك تسليم كلي لصالح احتــرام الــسيادة. ولكــن وكمــا تــوحي ملاحظاتي هذا المساء، يجب أن نتوصل إلى إيجاد توازن جديد بين حقوق الــدول وواجباتها. وهذا المفهوم الجديد للسيادة يجب أن يتكيف مع حاجات الدول الضعيفة، ويتهيأ للقوى المترتبة عن فتح الحدود (العولمة)، ويتلاءم مع الحاجة إلى التعــاون، ويتعاطى مع مسألة الأنظمة الدكتاتورية. إن قدرتنا على تحقيق هذا التوازن الجديــد هي التي في النهاية ستحدد ما إذا كنا قادرين على أن نبتدع عالماً أكثر أماناً وأكثــر عدلاً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرئيس بوش يقترح إقامة منطقة تجارة حرة مع الشرق الأوسط

خلال ١٠ سنوات

(واشنطن، ٩ أيار/مايو)

قبل ستة وأربعين عاما، جاء السناتور جون إف. كيندي إلى هذا الحرم الجامعي كي يلقي خطابا في صف خريجي عام ١٩٥٧. وقد تحدث عن المشاكل العظيمة في ذلك العصر، بما فيها، كما قال، حل عقدة الشرق الأوسط، المنطقة التي تفيض بالنزاع والكراهية.

وفي العقود التي أعقبت ذلك، بدا ذلك النزاع والكراهية، أحيانا، وكأنهما كارثة بعيدة عنا، وليس لهما شأن كبير بأميركا. لكن بعد ١١ أيلول/سبتمبر، فإن جيلكم والبلاد بأسرها يعرفان، أفضل من ذلك.

في عصر من الإرهاب العالمي وأسلحة الدمار الشامل، ما يحدث في الشرق الأوسط يهم أميركا كثيرا. فمرارة تلك المنطقة يمكنها أن تجلب العنف والمعاناة لمدننا. وإن تقدم الحرية والسلام في الشرق الأوسط من شأنه أن يمتص هذه المرارة ويضاعف أمننا. وعليه، أريد اليوم أن أناقش معكم هدفا عظيما لهذه الدولة. إننا سنستخدم نفوذنا ومثاليتنا لاستبدال الكراهيات القديمة بآمال جديدة عبر الشرق الأوسط.

إن وقتا من الفرص التاريخية قد حل. فدكتاتور في العراق قد أزيح عن السلطة. وإرهابيو تلك المنطقة يرون الآن مصيرهم-- الحياة القصيرة التعسة للهارب. والمصلحون في الشرق الأوسط يكسبون نفوذا، وزخم الحرية في تنام. وقد وصلنا إلى لحظة من الوعد الهائل، وستنتهز الولايات المتحدة هذه اللحظة من أجل السلام.

إن مستقبل السلام يتطلب إلحاق الهزيمة بالإرهاب؛ وعليه فإن أميركا وتحالفا كبيرا من الدول تشن حربا عالمية لا هوادة فيها على الإرهابيين،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونحن نحقق انتصارا.

في معركة أفغانستان، دمرنا واحدا من أكثر الأنظمة طغيانا على وجه الأرض، ودمرنا الكثير من الإرهابيين الذين كان يؤويهم.

وعبر ست قارات كانت أميركا وأصدقاؤنا وحلفاؤنا وما زالوا يتصيدون الإرهابيين واحدا تلو الآخر ويحيلونهم إلى العدالة، وفي معركة العراق، واجهنا نظاما ساعد الإرهابيين، وسلح نفسه بأسلحة دمار شامل لتهديد السلام، واضطهد أبناء شعبه. ذلك النظام اليوم لم يعد قائما.

وخلال هذه الأشهر العشرين شاهد العالم تصميم الشعب الأميركي، ورأى العالم قوة ومهارة وشجاعة القوات المسلحة الأميركية. لقد تصرف رجالنا ونساؤنا في القوات المسلحة بشجاعة وتهذيب، ووفق أسمى تقاليد هذه البلاد، ودولتنا ممتنة لهم على ذلك. وبالنسبة إلى أولئك منكم الذين سيلتحقون بفيالق التدريب كضباط احتياط، ستدخلون قوات مسلحة ستبقى دائما في الطليعة.

دولتنا قوية. وأعظم قوة لدينا هي أننا نخدم قضية الحرية. إننا نؤيد تقدم الحرية في الشرق الأوسط لأنها مبدأ مؤسس، ولأنها تخدم مصلحتنا القومية. فأيديولوجية الإرهاب المبنية على الكراهية تكيفها وتغذيها وتحميها أنظمة طغيانية. أما الدول الحرة، فهي على نقيض ذلك، تشجع الإبداع والتسامح والمشاريع الحرة، وفي تلك الدول الحرة، فإن جاذبية التطرف تذوي وتموت.

إن الحكومات الحرة لا تبني أسلحة دمار شامل من أجل الإرهاب الجماعي. إننا نعتقد أن توسع الحرية في جميع أنحاء العالم، مع مرور الوقت، هو أفضل ضمانة للأمن في جميع العالم. الحرية هي الطريق إلى السلام.

يعتقد البعض أن الديموقراطية في الشرق الأوسط هي بعيدة الاحتمال إن لم تكن مستحيلة. وهم يجادلون بأن شعوب الشرق الأوسط ليست لديها رغبة كبيرة في الحرية أو الحكم الذاتي. ونفس هذه الحجج سمعت من قبل في أوقات أخرى عن شعوب أخرى. فبعد الحرب العالمية الثانية، شك كثيرون بأن ألمانيا واليابان،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بتاريخهما من الحكم الاستبدادي والجيوش العدوانية، تستطيع أبدا أن تعمل كمجتمعات حرة ومسالمة. وفي الحرب الباردة، قيل لنا إن الشيوعية الإمبريالية هي شيء دائم، وإن الجدار الحديدي سيبقى إلى الأبد. وفي كل واحدة من هذه الحالات، في ألمانيا، وفي اليابان وأوروبا الشرقية وفي روسيا، أبدى المتشككون ارتيابهم، ثم قال التاريخ كلمته.

كل معلم من الحرية خلال الستين عاما الماضية أعلن أنه شيء مستحيل حتى نفس اللحظة التي حدث فيها. إن تاريخ العالم الحديث يقدم درسا للمتشككين: لا تراهنوا ضد نجاح الحرية.

لقد تقدمت الحرية لأن الرغبة في الحرية والعدالة كائنة في كل قلب بشري. ويتقاسم الرجال والنساء من العالم الإسلامي، وهم خمس عدد سكان العالم اليوم، أمل الحرية هذا. لقد تقدمت الحرية لأنها السبيل لانتشال الملايين من الفقر وتحسين حياتهم. فحيث تحجب الحرية، يعيش الناس في عزلة وجمود. وحيث يُرحب بالحرية، يستطيع الناس من كل ثقافة أن يزدهروا. وقد تقدمت الحرية في عصرنا لأنه في اللحظات الحاسمة، عمل رجال ونساء شجعان وضحوا من أجلها، وقد وقفت الولايات المتحدة إلى جانبهم. وهذه هي الكيفية التي أصبح بها منشقون وسجناء سياسيون قادة دول متحررة حديثا. وهذه هي الكيفية التي أصبح بها أعداء سابقون أصدقاء مخلصين للولايات المتحدة.

إن الشرق الأوسط يشكل عقبات كثيرة أمام تقدم الحرية، وأنا أدرك بأن هذا التحول سيكون صعبا. وقد أصدر مؤخرا فريق من ٣٠ باحثا عربيا تقريرا يصف فيه "عجز الحرية" في الشرق الأوسط، مستشهدا بنوع خاص بالافتقار إلى حقوق الإنسان وسوء التعليم. وحددوا أيضا الاضطهاد الاجتماعي للمرأة بأنه حاجز رئيسي أمام التقدم. وهم على حق. فلا يستطيع مجتمع أن ينجح ويزدهر بينما يحجب الحقوق والفرص الأساسية عن نساء بلده.

ورغم كل التحديات، نرى أيضا مؤشرات تغيير تبشر بالأمل. فنصف

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميع الشعوب الإسلامية تقريبا يعيش اليوم في ظل حكم ديمقراطي في دول من تركيا إلى إندونيسيا. وقد عقدت حكومتا البحرين والمغرب انتخابات حرة مؤخرا، وسيعقد الأردن انتخابات في الشهر القادم. ووافق شعب قطر على دستور جديد يضمن الحريات الأساسية. واقترح الأمير عبد الله ولي عهد المملكة العربية السعودية ميثاقا عربيا جديدا يدعو إلى إصلاح داخلي ويعزز المشاركة السياسية في دول تلك المنطقة. وفي إيران، تتحرك الرغبة في الحرية. وفي وجه قمع قاس، يرفع بعض الإيرانيين أصواتهم بشجاعة داعين إلى الديموقراطية وحكم القانون وحقوق الإنسان. والولايات المتحدة تؤيد بقوة تطلعاتهم إلى الحرية.

إن الذين يغذون الكراهية يريدون أن يوجدوا انشقاقا بين الشرق والغرب. ومع ذلك، ففي الرغبة المتنامية لنيل الحرية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ليس هناك تصادم بين الحضارات. فعندما يقاوم الإرهابيون والطغاة ويهاجمون الحرية، فإنهم يقاومون ويهاجمون آمال المسلمين في كل مكان.

وعندما يذهب إرهابيون في مهمات انتحارية وقتل، فهم يشوهون التعاليم الأخلاقية السامية للإسلام نفسه. فطموحهم الحقيقي هو أن يسيطروا ويتحكموا ويعيدوا قولبة مجتمعات بأكملها وفق صورتهم القاسية. إن كبتا من النوع الذي مارسه صدام حسين وطالبان ليس هو موجة المستقبل. الناس الأحرار، لا الطغاة أو القتلة هم الذين سيحددون مجرى التاريخ.

إن الحرية آخذة في الترسخ في أفغانستان والعراق، وهما بلدان يعيش بهما أكثر من ٥٠ مليون شخص جرى تحريرهم حديثا؛ بلدان يبنيان لنفسيهما مؤسسات الحكم الذاتي. ودولتنا لديها مسئولية خاصة تجاه هذين البلدين، مسئوليات سنتحملها.

في أفغانستان، تساعد أميركا وحلفاؤنا في بناء الطرق، وتدريب الشرطة وإعادة بناء المدارس. وهذا الصيف، في اجتماعات في المجالس البلدية عبر البلاد، سيناقش الأفغانيون مسودة دستور جديد، وفي الخريف ستنعقد جمعية وطنية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للمصادقة على دستور لأفغانستان حرة وديموقراطية. ويواجه الشعب الأفغاني كفاحا متوصلا في إعادة بناء حكومته ودولته، إلا أن الأيام التي كانت فيها النساء يتعرضن للضرب في الشوارع ويعدمن في ملاعب كرة القدم قد ولّت.

وفي العراق، نقوم الآن بإعادة تشغيل الكهرباء وتوصيل المياه، ونوفر الدواء والإمدادات، ونزيل السفاحين الذين يهددون سلام البلاد ونظامها. وقد عقد المواطنون العراقيون مؤتمرين كبيرين لمناقشة مستقبل بلدهم، وتعهدوا باتباع طريق الحكم الذاتي. وقريبا سيختار العراقيون من كل مجموعة عرقية أعضاء سلطة انتقالية. إن الشعب العراقي يبني مجتمعا حرا من الصفر، وهو قادر على عمل ذلك لأن الدكتاتور ونظامه لم يعودوا هناك.

إن أميركا تعمل مع حكومات ومصلحين في جميع أنحاء الشرق الأوسط. ونحن نقوي الروابط عن طريق مبادرتنا للشراكة مع الشرق الأوسط. وكخطوة أخرى، سيجتمع وزير الخارجية باول والممثل التجاري زيليك مع قادة إقليميين في الأردن الشهر القادم لمناقشة أجندة التقدم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي. فالتقدم يتطلب ويعزز التجارة التي هي محرك التنمية الاقتصادية.

إن كامل الناتج المحلي الإجمالي لجميع الدول العربية هو أصغر من ذاك الذي لأسبانيا. وشعوب هذه الدول لديها وصول إلى الإنترنت أقل من شعوب منطقة أفريقيا جنوب الصحراء. إن العالم العربي لديه تقليد ثقافي عظيم، لكنه إلى حد كبير يفتقر إلى النمو الاقتصادي لعصرنا. لقد ساعدت الأسواق والتجارة الحرة عبر العالم على هزم الفقر، وعلمت الرجال والنساء عادات الحرية. وعليه فإنني أقترح إنشاء منطقة تجارة حرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط خلال عقد من الزمن لإدخال الشرق الأوسط في دائرة متسعة من الفرص، لتوفير أمل للشعوب التي تعيش في تلك المنطقة.

سنعمل بالتعاون من شركائنا لكي نضمن حصول المؤسسات التجارية الصغيرة والمتوسطة على رأس المال، وسنوفر الدعم والمساعدة للمنطقة من أجل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تطوير قوانين الملكية والممارسات التجارية السليمة. فباستبدال الفساد والمنافع الشخصية بمبادئ السوق الحرة والقوانين النزيهة، ستنعم شعوب الشرق الأوسط بالازدهار والحرية.

وتتطلب الإفادة القصوى من الفرص الاقتصادية تعليما أفضل وأشمل وخاصة بالنسبة للمرأة التي عانت أكبر قدر من الضرر والحرمان. وسنعمل على تحسين وضع تعليم القراءة ومحو الأمية لدى البنات والنساء بناء على التجارب المكتسبة من المجهود ذاته في أفغانستان والمغرب واليمن. وسنوفر الموارد اللازمة من أجل ترجمة كتب القراءة للمراحل التعليمية المبكرة إلى اللغة العربية ثم التبرع بهذه الكتب إلى المدارس الابتدائية في المنطقة.

ويعتمد النجاح الاقتصادي وتحقيق الكرامة الإنسانية على السواء في النهاية على حكم القانون، والإدارة الشريفة للقضاء.

ولذا، فإن أميركا سترعى بالتعاون مع حكومة البحرين ندوة إقليمية لبحث الإصلاح القضائي. وإنه لمن دواعي سروري أن عضو المحكمة العليا ساندرا داي أوكونور قد وافقت على ترؤس هذا المجهود.

هذا وفي الوقت الذي تتسع فيه التجارة في الشرق الأوسط وينتشر التعليم وتنال المرأة مكانتها من المساواة والاحترام، وفيما يترسخ حكم القانون، فإن كل شعوب تلك المنطقة ستشهد يوما جديدا يسود فيه العدل، ويوما جديدا يتحقق فيه الرفاه. فقد ظل الصراع في الأرض المقدسة يشكل أكبر مشكلة مساوية في الشرق الأوسط لعدة أجيال. والآن وبعد أن تم تحرير العراق، وظهرت قيادة جديدة للشعب الفلسطيني، وإلى جانب الجهود التي يبذلها قادة من أمثال الرئيس مبارك وولي العهد الأمير عبد الله، فإن الأمل قد تجدد.

وإذا ما اتخذ الشعب الفلسطيني خطوات راسخة أكيدة نحو مكافحة الإرهاب، وإذا ما استمر في السير على طريق السلام والإصلاح وتحقيق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الديموقراطية فإنه سيشهد كما يشهد كل العالم علم فلسطين يرفرف فوق دولة حـــرة مستقلة.

إن هناك واجبات مترتبة على كل أطراف هذا الصراع. فعلى إســرائيل أن تتخذ خطوات ملموسة نحو تخفيف المعاناة عن الفلسطينيين وإبداء الاحترام نحـــوهم وصيانة كرامتهم. وعلى إسرائيل أن تعمل مع تقدم مسيرة السلام على وقف النشاط الاستيطاني في الأراضي المحتلة.

وعلى الدول العربية أن تحارب الإرهاب بكل أشكاله، وأن تعترف وتقـــر كليا ونهائيا بالواقع وهو: أن لإسرائيل حق البقاء والعيش كدولة يهودية فـــي ســـلام مع جيرانها.

إن طريق التقدم إلى الأمام في الشرق الأوسط ليست لغزا مجهولا. فهـــي تتمثل في الإرادة والرؤيا والفعل. فطريق السير إلى الأمام إنما يقوم علـــى خدمـــة مصالح الأحياء، وليس على تصفية حسابات الماضي.

وإنني، في سبيل اغتنام هذه الفرصة، أوفد الوزير باول (وزير الخارجيـــة كولن باول) إلى الـــشرق الأوســـط لـــدعوة جميـــع الأطـــراف إلـــى الاضـــطلاع بمسؤولياتهم. وسيغادر الوزير باول في هذه المهمة الليلة (الجمعة ٩ أيـــار/مـــايو) حاملا معه التزامي الشخصي وهو: أن أميركا ستعمل دون كلل في ســـبيل تحقيـــق وجود دولتين هما إسرائيل وفلسطين تعيشان جنبا إلى جنب فـــي أمـــن وازدهـــار وسلام.

إنكم تعيشون زمنا تاريخيا بالنسبة لبلدنا. فقد ظن الكثيرون عندما هوجمت أميركا قبل عشرين شهرا أن عصرا من الخوف والإرهاب قد حـــل. إلا أن العـــالم شهد أمرا مخالفا تماما. فها هي أميركا تكافح ضد أخطار جسيمة أينمـــا تجمعـــت. ونحن مصممون على أن نساعد في بناء الشرق الأوسط بشكل ينمو فيه فـــي ظـــل الأمل بدلا من المرارة. وإنه بناء على المبادئ المثالية لهذه البلاد وتـــصميمها فـــلا أنتم ولا أنا سنعيش عصرا من الإرهاب، بل سنعيش عصرا من الحرية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنني أتمنى لكل منكم الخير والتوفيق في عمله ومهنته وفي الحيـــاة التـــي تنتظره، وأشكركم لدعوتكم لي وللدرجة الفخرية التي منحتها، ولإتاحة الفرصة لـــي لمشاركة خريجي عام ٢٠٠٣ هذا اليوم الذي يدعو إلى الاعتزاز في جامعة ســـاوث كارولينا.

أسأل الله أن يباركم، وأسأل الله أن يديم بركته على أميركا، وشكرا جزيلا لكم.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الولايات المتحدة والبحرين تعلنان عزمهما
على السعي للتفاوض حول اتفاق تجارة حرة

(بيان صحفى، مكتب الممثل التجارى الأمريكى،٢١أيار /مايو ٢٠٠٣)

كخطوة أولى نحو تنفيذ رؤيا الرئيس بإنشاء منطقة تجارة حرة في الشرق الأوسط واشنطن- أعلنت الولايات المتحدة والبحرين اليوم عزمهما السعي للتفاوض حول اتفاق تجارة حرة. وستكون هذا العملية وفق إجراءات التشاور والتبليغ التي يقررها الكونغرس بموجب سلطة ترويج التجارة لعام ٢٠٠٢.

وقد قال الممثل التجاري الأميركي روبرت زولك الذي اجتمع اليوم مع ولي العهد الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، "إن إعلان اليوم هو الخطوة الأولى في تنفيذ بيان الرئيس المعلن في وقت سابق من هذا الشهر بشأن دفع الإصلاحات الاقتصادية في الشرق الأوسط إلى الأمام والسعي وراء هدف إنشاء منطقة تجارة حرة في الشرق الأوسط بحلول عام ٢٠١٣. وستستمر حكومة الولايات المتحدة في العمل بصورة وثيقة مع الكونغرس، بما في ذلك بالتشاور، والتبليغ الرسمي، وإعلان الإجراءت، كما هو مبين في قانون سلطة ترويج التجارة."

وقال الممثل التجاري الأميركي، "إن اتفاق تجارة حرة بين الولايات المتحدة والبحرين يمكنه أن يكون بمثابة ركيزة إقليمية للخليج، مسهلا اندماجا وإصلاحات اقتصادية أكبر، وموصلا في النهاية إلى هدف منطقة تجارة حرة في الشرق الأوسط. ولدى الولايات المتحدة حاليا اتفاق تجارة حرة مع إسرائيل والأردن، ونأمل أن نكمل المفاوضات حول اتفاق تجارة حرة مع المغرب بحلول نهاية هذا العام."

وقال زولك، إن الولايات المتحدة والبحرين قررتا أنه سيكون من مصلحتهما المشتركة أن يطورا روابط أوثق عن طريق اتفاق تجارة حرة. فسيعزز الاختتام الناجح لاتفاق تجارة حرة شاملة بين الولايات المتحدة والبحرين العلاقات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التجارية مع رائدة اقتصادية في الخليج ويمهد الطريق لتحسين العلاقات التجارية ويوسع الانفتاح مع دول أخرى في المنطقة، مما يزيد الازدهار، والفرص، والأمل. إن اتفاق تجارة حرة مع البحرين سيولد فرصا تجارية للسلع الأميركية ويحسن الوصول لمقدمي الخدمات الأميركية، مما يولد وظائف للمزارعين والعمال الأميركيين، بينما يعزز إصلاحات البحرين الاقتصادية والسياسية ويبني روابط اقتصادية أقوى مع الشرق الأوسط.

وناقش زولك وولي عهد البحرين الشيخ سلمان الخطوات التحضيرية لاتفاق تجارة حرة. واعتمادا على إجراءات الكونغرس، يأمل البلدان أن يبدآ مفاوضات رسمية بداية العام القادم.

إن قصد الحكومة الأميركية من سعيها للتفاوض حول اتفاق تجارة حرة مع البحرين إنما يعكس دعم الحكومة الأميركية القوي للإصلاحات التي قامت بها البحرين والمنافع التي سيجنيها البلدان من مزيد من التجارة المنفتحة. ولدى البحرين حاليا تعريفات منخفضة ونظام تجارة ليبرالية لقطاعات خدمات مهمة، كالمصارف والتأمين، وقد سن في الآونة الأخيرة تشريع يحرر سوق الاتصالات اللاسلكية عن بعد كليا عام ٢٠٠٤. وقد اشتركت الولايات المتحدة والبحرين في حوار اقتصادي نشط خلال العام الماضي بموجب اتفاق إطار ثنائي للتجارة والاستثمار لترويج روابط اقتصادية أوثق، وتجارة أكثر تحررا، وانفتاح أكبر، وجو استثماري أقوى، وعملية الإصلاح.

خلفيـــــة:

إن اتفاق تجارة حرة شامل بين الولايات المتحدة والبحرين سيولد فرص تصدير للسلع الأميركية ويحسن الوصول لمقدمي الخدمات الأميركية، مولدا وظائف للمزارعين والعمال الأميركيين. وقد بلغت قيمة مجموع السلع الأميركية المصدرة إلى البحرين عام ٢٠٠٢ ٤١٩,٢ مليون دولار، بما في ذلك : طائرات؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلات؛ سيارات؛ مستحضرات صيدلية؛ والعاب ومعدات رياضية. وتشمل السلع الزراعية التي ستستفيد من اتفاق تجارة حرة لحوما، فواكه، خضارا، حبوبا، ومنتجات ألبان أميركية. وبلغت قيمة مجموع السلع التي صدرتها البحرين إلى الولايات المتحدة عام ٢٠٠٢ ٣٩٥,١ مليون دولار، بما في ذلك: قطع ملابس؛ ألومنيوم؛ مخصبات؛ كيميائيات عضوية؛ وقود وزيوت معدنية؛ قطع بلاستيك، وأدوات كهربائية.

يدعم الإصلاح الاقتصادي وفرص الاستثمار: البحرين رائدة إقليمية في مجال الإصلاحات الاقتصادية وتحرير التجارة، وقد قامت بتنفيذ برنامج إصلاح اقتصادي قوي يتضمن تحرير سوق الاتصالات اللاسلكية عن بعد وتشريعا حديثا يقضي بشفافية المشتريات الحكومية وحقوق العمال.

وبالإضافة إلى إزالة التعريفات، سيتضمن اتفاق تجارة حرة مع البحرين التزاما بوصول متزايد للشركات الأميركية إلى قطاع الخدمات البحريني. وبالإضافة إلى قطاع الاتصالات اللاسلكية عن بعد، يحتمل أن تتوفر أيضا فرص للشركات الأميركية في الخدمات المالية، والتوزيع، والطاقة، والبناء، والهندسة، والخدمات الصحية، والتعليم، والتدريب، والسياحة والسفر، وقطاع الخدمات البيئية. وسيدعم اتفاق التجارة الحرة المقترح التزام البحرين بالشفافية، والانفتاح وحكم القانون، وسيتضمن حماية متزايدة للملكية الفكرية وبنودا محددة لتشجيع تطوير التجارة بواسطة الإنترنت. وسيدعم أيضا اتفاق تجارة حرة جهود البحرين بشأن حماية البيئة والعمل، بما في ذلك توسيع فرص التوظيف.

وسوف يتوج اتفاق التجارة الحرة جهدا متواصلا ومتبادلا لجعل الولايات المتحدة والبحرين أقرب إلى بعضهما البعض اقتصاديا. وقد وقعت الولايات المتحدة والبحرين عام ٢٠٠٢ اتفاق إطار ثنائي للتجارة والاستثمار يمهد السبيل لروابط اقتصادية أوثق بين البلدين، ويستمر المستثمرون الأميركيون في الاستفادة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحمايات المقدمة بموجب معاهدة الاستثمار الثنائي بين الولايات المتحدة والبحرين، السارية المفعول منذ عام ٢٠٠١.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبادرة التجارة الحرة في الشرق الأوسط

(بيان حقائق عن مبادرة الرئيس بوش للتجارة الحرة فى الشرق الأوسط)

مكتب الممثل التجاري للولايات المتحدة

(٢٣حزيران/يونيو، ٢٠٠٣)

اقترح الرئيس مبادرة تجارة حرة تعرض رؤيا عن الانفتاح، والاندماج التجاري، والنمو الاقتصادي للشرق الأوسط. وستعمل الحكومة مع الكونغرس لعقد اتفاقات تجارة حرة جديدة مع دول الشرق الأوسط. إضافة إلى ذلك، ستتبع الولايات المتحدة إجراءات أخرى تمكن اقتصادات الشرق الأوسط من بناء تجارة ضمن المنطقة، وروابط أوثق مع الولايات المتحدة، واندماج مع الاقتصاد العالمي عن طريق ترتيبات تجارية مفصلة حسب ظروفها بينما تسير قدما على طريق الإصلاح. وهذه المشاريع مجتمعة، ستؤدي في النهاية إلى منطقة تجارة حرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط.

وتتضمن المبادرة أيضا إجراءات لتنشيط التجارة والاستثمار في الشرق الوسط، وبناء قدرة البلاد على الاشتراك في مفاوضات تجارية، وتنفيذ الاتفاقات، والانتفاع كليا من تحرير التجارة.

منطقة تجارة حرة في الشرق الأوسط

تقترح الولايات المتحدة خطة من خطوات متدرجة لدول الشرق الأوسط لزيادة التجارة والاستثمار مع الولايات المتحدة وسواها في الاقتصاد العالمي. الخطوة الأولى هي العمل بصورة وثيقة مع دول مسالمة تريد أن تصبح أعضاء في منظمة التجارة العالمية لتسريع انضمامها. وبينما تنفذ هذه الدول مخططات إصلاح محلية، وتؤسس حكم القانون، وتحمي حقوق الملكية (بما فيها الملكية الفكرية)، وتضع أساسا للانفتاح والنمو الاقتصادي، ستوسع الولايات المتحدة وتعمق الروابط الاقتصادية عن طريق اتفاقات ذات منظور شمولي للتجارة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والاستثمار، ومعاهدات الاستثمار الثنائية، واتفاقات التجارة الحرة الشاملة.

دعم ناشط للانتساب إلى منظمة التجارة العالمية. العمل مع المملكة العربية السعودية، ولبنان، والجزائر واليمن بشأن الانتساب إلى منظمة التجارة العالمية. استخدام برنامج نظام الأفضليات المعمم، الذي يوفر دخول كثير من منتجات دول نامية معينة بصورة غير خاضعة للرسوم، من أجل زيادة الروابط التجارية والعمل مع دول كي تستطيع الاستفادة بصورة كلية من منافع نظام الأفضليات المعمم.

خطط عمل إطار تجارة واستثمار نشيط

إن اتفاقات التجارة والاستثمار مع الشرق الأوسط ذات المنظور الشمولي توفر أداة مهمة لدول تتحول نحو تجارة حرة مع الولايات المتحدة. فاتفاقات التجارة والاستثمار تنمي إنشاء حمايات قانونية للمستثمرين، وتحسينات في حماية الملكية الفكرية، ومزيدا من الشفافية والإجراءات الجمركية الفعالة، وشفافية أكثر في الأنظمة الحكومية والتجارية. وستعمل مبادرة الرئيس التجارية على: استكشاف تطوير اتفاقات أطر التجارة والاستثمار مع دول مهتمة بالأمر، وتوسيع جوهر اتفاقات معقودة الآن مع البحرين، مصر، تونس والجزائر.

تعرض فرص منطقة صناعية مؤهلة مع إسرائيل على دول أخرى في المنطقة. وتشكل معاهدات الاستثمار الثنائية فصلا آخر من اتفاق تجارة حرة شامل.

شبكة من اتفاقات التجارة الحرة · ستعمل الحكومة مع الكونجرس بموجب سلطة ترويج التجارة للسعي وراء اتفاقات تجارة حرة شاملة مع دول مستعدة وراغبة في القيام بالالتزام المتعمق لترويج إصلاحات اقتصادية، وتحرير الأنظمة التجارية وجعل اقتصاداتها منفتحة. وستوفر اتفاقات التجارة الحرة هذه إطارا نستطيع عبره في نهاية المطاف أن نضيف دولا أخرى مؤهلة إلى اتفاق تجارة حرة مع الولايات المتحدة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إكمال اتفاق التجارة الحرة بين الولايات المتحدة والمغـرب نهايـة عـام ٢٠٠٣. وستنظر في استخدام اتفاق التجارة الحرة مع المغرب كإطار لمفاوضـات مع دول أخرى في المنطقة عندما تصبح تلك الدول جاهزة لذلك.

ستجري مفاوضات مع البحرين حول اتفاق تجارة حرة. وسـيكون اتفـاق تجارة حرة مع البحرين نقطة بداية لمفاوضات حول اتفاقات تجارة حرة مقبلة مـع دول أخرى في الخليج عندما تصبح مهتمة بالأمر وجاهزة.

ستنظر في استخدام "فقرات تراكمية" في اتفاقات التجارة الحرة، مما يسمح لشركائنا في اتفاقات التجارة الحرة بأن ينتجوا في تنسيق مع جيرانهم لتلبية أحكـام متطلبات المصدر. ويمكن لهذا الإجراء مع أنظمة أخرى متعلقة بالجمارك وأحكـام ترتيبات المصدر عبر المنطقة، أن تساعد على بناء روابط تجارية إقليمية ومتعـددة الأطراف.

مبادرات بناء طاقة تجارية. الحكومة الأميركية ملتزمة بتـوفير المـساعدة الحاسمة المالية، الفنية، وبناء الطاقة لتمكين دول في الشرق الأوسط من الاسـتفادة كليا من الفرص التجارية المتزايدة مع الولايات المتحدة. وستعمل مبـادرة الـرئيس على:

- توفير مساعدة لبناء طاقة تجارية.
- ترويج سياسات متصلة بالتجارة تحسن البيئة التجاريـة، وتزيـد مـن التجارة في اتجاهين مع المنطقة.
- تستكشف إنشاء مركز تجاري اقليمي أو أكثر لتنسيق جهود بناء الطاقـة التجارية.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مبادرات التجارة الحرة الأميركية الشرق أوسطية تعني فرصاً للعمل وتحصيل العلم

(باول وزيليك يجريان مزيداً من المشاورات مع الزعماء العرب في الأردن)

البحر الميت، الأردن، ٢٣ حزيران/يونيو - قال وزير الخارجية الأميركي، كولن باول، إن الولايات المتحدة تلقت ردوداً متحمسة من العديد من الحكومات العربية على اقتراح الرئيس بوش إنشاء منطقة تجارة حرة أميركية شرق أوسطية بحلول العام ٢٠١٣.

وأضاف باول في كلمة له في المنتدى الاقتصادي العالمي على الساحل الأردني للبحر الميت في الثالث والعشرين من هذا الشهر: "إن الجميع يرون الروابط بين القضايا المختلفة التي تحدثنا عنها في الأيام القليلة الماضية. إننا نتوق إلى السلام في المنطقة، ولكن المرء يحتاج، مع السلام، إلى التنمية الاقتصادية، وإلا لم يستفد الناس من السلام."

والمعروف أن بوش أعلن مبادرته الخاصة بمنطقة التجارة الحرة الشرق أوسطية في خطاب ألقاه في جامعة ساوث كارولينا في التاسع من أيار/مايو، الماضي. وتتضمن المبادرة، التي ترمي إلى تحقيق منطقة تجارة حرة أميركية شرق أوسطية خلال عشر سنوات، عرضاً شاملاً لمساعدة الدول العربية على تنمية مجالاتها التعليمية والاقتصادية وبنيتها التحتية لتمكينها من بناء اقتصادات حرة نشطة فعالة ورفع مستويات المعيشة فيها.

وكان الأردن قد أصبح، في عام ٢٠٠٠، أول دولة عربية تعقد اتفاقية تجارة حرة مع الولايات المتحدة. وأعرب الممثل التجاري الأميركي، روبرت زيليك، عن توقعه بأن تنتهي المفاوضات الخاصة بعقد اتفاقية تجارة حرة مع المغرب بنجاح بحلول نهاية هذا العام، وبأن تبدأ مفاوضات مماثلة مع البحرين في عام ٢٠٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال وزير التجارة والصناعة الأردني، صلاح الدين بشير، إن الإصلاحات المتطلبة لعقد اتفاقية تجارة (حرة) أدت إلى دفق من الصادرات الأردنية إلى الولايات المتحدة، وإلى ازدياد الازدهار وخلق عشرات الآلاف من الأعمال.

وأشار بشير إلى أن قيمة صادرات الأردن إلى الولايات المتحدة لم تكن تصل في عام ١٩٩٩، وهو العام السابق لتوقيع اتفاقية التجارة الحرة، إلى عشرين مليون دولار. وأضاف أن الولايات المتحدة أصبحت، بحلول نهاية عام ٢٠٠٢، أكبر شريك تجاري للأردن، وأن الأردن قام حتى الآن بتصدير ما قيمته حوالى خمسمئة مليون دولار من السلع والبضائع في عام ٢٠٠٣ إلى الولايات المتحدة.

وأشار زيليك إلى أن النساء حظين بحوالى سبعين بالمئة من الثلاثين ألف فرصة عمل جديدة التي نجمت عن اتفاقية التجارة الحرة. وأعلن أنه يعتزم القيام مع العاهل الأردني، الملك عبد الله، في الثالث والعشرين من هذا الشهر، بتفقد مشروع أردني-أميركي مشترك قيمته ١٧٥ مليون دولار ظهر إلى حيز الوجود نتيجة لاتفاقية التجارة الحرة. وأضاف زيليك أن شركة مايكروسوفت الضخمة المتخصصة بإنتاج برامج آلات الكمبيوتر تقوم حالياً بالاستثمار في الأردن، وأن شركة سيسكو سِسْتمز تعكف على إنشاء أكاديمية تدريب على الكمبيوتر تستغرق الدراسة فيها عامين.

وكان زيليك قد زار البحرين في طريقه إلى الأردن لحضور المنتدى الاقتصادي. وقد حضر هناك صفوفاً في المعهد المصرفي والمالي القومي.

وقال زيليك: "إنهم (أي المسئولون في البحرين) يجتذبون الطلاب من جميع أنحاء الخليج. وهدفهم هو ألا يكونوا مركزاً مالياً فقط وإنما مركزاً تعليمياً أيضا" تمتد نشاطاته إلى الخدمات الصحية وغيرها من المجالات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأشار الممثل التجاري إلى أن الوكالة الأميركية للتنمية الدولية قدمت قروضاً ضئيلة في المغرب يبلغ معدل القرض الواحد منها ٢٤٠ دولاراً لمئتين وخمسين ألف شخص، أربعة وخمسون بالمئة منهم من النساء.

وأضاف: "لقد خلق هذا إحساساً جديداً بتوفر الفرص لدى عامة الشعب. وتقل نسبة عدم الوفاء بالديون عن رُبع الواحد بالمئة. هناك فرص متوفرة في جميع أنحاء المنطقة، في القطاعين الخاص والحكومي على حد سواء."

وقال زيليك إن الولايات المتحدة تأمل في أن تقود اتفاقيات التجارة الحرة مع كل دولة على حدة إلى الاندماج الاقتصادي التدريجي بين دول العالم العربي.

ومضى إلى القول حول هذه النقطة: "إننا نتطلع، على سبيل المثال لا الحصر، إلى إمكانية انضمام دول من منطقة الخليج إلى اتفاقية التجارة الحرة مع البحرين بناء على نفس القواعد الأساسية، مع وضع ترتيبات خاصة لبضائعها وقطاعاتها الزراعية. ومن الفوائد التي ستنجم عن ذلك تشجيع تكامل المنطقة، واندماجها بحيث لا تعود البضائع المستوفية للشروط بضائع مصدرها البحرين فقط وإنما يصبح من الممكن أن يكون مصدرها قطر أو عُمان أو الإمارات العربية المتحدة أو مجموعة من هذه الدول."

وقال زيليك إنه يمكن أن يرسي التكامل الاقتصادي في الخليج أو منطقة شمال إفريقيا أو مناطق أخرى الأساس لاتفاقية تجارة حرة تشمل الشرق الأوسط برمته.

وأضاف: "إن هذا يتوقف على استعداد الحكومات للقيام بهذه الإصلاحات."

وقد تناول قسم من محادثات تعزيز التجارة المناطق الفلسطينية التي قال زيليك إنها لم تستطع الاستفادة من فرص التجارة الحرة مع الولايات المتحدة منذ أواسط التسعينيات من القرن الماضي بسبب الأوضاع الأمنية السيئة ومسألة الوصول. وقال إنه سيتم بذل جهود خاصة لزيادة الفرص التجارية بالنسبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للفلسطينيين للمساعدة في تحقيق رؤيا الرئيس بوش الخاصة بدولتين، إسرائيل وفلسطين، تعيشان جنباً إلى جنب بأمن وسلام.

وأوضح زيليك أن مبادرة التجارة الحرة هي عبارة عن أسلوب يتم خطوة خطوة ويشتمل على ست مراحل.

--تقديم دعم نشط لانضمام دول المنطقة المسالمة الراغبة في الانضمام إلى عضوية منظمة التجارة العالمية.

--مساعدة الدول العربية على توسيع نطاق الوصول إلى نظام الأفضلية العمومي، وهو النظام الذي يسمح لحوالى ثلاثة آلاف وخمسمائة سلعة من مئة وأربعين بلدا بدخول الولايات المتحدة بدون تعريفة جمركية. وقال مكتب الممثل التجاري الأميركي إن ما قيمته حوالى ثلاثمائة مليون دولار من المنتجات الشرق أوسطية استوفى شروط هذا البرنامج في عام ٢٠٠٢، بما في ذلك الأثاث المصري والحلي العُمانية وزيت الزيتون اللبناني.

وعلق زيليك على ذلك بالقول: "يمكن لبضائع أخرى كثيرة أن تصبح مؤهلة."

--عرض التفاوض لعقد اتفاقيات إطار استثماري وتجاري تضع إطاراً لتوسعة نطاق التجارة وحل القضايا العالقة. وتضع اتفاقيات الأُطر الأُسس لترتيبات تجارة حرة أكثر تعقديا.

--عرض التفاوض لعقد معاهدات استثمار ثنائية، تفرض على الحكومات معاملة المستثمرين الأجانب بإنصاف وتقديم حصانات قانونية لهم مماثلة للحصانات المقدمة للمستثمرين المحليين.

--عرض التفاوض لعقد اتفاقيات تجارة حرة.

--تحديد أهداف المساعدات بحيث تساعد الدول المستعدة للقيام بالإصلاحات. وتنفق الولايات المتحدة أكثر من ألف مليون دولار سنوياً من خلال مبادرات تجارية وتنموية لمساعدة الدول العربية.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشروع"الشرق الأوسط الكبير"

الذى ستقدمه الولايات المتحدة فى قمة الدول الثماني

(النص الذى نشرته صحيفة الحياة الدولية، ١٣ فبراير/شباط ٢٠٠٤)

يمثل"الشرق الأوسط الكبير" (١) تحدياً وفرصة فريدة للمجتمع الدولي. وساهمت "النواقص" الثلاثة التى حددها الكتاب العرب لتقريري الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية للعامين ٢٠٠٢و٢٠٠٣-الحرية،المعرفة،وتمكين النساء- فى خلق الظروف التى تهدد المصالح الوطنية لكل أعضاء مجموعة الـ٨. وطالما تزايد عدد الأفراد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية فى المنطقة، سنشهد زيادة فى التطرف والإرهاب والجريمة الدولية والهجرة غير المشروعة. أن الإحصائيات التى تصف الوضع الحالي فى"الشرق الأوسط الكبير" مروعة:

* مجموع إجمالي الدخل المحلى لبلدان الجامعة العربية الـ٢٢ هو أقل من نظيره فى أسبانيا.

* حوالي ٤٠ بالمئة من العرب البالغين-٦٥ مليون شخص-أميون، وتشكل النساء ثلثي هذا العدد.

* سيدخل أكثر من ٥٠ مليوناً من الشباب سوق العمل بحلول ٢٠١٠، وسيدخلها ١٠٠ مليون بحلول ٢٠٢٠. وهناك حاجة لخلق ما لا يقل عن ٦ ملايين وظيفة جديدة لامتصاص هؤلاء الوافدين الجدد إلى سوق العمل.

* إذا استمرت المعدلات الحالية للبطالة، سيبلغ معدل البطالة فى المنطقة ٢٥ مليوناً بحلول ٢٠١٠.

* يعيش ثلث المنطقة على أقل من دولارين فى اليوم. ولتحسين مستويات المعيشة، يجب أن يزداد النمو الاقتصادى فى المنطقة أكثر من الضعف من مستواه الحالى الذى هو دون ٣ فى المئة إلى ٦ فى المئة على الأقل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

* فى إمكان ١,٦ فى المئة فقط من السكان استخدام الإنترنت، وهو رقم أقل مما هو عليه فى أى منطقة أخرى فى العالم، بما فى ذلك بلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

* لا تشغل النساء سوى ٣,٥ فى المئة فقط من المقاعد البرلمانية فى البلدان العربية، بالمقارنة، على سبيل المثال، مع ٨,٤ فى المئة فى أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

* عبر ٥١ فى المئة من الشبان العرب الأكبر سناً عن رغبتهم فى الهجرة إلى بلدان أخرى، وفقاً لتقرير التنمية البشرية العربية للعام ٢٠٠٢، والهدف المفضل لديهم هو البلدان الأوروبية.

وتعكس هذه الإحصائيات أن المنطقة تقف عند مفترق طرق. ويمكن للشرق الأوسط الكبير أن يستمر على المسار ذاته، ليضيف كل عام المزيد من الشباب المفتقرين إلى مستويات لائقة من العمل والتعليم والمحرومين من حقوقهم السياسية. وسيمثل ذلك تهديداً مباشراً لاستقرار المنطقة. وللمصالح المشتركة لأعضاء مجموعة الثماني.

البديل هو الطريق إلى الإصلاح. ويمثل تقريرا التنمية البشرية العربية نداءات مقنعة وملحة للتحرك فى الشرق الأوسط الكبير. وهي نداءات يرددها نشطاء وأكاديميون والقطاع الخاص فى أرجاء المنطقة. وقد استجاب بعض الزعماء فى الشرق الأوسط الكبير بالفعل لهذه النداءات واتخذوا خطوات فى اتجاه الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وأيدت بلدان مجموعة الثماني بدورها هذه الجهود بمبادراتها الخاصة للإصلاح فى منطقة الشرق الأوسط وتبين"الشراكة الأوروبية المتوسطية" و"مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط" وجهود إعادة الأعمار المتعددة الأطراف فى أفغانستان والعراق التزام مجموعة الثماني بالإصلاح فى المنطقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن التغيرات الديموغرافية المشار إليها أعلاه، وتحرير أفغانستان والعراق من نظامين قمعيين، ونشوء نبضات ديموقراطية فى أرجاء المنطقة، بمجموعها، تتيح لمجموعة الثماني فرصة تاريخية وينبغي للمجموعة فى قمتها فى "سي أيلاند"، أن تصوغ شراكة بعيدة المدى مع قادة الإصلاح فى الشرق الأوسط الكبير، وتطلق رداً منسقاً لتشجيع الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة. ويمكن لمجموعة الثماني أن تتفق على أولويات مشتركة للإصلاح تعالج النواقص التى حددها تقريرا الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية عبر:

* تشجيع مجتمع عرفي.
* توسيع الفرص الاقتصادية.

وتمثل أولويات الإصلاح هذه السبيل إلى تنمية المنطقة: فالديموقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار الذى تتحقق داخله التنمية، والأفراد الذين يتمتعون بتعليم جيد هم أدوات التنمية، والمبادرة فى مجال الأعمال هي ماكينة التنمية.

أولاً: تشجيع الديموقراطية والحكم الصالح

"توجد فجوة كبيرة بين البلدان العربية والمناطق الأخرى على صعيد الحكم القائم على المشاركة...ويضعف هذا النقص فى الحرية التنمية البشرية، وهو أحد التجليات الأكثر إيلاماً للتخلف فى التنمية السياسية".(تقرير التنمية البشرية،٢٠٠٢). إن الديموقراطية والحرية ضروريتان لازدهار المبادرة الفردية، لكنهما مفقودتان إلى حد بعيد فى أرجاء الشرق الأوسط الكبير. وفى تقرير"فريدوم هاوس" للعام ٢٠٠٣، كانت إسرائيل البلد الوحيد فى الشرق الأوسط الكبير الذى صنف بأنه"حر" ووصفت أربعة بلدان أخرى فقط بأنها "حرة جزئياً". ولفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى أنه من بين سبع مناطق فى العالم، حصلت البلدان العربية على أدنى درجة فى الحرية فى أواخر التسعينيات. وأدرجت قواعد البيانات التى تقيس"التعبير عن الرأى والمساءلة" المنطقة العربية فى المرتبة الأدنى فى العالم. بالإضافة إلى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك، لا يتقدم العالم العربي إلا علي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى على صعيد تمكين النساء ولا تنسجم هذه المؤشرات المحبطة إطلاقاً مع الرغبات التى يعبر عنها سكان المنطقة. فى تقرير التنمية البشرية العربية للعام ٢٠٠٣، على سبيل المثال، تصدر العرب لائحة من يؤيد، فى أرجاء العالم، الرأى القائل بأن"الديموقراطية أفضل من أي شكل آخر للحكم" وعبروا عن أعلى مستوى لرفض الحكم الاستبدادي.

ويمكن لمجموعة الثماني أن تظهر تأييدها للإصلاح الديموقراطي فى المنطقة عبر التزام ما يلي:

مبادرة الانتخابات الحرة

فى الفترة بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٦، أعلنت بلدان عدة فى الشرق الأوسط الكبير (٢) نيتها إجراء انتخابات رئاسية أو برلمانية أو بلدية.

وبالتعاون مع تلك البلدان التى تظهر استعداداً جدياً لإجراء انتخابات حرة ومنصفة، يمكن لمجموعة الثمانى أن تقدم بفاعلية مساعدات لمرحلة ما قبل الانتخابات بـ :

* تقديم مساعدات تقنية، عبر تبادل الزيارات أو الندوات، لإنشاء أو تعزيز لجان انتخابية مستقلة لمراقبة الانتخابات والاستجابة للشكاوى وتسلم التقارير.

* تقديم مساعدات تقنية لتسجيل الناخبين والتربية المدنية إلى الحكومات التى تطلب ذلك، مع تركيز خاص على الناخبات.

الزيارات المتبادلة والتدريب على الصعيد البرلمان

من أجل تعزيز دور البرلمانات فى دمقرطة البلدان، يمكن لمجموعة الثمانى أن ترعى تبادل زيارات لأعضاء البرلمانات، مع تركيز الاهتمام على صوغ التشريعات وتطبيق الإصلاح التشريعى والقانونى وتمثيل الناخبين.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معاهد للتدريب على القيادة خاصة بالنساء

تشغل النساء ٣,٥ فى المئة فقط من المقاعد البرلمانية فى البلدان العربية. ومن أجل زيادة مشاركة النساء فى الحياة السياسية والمدنية، يمكن لمجموعة الثمانى أن ترعى معاهد تدريب خاصة بالنساء تقدم تدريباً على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة فى التنافس الانتخابى على مواقع فى الحكم أو إنشاء/تشغيل منظمة غير حكومية. ويمكن لهذه المعاهد أن تجمع بين قيادات من بلدان مجموعة الثمانى والمنطقة.

المساعدة القانونية للناس العاديين

فى الوقت الذى نفذت فيه الولايات المتحدة والاتحاد الأوربى والأمم المتحدة والبنك الدولى بالفعل مبادرات كثيرة لتشجيع الإصلاح القانونى والقضائى، فإن معظمها يجرى على المستوى الوطنى فى مجالات مثل التدريب القضائى والإدارة القضائية وإصلاح النظام القانونى. ويمكن لمبادرة من مجموعة الثمانى أن تكمل هذه الجهود بتركيز الانتباه على مستوى الناس العاديين فى المجتمع، حيث يبدأ التحسس الحقيقى للعدالة. ويمكن لمجموعة الثمانى أن تنشئ وتمول مراكز يمكن للأفراد أن يحصلوا فيها على مشورة قانونية بشأن القانون المدنى أو الجنائى أو الشريعة، ويتصلوا بمحامى الدفاع (وهى غير مألوفة إلى حد كبير فى المنطقة). كما يمكن لهذه المراكز أن ترتبط بكليات الحقوق فى المنطقة.

مبادرة وسائل الإعلام المستقلة

يلفت تقرير التنمية البشرية العربية إلى أن هناك أقل من ٥٣ صحيفة لكل ١٠٠٠ مواطن عربى، بالمقارنة مع ٢٨٥صحيفة لكل ألف شخص فى البلدان المتطورة، وأن الصحف العربية التى يتم تداولها تميل إلى أن تكون ذات نوعية رديئة. ومعظم برامج التلفزيون فى المنطقة تعود ملكيته إلى الدولة أو يخضع لسيطرتها، وغالباً ما تكون النوعية رديئة، إذ تفتقر البرامج إلى التقارير ذات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الطابع التحليلى والتحقيقى. ويقود هذا النقص إلى غياب اهتمام الجمهور وتفاعله مع وسائل الإعلام المطبوعة، ويحد من المعلومات المتوافرة للجمهور. ولمعالجة ذلك، يمكن لمجموعة الثمانى أن:

* ترعى زيارات متبادلة للصحافيين فى وسائل الإعلام المطبوعة والإذاعية.

* ترعى برامج تدريب لصحافيين مستقلين.

* تقدم زمالات دراسية لطلاب كى يداوموا فى مدارس للصحافة فى المنطقة أو خارج البلاد،وتمول برامج لإيفاد صحافيين أو أساتذة صحافة لتنظيم ندوات تدريب بشأن قضايا مثل تغطية الانتخابات أو قضاء فصل دراسى فى التدريس فى مدارس بالمنطقة.

الجهود المتعلقة بالشفافية/مكافحة الفساد

حدد البنك الدولى الفساد باعتباره العقبة المنفردة الأكبر فى وجه التنمية، وقد أصبح متأصلاً فى الكثير من بلدان الشرق الأوسط الكبير. ويمكن لمجموعة الثمانى:

* أن تشجع على تبنى "مبادئ الشفافية ومكافحة الفساد" الخاصة بمجموعة الثمانى.

* أن تدعم علناً مبادرة منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية/برنامج الأمم المتحدة للتنمية فى الشرق الأوسط-شمال أفريقيا، التى يناقش من خلالها رؤساء حكومات ومانحون وIFLS ومنظمات غير حكومية استراتيجيات وطنية لمكافحة الفساد وتعزيز خضوع الحكومة للمساءلة.

* إطلاق واحد أو اكثر من البرامج التجريبية لمجموعة الثمانى حول الشفافية فى المنطقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجتمع المدنى

أخذاً فى الاعتبار أن القوة الدافعة للإصلاح الحقيقى فى الشرق الأوسط الكبير يجب أن تأتى من الداخل، وبما أن افضل الوسائل لتشجيع الإصلاح هى عبر منظمات تمثيلية، ينبغى لمجموعة الثمانى أن تشجع على تطوير منظمات فاعلة للمجتمع المدنى فى المنطقة. ويمكن لمجموعة الثمانى أن:

* تشجع حكومات المنطقة على السماح لمنظمات المجتمع المدنى، ومن ضمنها المنظمات غير الحكومية الخاصة بحقوق الإنسان ووسائل الإعلام، على أن تعمل بحرية من دون مضايقة أو تقييدات.

* تزيد التمويل المباشر للمنظمات المهتمة بالديموقراطية وحقوق الإنسان ووسائل الإعلام والنساء وغيرها من المنظمات الحكومية فى المنطقة.

* تزيد القدرة التقنية للمنظمات غير الحكومية فى المنطقة بزيادة التمويل للمنظمات المحلية (مثل "مؤسسة وستمنستر"فى المملكة المتحدة أو "مؤسسة الدعم الوطنى للديموقراطية" الأمريكية) لتقديم التدريب للمنظمات غير الحكومية فى شأن كيفية وضع برنامج والتأثير على الحكومة وتطوير استراتيجيات خاصة بوسائل الإعلام والناس العاديين لكسب التأييد. كما يمكن لهذه البرامج أن تتضمن تبادل الزيارات وإنشاء شبكات إقليمية.

* تمول منظمة غير حكومية يمكن أن تجمع بين خبراء قانونيين أو خبراء إعلاميين من المنطقة لصوغ تقويمات سنوية للجهود المبذولة من أجل الإصلاح القضائى أو حرية وسائل الإعلام فى المنطقة. (يمكن بهذا الشأن الاقتداء بنموذج "تقرير التنمية البشرية العربية").

ثانيا: بناء مجتمع معرفى

"تمثل المعرفة الطريق إلى التنمية والانعتاق، خصوصاً فى عالم يتسم بعولمة مكثفة". (تقرير التنمية البشرية العربية، ٢٠٠٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد أخفقت منطقة الشرق الأوسط الكبير، التى كانت فى وقت مضى مهد الاكتشاف العلمى والمعرفة، إلى حد بعيد، فى مواكبة العالم الحالى ذى التوجه المعرفى. وتشكل الفجوة المعرفية التى تعانيها المنطقة ونزف الأدمغة المتواصل تحدياً لأفاق التنمية فيها. ولا يمثل ما تنتجه البلدان العربية من الكتب سوى ١،١ فى المئة من الإجمالي العالمى (حيث تشكل الكتب الدينية اكثر من ١٥ فى المئة منها). ويهاجر حوالى ربع كل خريجى الجامعات، وتستورد التكنولوجيا إلى حد كبير. ويبلغ عدد الكتب المترجمة إلى اللغة اليونانية (التى لا ينطق بها سوى ١١ مليون شخص)خمسة أضعاف ما يترجم إلى اللغة العربية.

وبالاستناد على الجهود التى تبذل بالفعل فى المنطقة، يمكن لمجموعة الثمانى أن تقدم مساعدات لمعالجة تحديات التعليم فى المنطقة ومساعدة الطلاب على اكتساب المهارات الضرورية للنجاح فى السوق المعولمة لعصرنا الحاضر.

مبادرة التعليم الأساسي

يعاني التعليم الأساسي فى المنطقة من نقص (وتراجع) فى التمويل الحكومي، بسبب تزايد الإقبال على التعليم متماشياً مع الضغوط السكانية، كما يعاني من اعتبارات ثقافية تقيد تعليم البنات. وقى مقدور مجموعة الـ٨ السعي إلى مبادرة للتعليم الأولي فى منطقة الشرق الأوسط الكبري تشمل هذه العناصر :

*__محو الأمية__: أطلقت الأمم المتحدة فى ٢٠٠٣"برنامج عقد مكافحة الأمية" تحت شعار"محو الأمية كحرية". ولمبادرة مجموعة الـ٨ لمكافحة الأمية أن تتكامل مع برنامج الأمم المتحدة، من خلال التركيز على إنتاج جيل متحرر من الأمية فى الشرق الأوسط خلال العقد المقبل، مع السعى إلى خفض نسبة الأمية فى المنطقة إلى النصف بحلول ٢٠١٠. وستركز مبادرة مجموعة الـ٨، مثل برنامج الأمم المتحدة، على النساء والبنات. وإذا أخذنا فى الاعتبار معاناة ٦٥ مليوناً من الراشدين فى المنطقة من الأمية، يمكن لمبادرة مجموعة الـ٨ أن تركز أيضاً على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محو الأمية بين الراشدين وتدريبهم من خلال برامج متنوعة، من مناهج تدريس على إنترنت إلى تدريب المعلمين.

*فرق محو الأمية: يمكن لمجموعة الـــ٨، سعياً إلى تحسين مستوى القراءة والكتابة، لدى الفتيات، إنشاء أو توسيع معاهد تدريب المعلمين مع التركيز على النساء. ولمعلمات المدارس والمختصات بالتعليم القيام فى هذه المعاهد بتدريب النساء على مهنة التعليم(هناك دول تحرم تعليم الذكور للإناث)، لكى يركزن بدورهن على تعليم البنات القراءة وتوفير التعليم الأولى لهن. للبرنامج أيضاً استخدام الإرشادات المتضمنة فى برنامج "التعليم للجميع" التابع لـــ"يونسكو" بهدف إعداد"فرق محو الأمية" التى يبلغ تعدادها بحلول ٢٠٠٨ مئة ألف معلمة.

*الكتب التعليمية: يلاحظ تقرير التنمية البشرية العربية نقصاً مهماً فى ترجمة الكتب الأساسية فى الفلسفة والأدب وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة، كما يلاحظ"الحالة المؤسفة للمكتبات"فى الجامعات. ويمكن لكل من دول مجموعة الـــ٨ تمويل برنامج لترجمة مؤلفاتها "الكلاسيكية" في هذه الحقول، وأيضاً، وحيث يكون ذلك مناسباً، تستطيع الدول أو دور النشر(فى شراكة بين القطاعين العام والخاص) إعادة نشر الكتب الكلاسيكية العربية الخارجة عن التداول حالياً والتبرع بها إلى المدارس والجامعات والمكتبات العامة المحلية.

*مبادرة مدارس الاكتشاف بدأ الأردن بتنفيذ مبادرته لإنشاء"مدارس الاكتشاف"حيث يتم استعمال التكنولوجيا المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة. ولمجموعة الـــ٨ السعي إلى توسيع هذه الفكرة ونقلها إلى دول أخرى فى المنطقة من طريق التمويل، من ضمنه من القطاع الخاص.

*إصلاح التعليم: ستقوم "المبادرة الأمريكية للشراكة فى الشرق الأوسط"قبل قمة مجموعة الـــ٨ المقبلة(في آذار/مارس أو نيسان/أبريل) برعاية "قمة الشرق الأوسط لإصلاح التعليم" التى ستكون ملتقي لتيارات الرأى العام المتطلعة إلى الإصلاح والقطاع الخاص وقادة الهيئات المدنية والاجتماعية فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنطقة ونظرائهم من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وذلك لتحديد المواقع والمواضيع التى تتطلب المعالجة، والتباحث فى سبل التغلب على النواقص فى حقل التعليم. ويمكن عقد القمة فى ضيافة مجموعة الـــ٨ توخياً لتوسيع الدعم لمبادرة منطقة الشرق الأوسط الكبرى عشية عقد القمة.

مبادرة التعليم فى إنترنت

تحتل المنطقة المستوى الأدنى من حيث التواصل مع إنترنت. ومن الضروري تماماً تجسير"الهوة الكومبيوترية" هذه بين المنطقة وبقية العالم نظراً إلى تزايد المعلومات المودعة على إنترنت بالنسبة للتعليم والمتاجرة. ولدى مجموعة الـــ٨ القدرة على إطلاق شراكة بين القطاعين العام والخاص لتوفير الاتصال الكومبيوتري أو توسيعه فى أنحاء المنطقة، وأيضاً بين المدن والريف داخل البلد الواحد. وقد يكون من المناسب أكثر لبعض المناطق توفير الكومبيوترات فى مكاتب البريد، مثلما يحصل فى بلدات وقرى روسيا. وقد يركز المشروع أولاً على بلدان الشرق الأوسط الأقل استخداماً للكومبيوتر (العراق، أفغانستان، باكستان،اليمن،سورية،ليبيا،الجزائر،مصر،المغرب)، والسعي، ضمن الإمكانات المالية، إلى توفير الاتصال بالكومبيوتر إلى أكثر ما يمكن من المدارس ومكاتب البريد.

ومن الممكن أيضاً ربط مبادرة تجهيز المدارس بالكومبيوتر بـــ"مبادرة مدرسي المعاهد بتدريب المعلمين المحليين على تطوير مناهج دراسية ووضعها على إنترنت، فى مشروع يتولى القطاع الخاص توفير معداته ويكون متاحاً للمعلمين والطلبة.

مبادرة تدريس إدارة الأعمال

لمجموعة الـــ٨ في سياق السعي إلى تحسين مستوى إدارة الأعمال في عموم المنطقة إقامة الشراكات بين مدارس الأعمال فى دول مجموعة الـــ٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والمعاهد التعليمية(الجامعات والمعاهد المتخصصة) فى المنطقة. وبمقدور مجموعة الـــ٨ تمويل هيئة التعليم والمواد التعليمية فى هذه المعاهد المشتركة، التى تمتد برامجها من دورة تدريبية لمدة سنة للخريجين إلى دورات قصيرة تدور على مواضيع محددة، مثل إعداد خطط العمل للشركات أو استراتيجيات التسويق.

النموذج لهذا النوع من المعاهد قد يكون معهد البحرين للمصارف والمال، وهو مؤسسة بمدير أميركي ولها علاقة شراكة مع عدد من الجامعات الأمريكية.

توسيع الفرص الاقتصادية

تجسير الهوة الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير يتطلب تحولاً اقتصاديا يشابه فى مداه ذلك الذى عملت به الدول الشيوعية سابقاً فى أوروبا الشرقية. وسيكون مفتاح التحول إطلاق قدرات القطاع الخاص فى المنطقة، خصوصا مشاريع الأعمال الصغيرة والمتوسطة، التى تشكل المحركات الرئيسية للنمو الاقتصادى وخلق فرص العمل. وسيكون نمو طبقة متمرسة فى مجال الأعمال عنصراً مهماً لنمو الديموقراطية والحرية. ويمكن لمجموعة الـــ٨ فى هذا السياق اتخاذ الخطوات التالية:

مبادرة تمويل النمو

تقوية فاعلية القطاع المالي عنصر ضرورى للتوصل إلى نسب أعلي للنمو وخلق فرص العمل. ولمجموعة الـــ٨ أن تسعى إلى إطلاق مبادرة مالية متكاملة تتضمن العناصر التالية:

* **إقراض المشاريع الصغيرة**: هناك بعض المؤسسات المختصة بتمويل المشاريع الصغيرة فى المنطقة لكن العاملين فى هذا المجال لا يزالون يواجهون ثغرات مالية كبيرة. إذ لا يحصل على التمويل سوى خمسة فى المئة من الساعين إليه، ولا يتم عموما تقديم أكثر من ٠,٧ فى المئة من مجموع المال المطلوب فى هذا القطاع وبإمكان مجموعة الـــ٨ المساعدة علي تلافي هذا النقص من خلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تمويل المشاريع الصغيرة، مع التركيز على التمويل بهدف الربح، خصوصاً للمشاريع التى تقوم بها النساء. مؤسسات الإقراض الصغير المربح قادرة على إدامة نفسها ولا تحتاج إلى تمويل إضافي للاستمرار والنمو.

ونقدر أن فى إمكان قرض ٤٠٠ مليون دولار إلى ٥٠٠ مليون دولار يدفع على خمس سنوات مساعدة ١,٢ مليون ناشط اقتصادي على التخلص من الفقر، ٧٥٠ ألف منهم من النساء.

***مؤسسة المال للشرق الأوسط الكبير**: باستطاعة مجموعة الـــ٨ المشاركة فى تمويل مؤسسة على طراز"مؤسسة المال الدولية" للمساعدة على تنمية مشاريع الأعمال على المستويين المتوسط والكبير، بهدف الوصل إلى تكامل اقتصادى لمجال الأعمال فى المنطقة. وربما الأفضل إدارة هذه المؤسسة من قبل مجموعة من قادة القطاع الخاص فى مجموعة الـــ٨ يقدمون خبراتهم لمنطقة الشرق الأوسط الكبير.

***بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير**: فى إمكان مجموعة الـــ٨ ومشاركة مقرضين من منطقة الشرق الأوسط الكبير نفسها، إنشاء مؤسسة إقليمية للتنمية على غرار"البنك الأوروبي للإعمار والتنمية" لمساعدة الدول الساعية إلى الإصلاح على توفير الاحتياجات الأولية للتنمية. كما تستطيع المؤسسة الجديدة توحيد القدرات المالية لدول المنطقة الأغني وتركيزها على مشاريع لتوسيع انتشار التعليم والعناية الصحية والبنى التحتية الرئيسية. ولـــ"بنك تنمية الشرق الأوسط الكبير" هذا أن يكون مذخراً للمساعدة التكنولوجية وإستراتيجيات التنمية لبلدان المنطقة. اتخاذ قرارات الإقراض (أو المنح) يجب أن تتحدد على أساس قدرة البلد المقترض على القيام بإصلاحات ملموسة.

***الشراكة من أجل نظام مالي أفضل**: بمقدور مجموعة الـــ٨، توخيا لإصلاح الخدمات المالية فى المنطقة وتحسين اندماج بلدانها فى النظام المالي العالمي، أن تعرض مشاركتها فى عمليات إصلاح النظم المالية فى البلدان المتقدمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى المنطقة. وسيكون هدف المشاركة إطلاق حرية الخدمات المالية وتوسيعها فى عموم المنطقة، من خلال تقديم تشكيلة من المساعدات التقنية والخبرات فى مجال الأنظمة المالية مع التركيز على :

- تنفيذ خطط الإصلاح التى تخفض سيطرة الدولة على الخدمات المالية.
- رفع الحواجز على التعاملات المالية بين الدول.
- تحديث الخدمات المصرفية.
- تقديم وتحسين وتوسيع الوسائل المالية الداعمة لاقتصاد السوق.
- إنشاء الهياكل التنظيمية الداعمة لإطلاق حرية الخدمات المالية.

مبادرة التجارة

إن حجم التبادل التجارى فى الشرق الأوسط متدن جداً، إذ لا يشكل سوى ستة فى المئة من كل التجارة العربية. ومعظم بلدان الشرق الأوسط الكبير تتعامل تجارياً مع بلدان خارج المنطقة، وتوصلت إلى اتفاقات تجارية تفضيلية مع أطراف بعيدة جداً بدلاً من جيرانها. ونتيجة لذلك، أصبحت الحواجز الجمركية وغير الجمركية هي الشيء المعتاد، فيما لا تزال التجارة عبر الحدود شيئاً نادراً. ويمكن لمجموعة الثمانية أن تنشئ مبادرة جديدة مصممة لتشجيع التجارة فى الشرق الأوسط الكبير، تتألف من العناصر التالية.

الانضمام/التنفيذ على صعيد
منظمة التجارة الدولية وتسهيل التجارة

يمكن لمجموعة الثمانية أن تزيد تركيزها على انضمام البلدان فى المنطقة إلى منظمة التجارة الدولية (٣) وستتضمن برامج محددة للمساعدة التقنية توفير مستشارين يعملون فى البلد ذاته فى شأن الانضمام إلى منظمة التجارة الدولية وتحفيز التزام واسع من مجموعة الـ٨ لتشجيع عملية الانضمام، بما فى ذلك تركيز الاهتمام على تحديد وإزالة الحواجز غير الجمركية. وحالما ينجز الانضمام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى منطقة التجارة الدولية، سيتحول مركز الاهتمام إلى توقيع التزامات إضافية لمنظمة التجارة الدولية، مثل "الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية" و "اتفاق مشتريات الحكومة" وربط استمرار المساعدة التقنية بتنفيذ هذه الالتزامات الخاصة بمنظمة التجارة الدولية. ويمكن لهذه المساعدات التقنية أن تربط أيضاً ببرنامج على صعيد المنطقة برعاية مجموعة الـ٨ بشأن التسهيلات والجوانب اللوجستية المتعلقة بالرسوم الجمركية للحد من الحواجز الإدارية والمادية بوجه التبادل التجارى بين بلدان المنطقة.

المناطق التجارية

ستنشئ مجموعة الـ٨ مناطق فى الشرق الأوسط الكبير للتركيز على تحسين التبادل التجارى فى المنطقة، وستتيح هذه المناطق مجموعة متنوعة من الخدمات لدعم النشاط التجارى للقطاع الخاص والصلات بين المشاريع الخاصة، بما فى ذلك "التسوق من منفذ واحد" للمستثمرين الأجانب، وصلات مع مكاتب الجمارك لتقليل الوقت الذى يستغرقه إنجاز معاملات النقل، وضوابط موحدة لتسهيل دخول وخروج السلع والخدمات من المنطقة.

مناطق رعاية الأعمال

بالاستناد على النجاح الذى حققته مناطق التصدير ومناطق التجارة الخاصة فى مناطق أخرى، يمكن لمجموعة الـ٨ أن تساعد على إقامة مناطق محددة خصيصاً فى الشرق الأوسط الكبير تتولى تشجيع التعاون الأقليمى فى تصميم وتصنيع وتسويق المنتجات. ويمكن لمجموعة الـ٨ أن تعرض منافذ محسنة إلى أسواقها لهذه المنتجات، وتقدم خبراتها فى إنشاء هذه المناطق.

منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير

لتشجيع التعاون الإقليمي المحسن، يمكن لمجموعة الـ٨ أن تنشئ "منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط" الذى سيجمع مسئولين كباراً من مجموعة الـ٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والشرق الأوسط الكبير (مع إمكان عقد اجتماعات جانبية لمسئولين وأفراد غير حكوميين من وسط رجال الأعمال) لمناقشة القضايا المتعلقة بالإصلاح الاقتصادى.

ويمكن للمنبر أن يستند فى شكل مرن على نموذج رابطة آسيا-المحيط الهادئ للتعاون الاقتصادى (أبك). وسيغطى قضايا اقتصادية إقليمية، من ضمنها القضايا المالية والتجارية وما يتعلق بالضوابط.

* * *

الهوامش:

(١) يشير "الشرق الأوسط الكبير" إلى بلدان العالم العربى، زائداً باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

(٢)تخطط أفغانستان والجزائر والبحرين وإيران ولبنان والمغرب وقطر والسعودية وتونس وتركيا واليمن لإجراء انتخابات.

(٣) البلدان التى قدمت طلباً للانضمام إلى منظمة التجارة الدولية (شكلت لجنة عمل تابعة للمنظمة): الجزائر ولبنان والسعودية واليمن. بلدان قدمت طلباً للانضمام (لم ينظر بعد فى الطلب) : أفغانستان وإيران وليبيا وسوريا. وبلدان طلبت منحها صفة مراقب : العراق.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شراكة أمنية ودعم الإصلاح والديموقراطية
في دول المنطقة بعيداً عن الإملاءات "الأبوية"

(نص خطاب وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر أمام مؤتمر ميونيخ في ٢٠٠٤/٢/٧)
(صحيفة الحياة الدولية ٢٠٠٤/٢/٢٠)

"قبل عام تحاورنا هنا في ميونيخ وبكل صراحة، كما هو معتاد بين الأصدقاء، حول مسألة الحرب المحتملة ضد العراق. وكانت رؤيتنا مختلفة حول:

- ما إذا كان تحليل التهديد يكفي لتبرير وقف عمل مفتشي الأمم المتحدة؟
- ما هي النتائج التي قد تعود بها الحرب على مكافحة الإرهاب الدولي؟
- ما هي التداعيات التي قد تكون للحرب في العراق على الاستقرار الاقليمي؟
- ما إذا كان سيصبح في الإمكان التحكم في العواقب الطويلة المدى للحرب؟
- وعما إذا كان أساس مشروعية هذه الحرب الذي هو موضع خلاف، سيحُد بشكل خطر من القدرة على الصمود في فترة ما بعد الحرب؟

وترى الحكومة الألمانية أن مجرى الأحداث أكد صحة موقفها آنذاك. إذ كان قرارنا السياسي ألا نشارك في التحالف، لأننا كنا وما زلنا غير مقتنعين بأسباب الحرب.

ورغم ذلك كان هناك أيضاً أمران واضحان تماماً أمامنا بعدما اتخذ التحالف قرار الحرب: أولاً يجب على التحالف أن ينهي الحرب بنجاح في أسرع وقت ممكن، وثانياً ينبغي الفوز بالسلام. فالفشل سيؤدي إلى نتائج سلبية تحيق بنا جميعاً، بأوروبا مثل أميركا، وبمؤيدي الحرب ورافضيها، بالقدر نفسه. وهذا المنطلق حدد موقف ألمانيا خلال حرب العراق وبعدها.

ولكم تفجعنا الضربات الإرهابية البشعة، كما في أربيل أخيراً، التي ينجم عنها عدد كبير من الضحايا بين المدنيين، بل وبين جنود حلفائنا وأصدقائنا أيضاً، ونخص أسرهم بكامل تعاطفنا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندما نقول إن علينا أن نفوز بالسلام معاً وإلا فإننا سنخسر معاً، بصرف النظر عما كان موقفنا من الحرب, يتحتم علينا أن ننظر الآن إلى أمام:

إننا متفقون على أن ما يبذله التحالف من جهود، يجب أن يُكلل بالنجاح. فلا يصح أن تصبح لقوى العنف والإرهاب اليد العليا في العراق. ولذلك فإننا مقتنعون بأن من الأهمية بمكان أن يستعيد البلد سيادته على أساس عريض من المشروعية، وأن تُنقل السيادة إلى حكومة عراقية تكتسب صدقيتها، بقدر الإمكان، من الانتخابات. ويجب أن تتكفل الأمم المتحدة بالدور المحوري في نقل السيادة ودعم إعادة البناء الديموقراطي، إذ إنها هي فقط التي في وسعها أن تضمن المشروعية المطلوبة للعملية.

ومنذ البداية ونحن في صف توجيه إعادة البناء في العراق على هدي من التجارب في أفغانستان .ينعكس هذا في التزاماتنا الإنسانية في العراق ومشروعنا الخاص بتدريب قوات الشرطة.

واسمحوا لي أن أتطرق هنا بالصراحة المعتادة إلى نقاش بدأ منذ بعض الوقت. إنني أعتقد بأن القرار الخاص بمشاركة حلف الأطلسي المباشرة في العراق يجب فحصه والتمحيص فيه بعناية. ولن تخرج الحكومة الألمانية على إجماع محتمل، على رغم أننا لن نرسل قوات ألمانية إلى العراق. ولكن يجب في جميع الأحوال أن نراجع بإمعان خطر الفشل والنتائج المحتملة والجادة جداً، التي قد تشكل تحت ظروف معينة، عواقب وخيمة للحلف.

والأمانة تفرض عليّ ألا أخفي عنكم الشك العميق الذي يساورني.

إذ أصبحنا ندرك أكثر فأكثر أن الأزمة في العراق لن تُحل من دون عملية إصلاح دائم وطويل المدى في المنطقة بأكملها. وبصرف النظر عن الخلاف حول الحرب في العراق فإننا نشارك ومنذ وقت طويل في القناعة بأن بعد ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ليست فقط الولايات المتحدة هي التي لا يمكن أن تقبل بالوضع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السائد في الشرقين الأوسط والأدنى، وإنما يسري هذا أيضاً على أوروبا، بل وعلى الشرق الأوسط نفسه.

والخطر الأكبر الذي يتهدد أمننا الإقليمي والعالمي في بداية هذا القرن، ألا وهو الإرهاب الجهادي المدمر بأيديولوجيته التوتاليتارية، بؤرته الشرقين الأدنى والأوسط، فهو لا يشكل تهديداً لمجتمعات الغرب فقط، وإنما في الدرجة الأولى للعالمين العربي والإسلامي أيضاً.

ولن ننجح في التغلب على التهديد النابع من هذه التوتاليتارية الجديدة بالأساليب العسكرية فقط. إذ إن إجابتنا عليها ينبغي أن تكون شاملة أيضاً، مثلها مثل هذا التهديد.

والغرب غير قادر على أن يصوغ هذا الرد بمفرده. وسنلحق بأنفسنا الهزيمة الأولى لو اتخذنا موقفاً أبوي التوجه. بدلاً من ذلك، علينا أن نصوغ عرضاً جاداً للعمل المشترك ,يرتكز على تعاون أصيل, نطرحه على الدول والمجتمعات في المنطقة.

إن الإرهاب الجهادي ليس قوياً في حد ذاته حيث يستطيع تنفيذ أهدافه السياسية مباشرة، ألا وهي خلخلة الاستقرار في الشرقين الأدنى والأوسط. وهذا النوع من الإرهاب يحاول أن يورط الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة في حرب حضارات - الغرب ضد الإسلام - وأن يستفزه ليدفعه إلى المبالغة في ردود فعله أو حتى نحو اتخاذ قرارات خاطئة، لكي يتوصل إلى إثارة القلاقل في مجمل الشرقين الأدنى والأوسط, لكي يؤدي الإرهاب والحرب غير المتكافئة إلى نتيجتين: من جهة تستنفد القوات المحاربة والرأي العام في الغرب قواها ,ومن جهة أخرى تنزلق المنطقة إلى فوضى تفضي إلى فقدان الاستقرار.

ولهذا السبب علينا أن نراجع كل خطوة في إطار مكافحة الإرهاب بعناية, ونطور استراتيجية مشتركة تتيح لنا مكافحة الإرهاب الجهادي بنجاح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن ١١ أيلول/سبتمبر والإرهاب القاتل لـــ"القاعدة" هما السبب في أن حلف الأطلسي اليوم يؤمن إعادة إعمار أفغانستان واستقرارها على أساس مـــن تفـــويض الأمم المتحدة لـــ"ايساف"، وتسهم ألمانيا حالياً بألفي جندي فـــي أفغانـــستان، ١٨٠٠ منهم في كابول، و٢٠٠ في فريقنا القائم على الإعمار في قندوز. كمـــا نلعـــب دوراً قادياً في إعادة بناء هياكل مدنية للشرطة والى جانب ذلك فإن ألمانيا إحـــدى اكبـــر الدول المانحة لمساعدات إعادة الإعمار في أفغانستان : وسيصل المبلـــغ الإجمـــالي للمساعدات التي قدمناها حتى منتصف العام إلى ٢٨٠ مليون يورو، أي أننا نكـــون تجاوزنا ما كنا وعدنا به.

وعلى رغم ذلك فإن علينا أن نجد منطلقاً أكثر شـــمولية وعمقـــاً لمنطقـــة الشرقين الأوسط والأدنى, لو أردنا أن ننجح في مكافحة الإرهاب الجهادي. إذ تكمن وراء هذا الإرهاب الجديد أزمة تحديث عميقة في بقاع شاسعة من العالم العربـــي - الإسلامي.

وستبوء جهودنا المشتركة في سبيل السلام والأمن بالفشل، لو اعتقـــدنا أن القضايا الأمنية فقط هي المهمة. إنها كذلك بالتأكيد. لكن تعريف الأمن فـــي إطـــار مكافحة الإرهاب أوسع من ذلك بكثير: قضايا التحديث الاجتماعي والثقافي، مثلهـــا مثل مسائل الديموقراطية وسيادة القانون وحقوق المرأة والحكم الرشـــيد، تكـــاد أن تكون ذات أهمية أكبر من ذلك.

ويشكل هذا الاعتقاد أساس إستراتيجية الأمن الأوروبية التي أقرها الاتحـــاد الأوروبي في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٣.

ولم تظهر للأسف حتى الآن أي بوادر تذكر لتشكيل إيجابي للعولمـــة فـــي بلدان الشرقين الأوسط والأدنى. فحتى الآن لم تتوصل المنطقة إلـــى إجابـــات عـــن تحديات القرن الحادي والعشرين الملحة. وتقف فارغة الأيدي إلى حـــد كبيـــر إزاء توقعات سكانها وأكثرهم من الشباب، فأكثر من نصف سكان المنطقة لم يبلغوا ســـن الثامنة عشرة بعد. وتظهر الأرقام الأخيرة أن تطـــور الاســـتثمارات فـــي الـــشرق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوسط سلبي, بل وفي انحسار. كما أن تقرير التنمية الإنسانية العربية الأخير الذي وضعه برنامج الأمم المتحدة الانمائي يجب أن يكون إنذارا لنا. إذ يصوغ التقرير الرؤية الاستراتيجية الشاملة لمجتمع المعرفة في العالم العربي، كرد على القصور في المنطقة. ودعائم هذه الرؤية الديموقراطية ودولة القانون، المساواة بين المرأة والرجل ودمج المرأة في الحياة العامة، وبناء مجتمعات مدنية قوية ونظم تعليم واقتصاد حديثة.

وهذه مهمة يضطلع بإنجازها جيل بأكمله. ولا يمكن أن تأتي المبادرة الخاصة بها من الخارج، وإنما في الدرجة الأولى من الداخل, فمفتاح الإصلاحات الناجحة يكمن في المنطقة ذاتها.

إن من يظن أن هذا مجرد كلام منمق من صفحات الأدب والفن ولا علاقة له من قريب أو بعيد بسياسة الأمن، يخطئ جل خطأ. فأمننا المشترك في القرن الحادي والعشرين لن تحسمه في الدرجة الأولى مسألة مشاركة حلف الأطلسي في العراق أم لا (على رغم أنني لا أنتقص من أهمية هذه القضية ولا أستخف بها إطلاقا)، وإنما قدرتنا نحن، أميركا وأوروبا والدول المعنية في المنطقة، على أن نواجه تحديات التحديث واستتباب الاستقرار في الشرقين الأوسط والأدنى مواجهة استراتيجية.

ولكي ننجح، على الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وكندا أن تركزا قدراتهما ومواردهما ومشاريعهما في مبادرة جديدة عبر الأطلسي للشرقين الأوسط والأدنى، نواجه بها هذا التحدي الكبير لأمننا المشترك. وربما تمكنت مبادرة مثل هذه من أن تفتح آفاقاً، جديدة تماماً أمام بلدان الشرقين الأوسط والأدنى : تعاون أقوى وشراكة أوثق في الأمن والسياسة والاقتصاد والقانون والثقافة والمجتمع المدني. لكن نجاح مثل هذه المبادرة المشتركة عبر الأطلسي بلا شك مرتبط أولا وأخيراً بشرطين يجب أن يوضعا موضع التنفيذ: تحتاج هذه المبادرة أولا إلى نفس طويل, كما يجب أن يكون التخطيط لها طويل المدى. وثانياً يجب ألا نستبعد عنها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النزاع الإقليمي الحاسم، أي نزاع الشرق الأوسط ,لكن يجب ألا نسمح لهذا النـــزاع في الوقت نفسه بأن يسد الطريق أمام المبادرة منذ البداية.

إن التهديد المشترك الموجه إلينا من الإرهاب الجهادي والخلخلة المحتملـــة في منطقة تُعد استراتيجية بالنسبة لأمننا، ثم مصالحنا المشتركة، وتضاعف إمكاناتنا عن طريق التعاون الوثيق - كل هذا يحبذ أن تستخلص أوروبـــا وأميركـــا النتـــائج الصحيحة من الخلافات حول حرب العراق وتضعا معاً، بمصاحبة شـــركائنا فـــي المنطقة, رؤية واستراتيجية للتطور في الشرق الأوسط الموسع، ويسترعي الانتبـــاه أنها يجب أن تكون استراتيجية مشتركة، وليست منطلقاً من "صندوق الأدوات".

وما يرد إلى الذهن مبادرة من خطوتين. إن لحلـــف الأطلـــسي وللاتحـــاد الأوروبي تعاوناً في منطقة حوض المتوسط, لذا يمكن أن تكون الخطوة الأولى هي الاشتراك في عملية البحر المتوسط، لحلف الأطلـــسي والاتحـــاد الأوروبـــي. أمـــا الخطوة الثانية فيمكن أن تكون على شكل "إعلان من أجل مستقبل مشترك"، موجـــه إلى منطقة الشرقين الأدنى والأوسط بأكملها.

واسمحوا لي أن ابدأ بتوضيح الأفكار الخاصة بعمليـــة حـــوض المتوســـط للاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي.

سيكون من الأهمية بمكان لأمننا المشترك من الناحية الاستراتيجية مـــا إذا كان سيصبح البحر المتوسط في القـــرن الحـــادي والعـــشرين فـــضاء للتعـــاون أو للمواجهة.

وفي الإمكان أن يدعم كل من الحوار الذي يدور بين حلف الأطلسي ودول حوض المتوسط وعملية برشلونة للاتحاد الأوروبي أحدهما الآخـــر ويكملـــه، بـــأن يوفقا توفيقاً وثيقاً بين نشاطهما بما يؤدي إلى عملية جديدة لحوض المتوســـط مـــن جانب الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكن يجب ألا تذوب عملية برشلونة في حوار حوض المتوسط لحلف الأطلسي، والعكس بالعكس، وإنما ينبغي أن يكمل أحدهما الآخر، كل بقدراته الخاصة به.

إن عملية حوض المتوسط للاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي الجديدة يجب أن تشمل كل المشاركين في حوار الحلف في حوض المتوسط : بجانب أعضاء الحلف والاتحاد الأوروبي الدول المغاربية، أي الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا، ثم مصر والأردن وإسرائيل. يضاف إليها جميع المشاركين في عملية برشلونة، أي الدول المذكورة آنفاً مع الأراضي الفلسطينية وسورية ولبنان.

ونقترح أن يركز العمل المشترك من حيث المضمون على أربعة مراكز ثقل: الأمن والسياسة ,الاقتصاد, القانون والثقافة, المجتمع المدني.

يكون موضوع **مركز الثقل الأول** تطوير تعاون سياسي وثيق وشراكة أمنية، وهدفه الشفافية وبناء الثقة بين كل الدول المشاركة. إضافة إلى ذلك يجب أن تُدعم عمليات الإصلاح في دول المنطقة، على أن يتم ذلك في جميع المجالات - السياسية والمؤسسات والديموقراطية والقانون.

وينبغي الاستجابة إلى المصالح الأمنية المشروعة لجميع دول المنطقة بتعاون أمني إقليمي يرتكز إلى الشفافية والتحقيق، ونزع السلاح والحد من التسلح. وقدم الاتحاد الأوروبي في إطار عملية برشلونة اقتراحات محددة في هذا الصدد. ويستطيع حلف الأطلسي في هذا السياق أن يسهم خصوصاً في إنجاح شراكة سياسية وشراكة أمنية فاعلة. فقدراته الخاصة المميزة وتجاربه في برنامج "الشراكة من أجل السلام" قد تصبح ذات أهمية فائقة.

ويمكن أن تشكل شراكة اقتصادية جديدة حول حوض المتوسط **مركز الثقل الثاني**. وهذا يكتسب أيضا أهمية حاسمة بالنسبة لمسألة الأمن. إذ إن تطوير الفضاءات الاقتصادية الوطنية المنفصلة اليوم ودمجها، قد يدعم التحول السياسي والاجتماعي دعماً حاسماً.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم لا نسعى بإلحاح نحو الهدف الطموح ألا وهو أن نؤسس معاً حتى سنة ٢٠١٠ منطقة تجارة حرة تشمل حوض البحر المتوسط بالكامل؟

إضافة إلى ذلك يمكن للأوروبيين والأميركيين خلق حوافز للتعاون داخل المنطقة بأن نفتح أسواقنا بالتحديد للمنتجات المصنعة عبر حدود الدولة القومية.

ويجب أن يشمل **مركز الثقل الثالث** - الشراكة في القانون والثقافة - تطوير مؤسسات ديموقراطية تستند إلى دولة القانون, تضاف إليها وسائل الإعلام الحرة والتعاون في مجال التربية والتعليم.

كما أن الحوار بين الأديان والتبادل المكثف والتعاون الوثيق في المجال الثقافي وشراكة التسامح في الثقافة والتربية ذات أهمية محورية بالنسبة إلى مركز الثقل هذا.

وعلى **مركز الثقل الرابع** أن يشمل تمكين المجتمعات المدنية وكل مجال المنظمات غير الحكومية ومشاركتها. فليس في الإمكان, لمصلحة الديموقراطية ودولة القانون, أن نستغني عن المجتمع المدني القوي, كما أنه جوهري في أي عملية تجديد.

وعلى هذه المبادرة الجديدة عبر الأطلسي من أجل السلام والاستقرار والديموقراطية في حوض البحر المتوسط أن ترتكز على عمل المؤسسات الموجودة. وبالتالي يمكن استخدام اللقاءات المنتظمة لوزارة الخارجية أو الوزراء المتخصصين الآخرين من الدول المعنية كأداة للتسيير, على أن تحظى المجتمعات المدنية بمنبر خاص بها.

واسمحوا لي الآن أن أشرح المرحلة الثانية للمبادرة - "إعلان من أجل مستقبل مشترك "يجب ألا يتوجه هذا الإعلان إلى المشاركين في عملية الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي لحوض المتوسط فقط، وإنما يجب أن يشمل الدول الأخرى الأعضاء في جامعة الدول العربية. كما علينا أن نفكر في مشاركة إيران أيضا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الموقعين على الإعلان الالتزام بأن يدعموا معـاً الإصـلاحات فـي المنطقة ويشجعوها. ويقدم الإعلان شراكة على قدم المساواة وتعاوناً لجميع الـدول المعنية من أجل مستقبل مشترك. وعلى الإعلان أن يتضمن عدداً من المبادئ تتعهد الدول المشتركة الالتزام بها.

أولا: يعلن الموقعون إيمانهم بالأمن ونبذ العنف، وبالديموقراطية والتعـاون الاقتصادي، وبالحد من التسلح، ونزع السلاح ونظام من الأمن التعـاوني، ويلتـزم كل الموقعين المشاركة في مكافحة الإرهاب والتوتاليتارية معاً.

ثانياً: يرى الموقعون فـي سياسـة الإصـلاح الـسياسي والاقتـصادي والاجتماعي في الدولة والمجتمع الرد الحاسـم علـى تحـديات القـرن الحـادي والعشرين، ويدعمون دمج اقتصاداتهم الوطنية. كما يسعون إلى الحكم الرشيد الـذي يلتزم حقوق الإنسان والحق والقانون، والى مشاركة المواطنـات والمـواطنين فـي عملية صنع القرار السياسي، والى مجتمع مدني قوي ومـستقل، ومـساواة المـرأة ودمجها في الحياة العامة.

ثالثاً: يلتزم الموقعون إتاحة فرصة المعرفة والتعليم للجميـع مـن نـساء ورجال على قدم المساواة، والهدف من ذلك بناء مجتمعات المعرفة فـي المنطقـة. ويتفق هذا الهدف والمهمة الاستراتيجية المحورية التـي عرفهـا تقريـر التنميـة الإنسانية العربية.

ستتاح لنا في باكورة صيف هذا العام فرصة الشروع في التطبيق العلمـي لهذا المشروع، إذ تعقد جلسة اجتماعات القمة لمجموعة الثماني الكبـار والاتحـاد الأوروبي وحلف الأطلسي فالمبادرات الحالية لحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي أو للعواصم الوطنية المختلفة تتضمن مقومات هذا المشروع الأساسية، وفي الإمكان أن نقدم في اسطنبول عرضاً مشتركاً كالشراكة مع بلدان المنطقة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الوقت نفسه تحتاج مثل هذه المبادرة إلى الإعداد المتقن والتشاور مع الشركاء في المنطقة، إذ علينا - وأود أن أكرر ذلك - أن نتفادى كل سوء فهم ذي صبغة أبوية.

سيداتي وسادتي

تستند هذه الأفكار الخاصة بمبادرة جديدة عبر الأطلسي على القناعة بأن تحديث الشرق الأوسط الموسع سيكون ذا أهمية حاسمة لأمننا المشترك في القرن الحادي والعشرين ومنه فإن مشاركة الناس في الشرقين الأوسط والأدنى في إنجازات العولمة يتفق ومصلحتنا الذاتية نفسها.

في أول أيار (مايو) هذا العام سيستوعب الاتحاد الأوروبي عشرة أعضاء جدد ويتغلب ذلك نهائياً على تقسيم أوروبا. أن أوروبا تنمو في شكل متكامل. بالتأكيد أن هذا لن يتم من دون مصاعب وصراعات ونزاع، لكن يقيني أننا سننمو معاً. فتجاربنا منذ ذلك اليوم البشع في أيلول ٢٠٠١ يجب أن تكون غرست فينا على ضفتي المحيط الأطلسي اليقين بأن الشراكة الأطلسية لا يمكن الاستغناء عنها في القرن الحادي والعشرين إزاء التحديات الضخمة التي تنتظرنا.

لو تعاونت دول أوروبا وأميركا الشمالية في إطاري الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي تعاوناً استراتيجياً كشركاء إزاء التهديد المشترك، ولو دمجت قدراتها وإمكاناتها بالاشتراك مع دول الشرقين الأدنى والأوسط في تعاون جديد، فإننا سنتمكن من أن نقدم هذه المساهمة الفائقة الأهمية من أجل أمننا المشترك. لو لم نفعل ذلك، أو لو كنا حتى فقط قصار نظر أو ضيقي أفق اكثر مما يجب، فإننا سنجبر أيضا في شكل مشترك على أن ندفع ثمناً باهظاً لذلك".

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دوفيلبان يقترح على دول المنطقة "شراكة" بعيدة عن "الحلول الجاهزة"

(الحياة الدولية، ٢٠٠٤/٢/٢٠)

انطلاقاً من حرص فرنسا على اعتبار أن تحالفها مع الولايات المتحدة لا يلغي التمايز في مواقفهما، اقترح وزير الخارجية الفرنسي دومينيك دوفيلبان إرساء "شراكة حقيقية" مع دول الشرق الأوسط، بهدف الرد على كل التحديات التي تواجهها المنطقة.

وقال الوزير في حديث إلى صحيفة "لوفيغارو" شكل رداً على المبادرة الأميركية لـــ"الشرق الأوسط الكبير"، أن هذه الشراكة ينبغي "ألا تتركز على المسائل الأمنية"، بل أن تأخذ في الاعتبار كل الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية".

وخلافاً للمبادرة الأميركية التي لم تستشر في شأنها أي من الدول العربية، شدد دوفيلبان على أن الشراكة التي تقترحها فرنسا ينبغي أن تعد بمشاركة الدول العربية "وفقاً لمنطق الشراكة الحقيقية"، وبعيداً عن "الحلول الجاهزة المفروضة من الخارج"، واستناداً إلى حاجات هذه الدول وتطلعاتها.

ودعا إلى العمل مع دول المنطقة لإعداد "إعلان عام يحدد مبادئ الشراكة من أجل السلام والتقدم"، ويتضمن "خطوط عمل عريضة قابلة للتطبيق في المنطقة بأكملها"، مشدداً على أهمية التفاهم الأوروبي– الأميركي، ونبذ التنافس.

وفي سياق مغاير أيضاً للمبادرة الأميركية، قال دوفيلبان: "إذا أردنا أن تكون لدينا صدقيه ليس بإمكاننا تجاهل النزاع العربي- الإسرائيلي" بل العمل من أجل "إعادة إحياء ديناميكية سلام" تشكل "الشرط الضروري لأي مبادرة في المنطقة".

وأشار إلى أن تلك الشراكة "ستشكل محور مشاورات واسعة على المستوى الأوروبي، إذ تعتزم فرنسا إدراجها على جدول إعمال القمة الأوروبية في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آذار (مارس) المقبل، وإثارتها مع دول الشرق الأوسط ومن خلال الجامعة العربية، ومع كبار شركاء فرنسا ومن خلال مجموعة الدول الثماني الصناعية".

ونبه الوزير إلى أهمية التركيز على ثلاثة مجالات رئيسية هي "أولاً الحوار السياسي من أجل دفع الديموقراطية في دول الشرق الأوسط والحكم الجيد وحقوق الإنسان".

إلى ذلك، تطرق دوفيلبان إلى موضوع العراق، قائلا إن فرنسا ما زالت متمسكة بفكرة عقد مؤتمر دولي "من أجل تعبئة كل القوى الوطنية والإقليمية والدولية"، لأن هناك دوراً على دول المنطقة والأسرة الدولية ممارسته "لتحقيق الانتقال من نظام الاحتلال إلى السيادة العراقية". وشدد على ضرورة احترام الجدول الزمني المحدد لعودة السيادة إلى العراقيين في ٣٠ حزيران (يونيو) المقبل، مستبعداً إمكان إجراء انتخابات قبل هذا الموعد.

ولم يستبعد الوزير دوراً لحلف الأطلسي في العراق، إذا قبلت بذلك حكومة عراقية ذات سيادة.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نص المشروع الفرنسي - الألماني
من أجل مستقبل مشترك مع الشرق الأوسط
(باريس - الحياة ٢٠٠٤/٣/٧)

وضعت فرنسا وألمانيا مشروعاً للإصلاح في الشرق الأوسط، تحت عنوان "شراكة إستراتيجية لمستقبل مشترك مع الشرق الأوسط"*. وفيما يلى نص المشروع كما أوردته صحيفة الحياة الدولية.

١ - الأهداف

أ- إن مستقبل منطقة الشرق الأوسط مصدر قلق مشترك نتقاسمه مع شركائنا في المنطقة والشركاء الأطلسيين. نحن على استعداد لدعم بلدان الشرق الأوسط وتشجيعها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. إن كل مبادرة في شأن الشرق الأوسط ينبغي أن تلبي حاجات المنطقة وتطلعاتها، ونجاحها يتوقف بالدرجة الأولى على هذه البلدان. إن تطلعات المواطنين، وهم في غالبيتهم من الشباب، كبيرة، إذ إن نصف سكان المنطقة هم دون الثامنة عشرة. ويقضي التحدي الحقيقي بتعديل الوضع القائم على أساس شراكة صادقة وتعاون ورؤية مشتركة. إن الحكومات، مثلها مثل المجتمع المدني، شريكة في هذه المهمة.

ب- إن على الاتحاد الأوروبي أن يستجيب هذه الأمور. إذ إن لأوروبا مصلحة كبيرة في التطور الإيجابي للمنطقة. فإلى (جانب) التحديات الأساسية للأمن، هناك الروابط الجغرافية والثقافية والاقتصادية والبشرية بين أوروبا والمنطقة والتي تدفع بوضوح في هذا الاتجاه. ويمثل الالتزام الحالي للاتحاد الأوروبي تجاه دول البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى والأوسط، أولوية مركزية في إطار العمل الأوروبي. وفي هذا الإطار، عمل الاتحاد خلال الاجتماع

---

* المشروع غير رسمي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوروبي - المتوسطي "يوروميد" في نابولي والقمة الأوروبية في بروكسيل في كانون الأول (ديسمبر) الماضي، على تحديد استراتيجية تخدم هذه المنطقة.

ج- اقترحت الولايات المتحدة أفكاراً في شأن "الشرق الأوسط الكبير" وسبل مواكبة تحديثه وإحلال الديموقراطية فيه. وعلينا أن نستقبل بإيجابية إمكان عملنا معاً وتنسيق جهودنا. وينبغي على الاتحاد الأوروبي أن يتطلع إلى شراكة عبر الأطلسي مع الشرق الأوسط. كما ينبغي عليه ان يحدد مقاربة مميزة تكمل مقاربة الولايات المتحدة، بالاستناد إلى مؤسساته الخاصة وأدواته.

٢ - مبادئ العمل

- إن قوة الدفع ينبغي أن تأتي من المنطقة، إن كل الدول والمجتمعات المعنية عبرت عن حذر جماعي قوي في وجه أي محاولة لفرض "نموذج" من الخارج. سنعمل مع كل البلدان لاستجابة مطالبها فور الإمكان، عبر مشاركتها الوثيقة وفي أبكر مرحلة ممكنة. علينا التحرك عبر الحوار والتحفيز، مع الحكومات وأيضاً مع المجتمعات المدنية بالالتصاق إلى أقصى قدر بحقائق كل بلد.

- لا بد من الأخذ في الاعتبار المشاعر الوطنية وهوية كل بلد: ينبغي الحرص على تجنب مخاطر المقاربة الشديدة العمومية التي تغيب الخصوصيات الوطنية وتصف الإسلام باعتباره غير قابل للحداثة. ولا بد، بموازاة ذلك، من حضّ البلدان المعنية على التعبير عن آرائها، سواء في إطار الجامعة العربية، أو في المنتديات المخصصة لذلك، من أجل إشهار تطلعاتها.

- التزام على المدى البعيد: إننا منخرطون منذ سنوات عدة في هذا الالتزام. ونحن نعتبر شراكتنا بمثابة التزام بعيد المدى ودائم. إنها مهمة ستستمر عبر أجيال عدة.

- استراتيجية الأمن الأوروبية: إن مقاربتنا تستند إلى الاستراتيجية الأمنية الأوروبية التي أقرها الاتحاد الأوروبي في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٣. وهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيشمل الأوجه السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، بما في ذلك تشكيل مجتمع مدني.

- النطاق الجغرافي: إن هذه الشراكة ينبغي أن تكون مفتوحة أمام كل دول الشرق الأوسط. ونأمل بالانطلاق من المسارات القائمة، مثل نهج برشلونة والحوار المتوسطي. وعلينا تعميق علاقاتنا مع مجلس التعاون الخليجي.

- قاعدة العمل: إن تقارير برنامج الأمم المتحدة للتنمية تتضمن تشخيصاً جيداً، وتشكل بحد ذاتها برنامج إصلاحات. فالحاجة إلى تغييرات في العمق ملموسة عملياً في كل مكان. إن بلداناً عدة بدأت تنفذ إصلاحات ملحوظة، وتميل هذه الظاهرة إلى الاتساع حالياً. وعلى المستوى الإقليمي، تتضمن المبادرة السعودية لكانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣ اقتراحات إقليمية وإصلاحات داخلية في كل من البلدان وتشكل، إلى جانب سواها، قاعدة جيدة للمناقشة.

- فاعلية العمل المتعدد الأطراف: لا بد من السعي إلى فاعلية شاملة لعملنا من خلال تعبئة الهيئات المعنية. إن القيمة المضافة لكل من المنظمات والهيئات ينبغي أن تستخدم بأفضل السبل، ومنها خصوصاً الاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة، وحلف شمال الأطلسي في ما يخص قضايا الأمن والدفاع، إلى جانب المؤسسات المالية الدولية بالنسبة إلى قضايا التطور. إن كلاً من الاستحقاقات المقبلة (القمم الأوروبية، قمة الدول الصناعية الثماني الكبرى، القمة الأوروبية الأميركية، حلف شمال الاطلسي) ستقدم مساهمتها المحددة وتشكل مناسبة لإعطاء قوة الدفع الضرورية في المجالات المحددة.

- تعزيز التزام الاتحاد الأوروبي: إن عمله ملحوظ من خلال نهج برشلونة (وبدرجة أقل الحوار بين الاتحاد الأوروبي ومجلس التعاون الخليجي)، وإن أدوات هذه الشراكة (اتفاقات الشراكة وبرنامج "ميدا" والحوار السياسي) تعمل منذ ٨ سنوات وتحظى بإمكانات مالية مهمة. إن هذا المكسب الأوروبي ينبغي أن يطور ويتعزز.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- مسيرة السلام في الشرق الأوسط: إن الاستراتيجية الأمنية الأوروبية تشير إلى أن "تسوية النزاع العربي - الإسرائيلي تشكل أولوية استراتيجية لأوروبا. وفي غياب مثل هذا الحل لن تكون هناك أي فرصة لتسوية المشاكل الأخرى في الشرق الأوسط". ولهذا السبب، من الضروري إعادة إطلاق نهج السلام في الشرق الأوسط بالتوازي، من أجل التوصل إلى التسوية المنتظرة منذ مدة بعيدة لكل مساراته. ومن الضروري أيضا إنشاء حكومة مسئولة وسيدة في العراق. إن أياً من هاتين المسألتين ينبغي ألا تعرقل تطوير شراكة على المدى الطويل، لكن لا يمكننا توقع النجاح الكامل ما لم تتقدم مسيرة السلام في الشرق الأوسط.

٣ - اقتراحات حل: على الاتحاد الأوروبي أن يعد مقاربة ومساهمة مشتركتين.

١ - مبادرة أوروبية:

إن المبادرة الأوروبية ستحدد في إطار القمم الأوروبية واجتماعات مجالس الشؤون العامة والعلاقات الخارجية. هناك مساهمة مرتقبة من الأمانة العامة للمجلس والمفوضية. والمقصود بذلك زيادة جهودنا لتعزيز الأدوات القائمة والتي تستند إليها شراكتنا مع بلدان المتوسط وبلدان الخليج، بالتعاون مع بلدان أخرى من الشركاء.

٢ - مبادئ الاتحاد الأوروبي:

- حوار سياسى وأمني في شأن السلام والاستقرار في المتوسط، خصوصاً إجراءات ثقة.
- ديموقراطية وحقوق إنسان ودولة قانون وحرية إعلامية وحكم جيد.
- إصلاحات هيكلية في المجال الاقتصادي.
- تطور اجتماعي، خصوصاً في مجال التعليم والمساواة بين الرجل والمرأة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- دعم انبثاق مجتمعات مدنية وتطوير تعبيرها وتطلعاتها.

٣ - أعمال الاتحاد الأوروبي:

- إن نهج برشلونة يؤمن سلسلة واسعة من الأدوات الملائمة لتطبيق المبادئ المذكورة سابقاً، بعد التقدم الذي أحرز خلال القمة الأوروبية المتوسطية في نابولي في كانون الأول (ديسمبر) الماضي: اتفاقات الشراكة، مشروع لمنطقة تبادل حر، برنامج "ميدا - ٢"، تسهيل الاستثمار والشراكة الأوروبية - المتوسطية (فيميب) وأسس أوروبية - متوسطية جديدة من أجل الحوار بين الثقافات. إن هذه الأدوات تمزج بين الحوار السياسي والاقتصادي والاجتماعي على مستويات عدة بما في ذلك المستوى الوزاري، وتحظى بإمكانات مهمة يمكن أن تستخدم للحث على الإصلاح والتغيير. هذا الحوار يمكن أن يتعزز ويتوسع من خلال الجمعية البرلمانية الأوروبية - المتوسطية المقبلة. وعلينا أيضا الإعداد لمناقشة صريحة ومنفتحة في شأن تطبيق المكسب الذي تحقق في برشلونة.

- إن "مبادرة الجيران الجدد" أيضا ستساهم في إعادة تنشيط علاقاتنا في المنطقة وفقاً لمبادئ الاتحاد الأوروبي.

- سيكون من الضروري تكثيف الحوار السياسي مع مجلس التعاون الخليجي، وتسريع المفاوضات بشأن منطقة للتبادل الحر على أساس المبادئ المذكورة سابقاً. إن الوضع مختلف في دول الخليج، ونظراً إلى ثروتها النسبية (باستثناء اليمن) فإن المشكلة لديها ليست التمويل. والتركيز ينبغي أن يتم على صعيد المهارة العملية والمساعدة التقنية التي تحتاج إليها هذه البلدان فعلياً.

- وعلى الاتحاد الأوروبي أن يشجع ويدعم المبادرات من أجل التعاون الإقليمي الداخلي، ومنها على سبيل المثال تلك المتعلقة بالدول المتاخمة للخليج، بما في ذلك إيران والعراق. ومن شأن ذلك أن يشكل طريقة لبدء إحلال الثقة مثلاً من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خلال إنشاء مائدة مستديرة تتناول مسائل الأمن العملية، مثل المخدرات وتبييض الأموال وحماية البيئة البحرية أو حول مسائل المياه الإقليمية.

١ - ٣ - مسائل الأمن

في مجال الأمن، تقود المشكلات الخاصة لكل منطقة إلى اعتماد مقاربة مميزة في منطقة المتوسط (بما فيها الشرق الأوسط) والخليج. ويجب أن يبقى إطارا التعاون مع الاتحاد ومع حلف شمال الأطلسي مختلفين. ويلزم تطوير تبادل وجهات النظر في شأن مسائل الأمن والتعاون في منطقة المتوسط في منتديات الحوار بين الحلف الأطلسي والاتحاد.

*** التحركات التي ينبغي للاتحاد الأوروبي القيام بها:**

- تكثيف المبادرات نحو حوار أكثر فاعلية في إطار "تعاون مرن ومفتوح على قاعدة التطوع".

- متابعة التحرك القائم في مجال محاربة الإرهاب والانتشار النووي ومكافحة الجريمة المنظمة والهجرة غير الشرعية.

- التفكير في إطلاق مشروع ميثاق سلام واستقرار في منطقة المتوسط متى يسمح الوضع في الشرق الأوسط بذلك.

في إطار الشرق التوسط الأشمل يمكن للاتحاد أن:

- يعزز الحوار السياسي والأمن مع دول الخليج.

- إطلاق مبادرة تهدف إلى حض دول الشرق الأوسط ومواكبتها في اختبار هيكلية محلية للأمن يمكنها في مرحلة أولي أن تتناول تجنب النزاعات انطلاقاً من المواضيع التالية: عدم المس بالحدود وحمايتها، إجراءات الثقة والأمن، مكافحة الإرهاب وتهريب أسلحة الدمار الشامل، ومعاودة التفكير في المناطق الخالية من هذه الأسلحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- تنظيم ندوات إعلامية - تعبوية لدول المنطقة تتناول الدروس التي يمكن استخلاصها من سياسة منع النزاعات التي طورها الاتحاد الأوروبي في مناطق أخري (ميثاق الاستقرار في البلقان، تعزيز القدرات المحلية لحفظ السلام في أفريقيا على سبيل المثال).

٢- في ما يتعلق بالقمم المقبلة

٢-١- قمة الجامعة العربية في تونس في ٢٩و٣٠ آذار (مارس). يجب ان تستخدم الرئاسة والممثل الأعلى والمفوضية اتصالاتهم مع الشركاء العرب (والاجتماع الوزاري مع الولايات المتحدة) من أجل تقديم وجهة نظرنا، والمساهمة في هذه العملية، واستطلاع مدى الاهتمام والتشجيع على المشاركة والمبادرة الذاتية، بهدف إصدار إعلان تونس الذي يؤكد التمسك بالمبادئ الأساسية (الإصلاح والديموقراطية والتحديث) التي تحكم هذه العملية.

٢-٢- قمة مجموعة الثماني في سي أيلاند من ٨ إلى ١٠ حزيران (يونيو).

توفر هذه القمة فرصة لإعطاء دفع سياسي بتبني "إعلان من أجل مستقبل مشترك"، وان يأتي، إذا أمكن، كرد على إعلان يصدر عن قمة تونس العربية. ويجب على دول الاتحاد الأوروبي الأعضاء في مجموعة الثماني أن تتحدث باسم شركائها في الاتحاد. ويصاغ نص هذا الإعلان السياسي في إطار اجتماعات وزارات الخارجية (اجتماع المديرين السياسيين في ١١ آذار/ مارس واجتماع وزراء الخارجية في منتصف أيار/ مايو). ويمكن للإعلان أن:

- يشرح المنطق الذي قاد إلى هذه المبادرة.
- يبرز استناد المبادرة إلى خطوة جماعية.
- يشير، إذا أمكن، إلى قمة الجامعة العربية ويعرب عن تقدير إيجابي للجهود الإصلاحية التي بدأت في المنطقة.
- يستعيد الخطوط الأساسية للمبادرة الأميركية (الشرق الأوسط الكبير) والاجتماعات الأوروبية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- يشير إلى أن أعضاء مجموعة الثماني مستعدون لتطوير التعاون، كل وفق آلياته، على هذه الأسس مع الدول المهتمة، مع الإشادة بالجهود التي بدأها البعض.

- توجيه نداء إلى المنظمات المعنية (الأمم المتحدة, الاتحاد الأوروبي...) لتقديم مساهمتها وفق هذه الأسس.

وفي إطار مواز، يعمل خبراء وزارات الخارجية على اقتراح مشروع يأخذ في الاعتبار الاقتراحات الواردة في وثائق الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. ويمكن لهذه الأفكار أن تقدم إلى دول المنطقة في شكل اقتراح داعم لجهود الإصلاح القائمة. ويمكن، تماشيا مع الطابع السياسي لإعلان القمة، ضم اقتراح المشروع الأساسي إلى الإعلان نفسه بصفته خطة تحرك لمجموعة الثماني.
إن علينا تشجيع شركائنا الأميركيين على تنظيم اجتماع لوزراء خارجية مجموعة الثماني مع نظرائهم من المنطقة، على هامش قمة سي ايلاند، واجتماع منفصل مع جميع أو بعض قادة دول المنطقة، مما يبرز الطابع الجماعي للمبادرة ويكرس في الوقت نفسه انضواء الدول المعنية في هذه المبادرة التي ستتحول عندها إلى شراكة حقيقية، مما قد يعني، بشكل أو بآخر، انطلاقتها الفعلية.

٣ - قمة الاتحاد الأوروبي - الولايات المتحدة (موعدها لم يحدد)

تندرج هذه القمة في إطار مبادرة مجموعة الثماني.

سنقدم موقفنا الأوروبي خلال الاجتماع الوزاري (الأوروبي - الأميركي) على مستوى وزراء الخارجية الذي يعقد في مطلع آذار (مارس) ونناقش مبادرتنا مع شركائنا في (يوروميد) خلال اجتماع في دبلن يومي ٥ و٦ أيار (مايو). وسيوضح الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة عندها نقاط مقاربتهما، ويشيران إلى رغبتهما في إقامة حوار، كل بخصوص ما يهمه، مع الدول والمنظمات المهتمة،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويعلنان استعدادهما للتنسيق بشكل وثيق مع المبادرات المعنية بمنطقة الشرق الأوسط.

٤- يمكن، وفق رؤيتنا المشتركة، لحلف شمال الأطلسي أن يطلق في أسطنبول سلسلة مبادرات تهدف إلى تعزيز حواره مع منطقة المتوسط وإن يقدم إلى دول الشرق الأوسط اقتراحات في مجال الأمن.

* * *

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنظمة العربية لحقوق الإنسان

***تأسست عام ١٩٨٣ كمنظمة دولية إقليمية غير حكومية للدفاع عن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية فى الوطن العربى*مقرها الرئيسى بالقاهرة بموجب اتفاق مقر مع الحكومة المصرية**

***حاصلة على الصفة الاستشارية بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى بالأمم المتحدة**

رئيس مجلس الأمناء : أ. **جاسم القطامى**

نـــائب الرئيس : **د.أحمد صدقى الدجانى**

الأميـــن العـــام : أ. **محمد فائق**

المقر الرئيسى : **٩١ شارع الميرغنى- مصر الجديدة القاهرة ١١٣٤١ج.م.ع**

ت : ٤١٨١٣٩٦ – ٤١٨٨٣٧٨

فاكس : ٤١٨٥٣٤٦

بريد إلكتروني :

aohr@link.net

موقع الإنترنت :

www.aohronline.com

الاشتراكات السنوية للعضوية:

الكويت ٢٥ديناراً **الأردن ١٦ دينارا**ً

مصر ٣٠ جنيهاً **المغرب ١٦٦درهم**

تونس ١٦ ديناراً **بقية الأقطار ٥٠ دولارا**ً **أمريكيا**ً

تحول الاشتراكات والتبرعات بشيكات أو صكوك أو حوالات باسم المنظمة إلى البنك الوطنى المصرى – فرع ثروت حساب جارى٥٨١٨٣٥

Alwatany Bank of Egypt Sarwat.
Account581835

أو البنك العربى بسويسرا

Arab Bank (Switzerland)
Account 201738

دعوة للمشاركة

*ترحب قضايا حقوق الإنسان بالإسهامات الطوعية من جانب أعضاء المنظمة وكافة المعنيين بإشكاليات حقوق الإنسان والديمقراطية فى الوطن العربى.

*تخضع هذه الإسهامات للتحكيم قبل النشر من لجنة أكاديمية ثلاثية تتحرى الالتزام بالأصول العلمية المرعية، ويتم نشر الدراسات المجازة وفق ترتيب وصولها.

*ومراعاة للتنوع فى الموضوعات وتمثيل مختلف الآراء بخصوصها، يرجى ألا تتجاوز الإسهامات ما يلى طبقاً لنوع كل منها:

١- الدراسات والبحوث فى حدود من ٥٠٠٠ – ٦٠٠٠ كلمة.

٢- العروض التحليلية للكتب وتقارير الندوات ذات الصلة فى حدود ١٥٠٠ –٢٠٠٠ كلمة.

*وترحب"قضايا حقوق الإنسان" بتلقى الوثائق التى تشمل القوانين والمراسيم واللوائح المنظمة أو المؤثرة على الحقوق والحريات السياسية ومباشرة الحقوق المدنية والسياسية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com